

الأعمال الشعرية الكاملة

جورج سقيريس

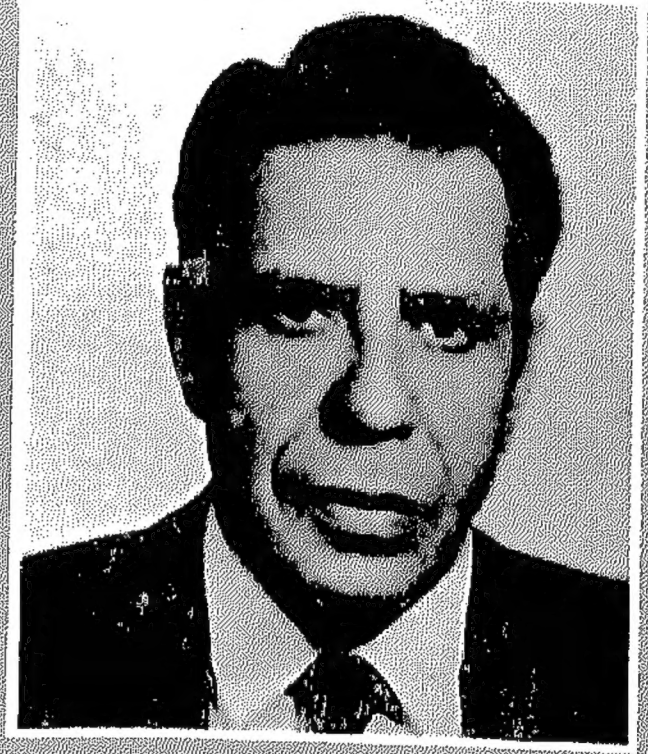
ترجمة ودراسة

د. نعيم عطية

19

ΓΙΩΡΓΟΣ ΣΕΦ





د. نعيم عطية

اتجه الدكتور نعيم عطية إلى الترجمة من اليونانية منذ أوائل الستينيات. وربما كان حافزه على ذلك نداء والدته يونانية الأصل التي احتفظ بذكرها في أعماقه على الدوام.

وفي مقدمة ما ترجمه «مختارات من الشعر اليوناني المعاصر» و«ديوان كافافيس» شاعر الاسكندرية، وقد كتب نعيم عطية كثيرا من الدراسات عن الشعر اليوناني الحديث، في مقدمتها «سولوموس» أول الشعراء اليونانيين الكبار، و«الشعر اليوناني الحديث منذ بداياته إلى بالاماس» كما نشر في الجملات المصرية والعربية مقالات عن يونانيين معاصرين، منهم باباديامانديس، وكارلندراكس، وإليسيوس، وفينيزيس، ونيقولايس، ويانيس ريسوس، ويثيوس خاريس، وسامراكس، وجورج ليوتوكا.

وقد منح الدكتور نعيم عطية وسام الاستحقاق من حكومة اليونان ١٩٩١ وحصل على جائزة كافافيس للدراسات الأدبية ١٩٩٣

المجلس ا على للشقا**

المشروع القومى للترجمة

دراسة

عن الشاعر اليونانى المعاصر

جورج سفيريس

المجلس الأعلى للثقافة

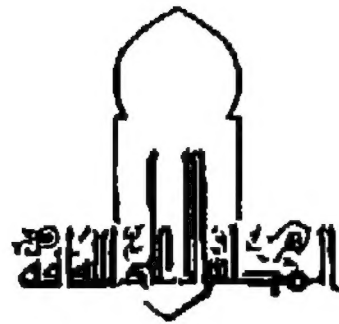
المشروع القومي للترجمة

جورج سفيريس

الشاعر اليوناني المعاصر الحاصل على جائزة نوبل في الأدب

«أعمال الشعرية ا ملة»

ترجمة ودراسة : الدكتور نعيم عطية



١٩٩٨

إهداء

إلى الدكتور أسامة الباز
أقدر كفاءتك الدبلوماسية، وأعرف حبك للكلمة.
دعني إذن أهدى إليك ترجمتي هذه لقصائد دبلوماسي آخر،
أبلى في الدبلوماسية بلاء حسنا، وحصل على أول جائزة
نوبل لبلاده.

ن. ع

القسم اول

مدخل إلى حياة سفيريس شعره

الفصل الأول

حياة سفيريس وأعماله

ولد جورج سفيريس فى التاسع والعشرين من فبراير عام ١٩٠٠ فى أزمير بآسيا الصغرى. ومنها نزع مع والديه عام ١٩١٤ إلى اثينا حيث أنجز تعليمه الثانوى. وفى عام ١٩١٨ سافر إلى باريس ودرس بها القانون إلى أن حصل على الليسانس عام ١٩٢٤. ومالبث أن سافر إلى لندن فى أول زيارة له لهذه العاصمة حيث امضى بها ما بين عامى ١٩٢٤ و ١٩٢٥. ومنها عاد إلى اليونان ليلتحق عام ١٩٢٦ بالعمل بوزارة الخارجية. وامضى السنوات حتى عام ١٩٣١ موظفا بالديوان العام لهذه الوزارة بأثينا. ثم خدم فى الاعوام من ١٩٣١ إلى ١٩٣٤ بالقنصلية اليونانية بلندن. وأقام بعد ذلك فى اثينا فيما بين ١٩٣٤ و ١٩٣٦. ثم خدم قنصلا فى كورتيزا بألبانيا. وفى عام ١٩٣٨ شغل منصب المستشار الصحفى بمكتب الصحافة والاعلام بوزارة الخارجية.

وفي عام ١٩٤١ صاحب الحكومة اليونانية إلى المنفى بكريت، ثم مصر، وجنوب افريقيا، حيث عمل بالسفارة اليونانية هناك حتى عام ١٩٤٢.

وفيما بين عامي ١٩٤٢ و ١٩٤٤ اشتغل ملحقا صحفيا للحكومة اليونانية بالقاهرة. وفي عام ١٩٤٤ رافق حكومة المنفى إلى إيطاليا. واشتغل مديرا للمكتب السياسي للمطران دمسقينوس.

وفيما بين عامي ١٩٤٦ و ١٩٤٨ عاد فاشتغل بالديوان العام لوزارة الخارجية باثينا. ثم اوفد إلى انقرة حيث عمل بها فيما بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٥٠ ثم مستشارا للسفارة بلندن عامي ١٩٥١ و ١٩٥٢. وفيما بين عامي ١٩٥٣ و ١٩٥٦ خدم كسفير لليونان في لبنان، وسوريا، والأردن، والعراق.

وفي الاعوام ١٩٥٣ و ١٩٥٤ و ١٩٥٥ توالى زيارته إلى قبرص ثم عين مديرا للمكتب السياسي بوزارة الخارجية باثينا عامي ١٩٥٦ و ١٩٥٧ إلى أن اختير عضوا في الوفد اليوناني للأمم المتحدة بنيويورك وشارك في مناقشة القضية القبرصية. ثم عين سفيراً لليونان في بريطانيا وشغل هذا المنصب من عام ١٩٥٧ إلى عام تقاعده في ١٩٦٢، فاستقر باثينا، وحصل عام ١٩٦٣ على جائزة نوبل في الآداب. وكان بذلك أول اديب يوناني حصل على هذه الجائزة، واعتبر ذلك اعترافا عالميا بالأدب اليوناني الحديث. ومن الجدير بالذكر أن نيقوس كازند زاكي (١٨٨٢ - ١٩٥٧) الأديب اليوناني الكبير كاد يصل إلى نيل هذه الجائزة من قبل، إلا انها منحت لأديب اسباني في آخر لحظة. كما كان سفيريس قد حصل عام ١٩٦٢ على جائزة فويل، وهي جائزة ادبية كبرى بدورها. وفي

الاعوام ١٩٦٠ و١٩٦٤ و١٩٦٥ منحتة عدة جامعات الدكتوراه الفخرية، فحصل من جامعة ثيسالونيك عام ١٩٦٤ على الدكتوراه الفخرية فى الفلسفة، وحصل من جامعة برينستون بالولايات المتحدة الأمريكية على الدكتوراه الفخرية فى الآداب عام ١٩٦٥ . كما اختير عام ١٩٦٦ عضواً أجنبيا شرفيا فى الاكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، وعين فى العام ذاته زميلا شرفيا فى الجمعية الدولية للغات الحديثة . وذلك كله على سند من المام سيفيريس بتيارات الشعر المعاصرة، ومعرفة أين يمكن أن يقف الآن شاعر معاصر وراءه تراث شعري لا يضارع من هوميروس إلى سولوموس إلى كافافيس .

وفى سبتمبر عام ١٩٧١ مات سيفيريس فى اثينا . وقد شيعت جنازته فى موكب شعبي ضخم، اعتبر مظاهرة ضد الحكومة العسكرية غير الديمقراطية القائمة آنذاك، والتي حرمت القاء قصائده وتداولها، خوفا من تأثيرها السياسى .

وطوال ما يقرب من خمسين عاما، اسهم سيفيريس اسهاما كبيرا فى الادب اليونانى المعاصر كشاعر اصيل وكاتب مقال ومترجم (ترجم على الأخص اعمال اليوت إلى اليونانية) وقد كان ديوانه «نقطة تحول»، الصادر عام ١٩٣١ نقطة تحول فعلا فى الشعر اليونانى الحديث . ثم صدر ديوانه الثانى «خزان المياه، أو النبع، أو البئر» عام ١٩٣٢ ثم صدر ديوانه الثالث «رواية، أو أسطورة التاريخ» عام ١٩٣٥ مرسيا اتجاها جديدا فى الشعر اليونانى بعد كافافيس . ثم اصدرت مجلة «الآداب الجديدة» ديوانه الرابع بعنوان «الأولاد العراة» عام ١٩٣٦ وصدر ديوانه الخامس «كراسة التمارين» عام ١٩٤٠ ثم صدر الجزء الأول من ديوانه السادس «مذكرات من على ظهر سفين» عام ١٩٤٠ أيضا، وأعقبه الجزء الثانى عام ١٩٤٤ . وفى عام ١٩٥٥ صدر

الجزء الثالث، وقد تضمن عدة قصائد عن قبرص. كما كان قد أصدر ديوانه السابع «الطائر الغرد، أو «السمان، عام ١٩٤٧. وفي عام ١٩٦٦ أصدر «ثلاث قصائد سرية، أو «ثلاث قصائد كتبت في الخفاء».

ومما هو طريف عن الطبوعات الأولى لدواوين سفيريس انها صدرت في نسخ محدودة، فصدر ديوان «نقطة تحول» في مائتي نسخة، و«خزان المياه، أو «الذبح، في خمسين نسخة و«رواية، أو «أسطورة التاريخ، من مائة وخمسين نسخة، و«كراسة التمارين، في ثلاثمائة وست وخمسين نسخة والجزء الأول من «مذكرات من على مظهر سفين، في ثلاثمائة وسبع عشرة نسخة، والجزء الثاني من خمس وسبعين نسخة والجزء الثالث من الف وثلاثين نسخة و«السمان، أو «الطائر الغرد، من ثلاثمائة نسخة. وقد طبع الجزء الثاني من ديوانه «مذكرات على ظهر سفين، بالاسكندرية وصدر فيها. وقد احتوى هذا الديوان على أربع قصائد يمكن اعتبارها «قصائد قاهرية».

ولسفيريس أيضا عدة دراسات ومقالات جمعت في كتاب عام ١٩٦٢. كما صدرت دراسته «اللغة في الشعر اليوناني، عام ١٩٦٥.

وقد ترجمت اعمال سفيريس إلى لغات مختلفة، منها الانجليزية والفرنسية والايطالية والالمانية والاسبانية والسويدية. وكان في مقدمة من تصدوا لترجمة اعماله إلى الانجليزية ت. س. اليوت، ولورانس داريل، وريكس وارنر، وادموندكيلى وفيليب شيرار.

الفصل الثاني؛ تجربة سفيريس الشعرية المبحث الأول؛ البحث عن الجذور

مهما كانت العلاقة التي تربط اشعار جورج سفيريس بأداب بلاد أخرى، فإن تلك القصائد تنبع قبل كل شئ من تقاليد يونانية عريقة. وقد شارك سفيريس بذلك النهضة الحديثة التي حققتها طوال المائة والخمسين عاما الماضية جهود شعراء مبرزين من امثال سولوموس وكالفوس وبالاماس وسيكيليانوس وكافافيس. وكان أحد هذه المصادر هو التقاليد الشعرية التي نمت على ارض جزيرة كريت خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر. وقد تضمن الأدب الدرامي الكريتي مسرحيات مثل «تضحية ابراهيم»، وهي مسرحية دينية و«ديروفيلي»، وهي تراجيدية دامية تلقى فيها الشخصيات الرئيسية كلها مصرعها. ولكن اهم من هذه وتلك كانت الملحمة العاطفية. «ايروكريتوس»، التي كتبها شاعر يدعى فيتزبندزوس كورناريس في

١٠٠٥٢ بيتا تحكى عن حب اريتوسا ابنة ملك اثينا والشاب الشجاع ايروكريتوس ابن احدى اسر البلاط البارزة. وقد لقيت هذه الملحمة ذيوعا شعبيا كبيرا عبر العالم اليونانى. ومضى الرواة ينشدون ماتحتفظ به الذاكرة من هذه السيرة الشعبية. وهو ما يشير اليه سفيريس فى قصيدته «على لحن اجنبى».

وقد كتب سفيريس افضل دراسة نقدية باليونانية عن ملحمة «ايروكريتوس» وتأثيرها والتدليل على الصلاحيات الشعرية للغة اليونانية الشعبية يستعير سفيريس فى قصيدته «كلمة حب» كثيرا من عبارات الملحمة الشعبية المذكورة، كى يقيم جسرا بينه وبين لحظة حيوية أخرى من ماضى أمته الأدبى.

البحث الثانى: الإنسان المعاصر والعالم القديم

انضم سفيريس إلى ابناء جيله من شعراء النهضة اليونانية الحديثة الذين راعهم ضحالة الحاضر، فيمروا شطر الماضى السحيق بكل عراقته وأصالته وبهائه. وقد مضى سفيريس فى قصائده يبحث بدوره عن ماض تليد مطمور فى النسيان.

وقد راح العالم القديم يشغل خيال سفيريس على الدوام. ويبدو هذا الانشغال طبيعيا فى بلد مثل اليونان، عامرة ببقايا من ماض قديم، وفى كل مكان تقفز إلى العين تذكارات منه، تشد العقل وتلهب الخيال. ان الشاعر اليونانى الذى يترسم خطى الاساطير الكلاسيكية كى يبنى النبض الدرامى فى قصائده يتمتع بميزة تفوق ما يتمتع به معاصروه من الشعراء فى انجلترا أو فى امريكا. انه يستطيع ان

يستحضر اشخاصاً ومواقف ذات نبرات اسطورية دون خشية من ان يكون مايفعله مجرد تصنع لفظي، أو ان يفرض آلهة وابطالا على خلفية متأبية، كأن يصور تيريزياس على نهر التايمز أو بروميثيوس في بنسلفانيا.

وقد استفاد سفيريس مثل أغلب الشعراء اليونانيين المحدثين من هذه الميزة كثيرا. ومن اسرار صنعته انه يقدم على الدوام مشهدا يجمع بين الواقعية والرمزية، يمهّد به قبل ان يسمح لأية شخصية اسطورية ان تظهر على مسرحه، أو بعبارة أخرى فانه قبل ان يحاول الارتقاء بقارئه الى مستوى الاسطورة، يقدم له تقديمًا مقنعا الحقيقة الحاضرة التي تؤكد الأسطورة وتثبت دعائمها، فلا تبدو وقد وفدت من ماضٍ سحيق غريب، بل تبدو كحقيقة حاضرة، أو على الأقل كحقيقة لم تفقد يقينيتها على مر التاريخ. وبهذه الطريقة تبعث الاسطورة إلى الحياة، ويتلاقى العالم القديم بالعالم الجديد في مجاز لا افتعال فيه. وضياح الاحساس بفارق الزمن محكم للغاية عند سفيريس. لقد اتحد الزمانان القديم والمعاصر والتحمت الشخص والاحداث، فتجلت العبرة الانسانية التي لا يتطرق اليها زوال. وعلى سبيل المثال، فإن الرحالة الحديث يشارك اوديسيوس قدره. ان الأرض المقفرة الجذباء المكرورة، والبحر الساكن المستفز اللذين نلتقى بهما مرارا في شعر سفيريس رمزان لرحلة اوديسيوس المحبطة، واخفاقه في بلوغ جنّته الأرضية التي تاق اليها، وقدره هو قدر كل جواب باحث عن وفاء لمطلب روحه الذي لا يبدو أنه بقادر على بلوغه. ان إخفاقات الملاح الهائم على وجهه أبدية. وهو ما يعبر عنه

سفيريس فى كثير من قصائده .

وفى احد تعليقات سفيريس على دور الشخصيات الأسطورية فى شعره يقول: ان الناس الذين يتأجج فى قلوبهم عدم الاستقرار، والتوق إلى الترحال والنضال، مهما اختلفوا وتنوعوا فى اوصاف العظمة والقيمة، يتحركون على الدوام بين الغيلان ذاتها مدفوعين بالتوق ذاته. ولذلك احتفظ بالرموز والاسماء التى جلبتها اليها الأسطورة، مدركين فى الوقت ذاته ان الأوضاع المتغيرة فى عالمنا هى مع ذلك الشروط التى لا بديل عنها متى سعينا إلى التعبير الأدبى.

وهكذا فإن ميثولوجيا العالم القديم تلعب دورا حاسما عند سفيريس، ولكن سوف يكون من الخطأ ان ننظر إلى هذا المصدر بمعزل عن المصادر الأخرى فى عطائه الشعرى، ذلك لأن الخيوط المتنوعة التى يتألف منها التراث اليونانى، من موروثات شعبية، ونصوص ادبية، واساطير هى خيوط مغزولة بتماسك واحكام فى اعمال سفيريس، فيحس المرء ازاءها بماضى اليونان كله ماثلا امامه. وتحتوى قصائد سفيريس الناضجة من الايقاعات عاليها وخفيضها ما يبلغ فى بعض الأحيان إلى حد من الرهافة يجعل من الصعب على الاذن غير اليونانية ان تلتقطها، وعلى الأخص متى كان عليها أن تتلقى هذه الاشعار بلغة غير لغة النص الأصلية. ولكن حتى عندما تلتقط الأذن ذلك الصوت الغنى بثروات التراث، والمدرّب على افضل ما خلفته الأجيال السابقة من اشعار، فان المرء ليدرك ان ذلك الصوت ينتمى انتماء قويا إلى العصر الحاضر. وليس الماضى فى قصائد سفيريس الا وسيلة لتشكيل صورة للحاضر والقاء الضوء عليه. واذا كانت هذه

الصورة تبدو مثقلة بالاشجان، فهذا دليل على صدق الصورة الشعرية، وإن سفيريس ليدرك قوى الخراب التي حاصرت الروح اليونانية والصعاب التي حاقت بها، ولكنه ايضا شديد الايمان بأن العمل الشعري يجب ان يمضى متشبثا بهذه الروح، يشد من ازرها ويتقوى هو ذاته بها.

المبحث الثالث: البحث عن نبض العصر

ولئن كان سفيريس قد تمسك ببيونانيته، ولم يترك نفسه ينحرف فيما انحرف اليه الشعراء الانجليز والأمريكيون في اعقاب الحرب العالمية الأولى، والذي يسميه سفيريس «بالاحساس بالأرض الخراب، فإنه ولاشك قد تأثر ايضا ببعض الشعراء الأجانب، فقد تأثر سفيريس في مرحلته الأولى بالتجارب الاسلوبية والرمزية لمعاصريه من الشعراء الفرنسيين، وقد بدا متجها في قصائده الاولى إلى تحقيق شعر «خالص، على طريقة بول فاليري وجول لافورج. على انه بظهور قصيدة سفيريس الطويلة «رواية، أو «أسطورة التاريخ، عام ١٩٣٥ بدا تحول واضح في عطائه الشعري يعزى من ناحية إلى تحمسه لشعر اليوت وباوند في بواكير الثلاثينات، ويعزى من ناحية أخرى إلى نوع من التطهر الذاتى من النمط الاسلوبى، وهو ما كان قد بدأ يتجلى منذ ديوانه «خزان المياه، عام ١٩٣٢. وبديوانه «رواية، تخلص سفيريس عن الشكليات الأسلوبية التي اصطبغت بها قصائده الاولى، وذلك من اجل اسلوب أكثر تحررا وطبيعية، وهو ما انعكس به قصائده الناضجة كلها. ونجد فيها أسلوبا مكثفا ومتحكما فيه، لا يتحلى بزخارف ومحسنات لفظية، مكتفيا بألوان محدودة وخيال قليل. وفي

هذه القصائد الناضجة يحاول سفيريس ان يجمع بين اسلوب «الحديث اليومي» وبين الأشكال والايقاعات التقليدية على نحو يخلق كثافة وإيجابية في النص الشعري.

وإذا كان بالامكان تمييز المؤثرات الأجنبية في شعر سفيريس، فإن بالامكان أيضا ان نقبين أن مادة هذا الشعر قد ظلت شديدة الخصوصية منذ البداية. ففي قصائده على الدوام ذلك الاحساس التراجيدي بالحياة الذي يستمد بقوة من تجربة مباشرة وشخصية للحياة والتاريخ، مستجيبا إلى ما عرفه الشاعر ولمسه من عذابات الانسان. ولسنا نقول ذلك كي نورد الإشارة إلى العلاقة التي طالما اشير اليها بين تصوير سفيريس لحياة الغربة وبين طرده مع سائر بنى وطنه من ديارهم آسيا الصغرى عام ١٩٢٢ ثم طوال السنوات التي عاشها خارج اليونان اثناء خدمته بالسلك الدبلوماسي، فإنه ولئن كانت هذه العلاقة قائمة وصحيحة من عدة جوانب، الا أن الأهم من ذلك قدرة الشاعر على النقاط المعنى الجوهرى لبعض الأحداث وإحالة تجربة شخصية الى مجاز يحدد ويصف انسان العصر. وعلى سبيل المثال صورة ذلك الرجل «الهادئ»، حسن الطلعة، الذي يسير باكيا في قصيدة «حكاية، مثل آلة تعزف ألما لا يعرف حدودا، وهناك الزوجان اللذان يعودان إلى البيت في «اليوم الأخير، كي يضيئا النور لانهما سلما من السير في عتمة الغسق. وهناك الرسل في «شمسنا، الذين يصلون متربين مبهورى الأنفاس كي يموتوا دون ان ينطقوا سوى بعبارة «ليس لدينا وقت..». هذا نوع الصور التي تحمل رؤية سفيريس إلى ما هو أبعد من مجرد الحادثة المحلية، وتجلب إلى خيال القارئ صورا لا تقل في عالميتها عن الصور التي أتى بها الشعراء

المعاصرون لسفيريس فى اوروبا وأمريكا.

وهناك بعض اللحظات فى قصائد سفيريس يبدو فيها الحدث ذا معنى محلى أو شخصى، ومع ذلك يتخذه سفيريس فرصة للدلاء بتقرير عن حقيقة التجربة الانسانية المعاصرة. وقد كان سفيريس قادرا ان يرتفع باللحظة السياسية إلى مستوى أبقى من لحظة الصراع التاريخى الذى سوف يتبدد وينسى. وقد امكن لسفيريس وهو يمارس عمله الدبلوماسى فى احلك الأوقات واصعب الظروف ان يصم أذنيه عن الصيحات الدعائية المتصاعدة من كل جانب ليخلو إلى نفسه مرتفعا بشعره إلى ما هو أعلى بكثير من التعليقات والتقارير السياسية التى يحيا بين أصدائها.

وعلى الرغم من ارتباط سفيريس بالمطالب السياسية العاجلة لأمتة، فقد بنى رؤية شعرية رحبية تحتوى على ادراكات تحمل ثقل الحقائق العالمية، وتكشف المعنى العميق لزماننا.

الفصل الثالث

نقطة تحول

«نقطة التحول، ديوان صغير أصدره عام ١٩٣١، شاعر يوناني شاب، لم يسبق له ان قدم عطاء يذكر. وكان هذا اول ديوان له بعد بضع قصائد متناثرة نشرت له فى مجلات ادبية مغمورة. ولم يتلق الشاعر الشاب جورج سفيريس على ديوانه هذا من النقاد سوى القليل جدا من المديح، فلم يلتفت اليه الا اثنان منهم. اولهما ناقد شاب آنذاك هو اندرياس كاراندونيس الذى سبق له ان كتب دراسة متعمقة عن شيخ شعراء اليونان بالاماس، اما الثانى فكان صديقا لسفيريس، ومتحمسا بدوره للتجديد فى الأدب اليونانى كله شعرا ونثرا. وكان هذا الصديق هو جورج ثيوتوكا، الذى كتب مقالة تعتبر تحية إلى الشاعر المجدد، واكتشافا حقيقيا لبذرة التجديد الكامنة فى شعره. على ان الذى بعث الرضا فى قلب الشاعر حقا كانت الرسالة الرقيقة

الموجزة التي بعث بها اليه شيخ الشعراء بالاماس عندما تلقى ديوانه. وقد بدأت الرسالة ببعض النقد المغلف في اسلوب مهذب - ربما لأن بالاماس كان صديقا لأبيه استاذ الأدب والسياسة - واختتمت بوصف قصائده، بأنها همسات صوفية حافلة بالأسرار.

مسار الشعر اليوناني الحديث:

في هذا الديوان الصغير - الذي اضحى لعنوانه فيما بعد دلالة - كمنت خطورة تهددت شعر بالاماس الذي تربع على عرش قلوب اليونانيين ولقب «بشاعرهم القومي»، فقد كانت «نقطة التحول»، رياحا تهب على الشعر اليوناني الحديث لتقتلع كثيرا مما هو مستتب في تربته من جذور، فقد اجتمعت في سيفيريس من الصفات ما كان من شأنه ان يكون نقطة تحول فعلا في مسار الشعر اليوناني الحديث. فقد توافر في هذا الشاعر الشاب الامام بالأدب اليوناني قديمه وحديثه، فضلا عن ثقافته الأوروبية الرحبية بفضل دراسته في الخارج، مما مكنه من ان يقف على أحدث ما يقدمه الشعر الغربي المعاصر، ومن ان يصبح قادرا على التحرر من آثار قيود التقاليد القومية التي بليت واستنفدت اغراضها ومع ذلك ظلت تستبد بالذوق اليوناني المعاصر. وقد كان من حسن حظ هذا الشاعر الشاب، ومن حسن حظ الشعر اليوناني الحديث كله، ان ظل بالاماس لم يطمس عيني سيفيريس، وي... عن ناظره الرؤى البعيدة التي يجب ان يسير اليها الشعر، ولنستمع إلى سيفيريس يقول في اخريات إحدى قصائده بديوانه «نقطة التحول»:

«لا أستطيع أن أحيا

على الدوام مع طواويس

ولا أن أسافر ليل نهار

فى عينى جلية خشبية بمقدمة سفين» .

الفهم والوضوح:

قالوا فى ذم هذا الشاعر الحديث ان شعره غير واضح، وغير مفهوم. والحق انه شعر مبهم ولكنه فى النهاية مفهوم. ولم يكن الوضوح هدفا لشعر سيفيريس لأنه اراد ان يغوص مع صنعة الشعر إلى اعماق اكثر ضبابية فى النفس الانسانية وأيضا فى الحقيقة الانسانية، ومن هنا - - - قصائد سيفيريس ما تحققه قصائد الشعر الحديث بصفة عامة من صدمة مزلزلة للعقل، لأنها تعرض عنه إلى ما يمكن ان يسمى «بالحدس»، وايضا إلى ما يسمى «بالعقل الباطن»، و«تيار الشعور». وقد اقتفى سيفيريس فى كثير من قصائده خطى «السيرياليين»، فقدم عدیدا من الصور الطلية المستخلصة من اغوار النفس مغلفة بالضبابية المألوفة فى مثل هذه الصور الشعرية. كما ان قصائده تجرى على مستويين: المستوى الأول هو ظاهر القصيدة الذى تبدو به للقارئ لأول وهلة، والمستوى الثانى هو باطن القصيدة أو جوهرها، فمايلبث القارئ متى تغلغل فى اعماق القصيدة ان يكتشف معنى او عالما اخر غير مابدا فى ظاهرها. وعلى سبيل المثال ففى قصيدة سيفيريس المعنونة «الذكرى» نعتقد عند قراءة ابياتها ظاهريا اننا بازاء قصيدة غزلية ولكن متى نزلنا درجات هذه

القصيدة إلى أعماقها وجدنا أن الأمر فيها إنما يتعلق بنوع من الحوار الروحي بين الشاعر وبين كينونة مبهمة، قد تكون حقيقة الشعر ذاتها.

في كواليس الفن:

وقد تضمنت « نقطة التحول، إيماءات إلى تطلعات سفيريس الشعرية كلها. وكان بإمكان من هو نافذ البصيرة أن يتبين ماذا سيكون عليه عطاء هذا الشاعر مستقبلا والقيمة الكبيرة التي سيضيفها إلى مسار الشعر اليوناني الحديث. وكان واحدا ممن أوتوا نفاذ البصيرة آنذاك الثرى الذواقه يورغيوس كاتسيمبالييس الذى ألع بالشعر والأدب منذ صباه دون أن يمارسه، وظل ملازما لمكانه فى «كواليس الفن، يتابع ويتأمل. وقد قاده حسه الأدبى المرهف الى التنبه لما سيكون عليه سفيريس، فتحمس له. وقد خبر هذا الثرى المولع بالفنون والآداب «السيرالية، عندما تفجرت فى عواصم أوروبا التى كان يزورها، وفى الوقت ذاته احس مع متابعى هذا المذهب مخاطره ونقاط ضعفه فتوجس منها قدر ما تحمس لها. وقد رأى ببصيرته الثاقبة أن سفيريس هو افضل داعية لهذا المذهب فى اليونان. وكما احب كاتسيمبالييس سيرالية ايلوار، تعلق قلبه بسيراليه مواطنه سفيريس. ولكن سيرالية هذا اليونانى الذى رشف الادب اليونانى قديمه وحديثه حتى الثمالة رغم عصريته كانت سيرالية مختلفة ومتميزة. ولم يكن كاتسيمبالييس بقادر ان ينكر سفيريس او يتجاهله كما تجاهل وانكر من قبل عدة شعراء معاصرين عملوا على

جلب السيريالية بدورهم إلى الشعر اليوناني، بل ان كاتسيمباليس الذي وهب حياته وثروته لخدمة الشعر اليوناني الحديث، او بعبارة أدق لخدمة التيارات الجديدة في هذا الشعر علم بحسه العميق ايضا ان مصير هذا الشعر إلى الجمود بعد بالاماس الذي لم يترك وراءه سوى بعض المقلدين.

البئر والمستودع المياه،

وقد عاين كاتسيمباليس كيف ان سفيريس الشاب الناضج البالغ من العمر احدى وثلاثين سنة آنذاك يهوى الادب بدوره دون ان يحترقه، ويصدر في العام التالي اى فى عام ١٩٣٢، ديوانا صغيرا آخر بطوان «البئر، أو «مستودع المياه، ويتجمع من حوله شباب الشعراء الذين يريدون ان يخطوا دروبا جديدة. وفي مقدمتهم الشاعر نيكيتاس راندوس الذى اصدر عام ١٩٣٣ «قصائد، تنضح بسيريالية مفرطة، وان شابها بعض التقليد والاحتذاء. على ان السيريالية - ان شئنا الدقة - كان قد جلبها إلى اليونان من باريس شاعر يوناني آخر هو ثيونوروس دوروس الذى ازعج مياه بالاماس الساكنة بقصائده المغرقة فى الغرابة والخروج على التقاليد المرعية. وفى عام ١٩٢٣ ظهرت اعمال الشاعر الشاب زيسيموس ايكونومو ومن بعده يورغيوس سارانداريس الذى قدم عطاء شعريا مرموقا رغم انه رحل عن هذه الحياة مبكرا. ولاحظ كاتسيمباليس ايضا ان الشعراء الجدد لا يستطيعون نشر انتاجهم الا على صفحات مجلات مغمورة، تكاد تصدر «خفية»، لا تصل الى اسماع وانظار القراء. وهنا يتدخل هذا

الثرى المثقف، ومرة اخرى بعد أن أنفق من جيبه الخاص من قبل لترجمة مختارات من شعر بالاماس إلى الانجليزية، ونشرها كي يعرف الأوروبيين بالشعر اليونانى الحديث، يتدخل فيقرر أن ينفق من ماله الخاص لاصدار مجلة لنشر اعمال هؤلاء الشعراء الجدد الذين يقف سفيريس على رأس قائمتهم. وهكذا ولدت مجلة من أهم المجلات الأدبية فى الحياة الثقافية فى اليونان، واكثرها تأثيرا على مسارات الحداثة فى الأدب اليونانى، وهى «مجلة الآداب الجديدة، (نيا غراماتا) التى - حولها اقلام الشعراء الجدد جميعا.

الآداب الجديدة:

وفى بداية الأمر اقتصرت المجلة الجديدة على نشر اعمال سفيريس وجماعته. وقد صدر اول اعداد هذه المجلة فى يناير (كانون الثانى) ١٩٣٥، ويدين لهذه المجلة اوديسياس ايليتيس الذى حصل عام ١٩٧٩ على جائزة نوبل فى الآداب - يدين لهذه المجلة بنشر اولى قصائده، كما نشر اندرياس امبيريكوس الشاعر اليونانى السيرىالى الكبير على صفحات هذه المجلة قصائده التى جمعها بعد ذلك فى ديوانه «قمان الجير»، كما اصدر سفيريس فى ظل هذه المجلة ديوانه الثالث بعنوان «رواية، وان كنا نحب ان نسميه «اسطورة التاريخ». وقد بدا فى هذا الديوان عازما على قطع كل الخيوط التى تربطه بأى عطاء شعرى سابق عليه، كما اتجهت جماعة سفيريس المتولية لتحرير «مجلة الآداب الجديدة، إلى شعراء سبق لهم أن أبدوا نزعة تجريبية ملحوظة من أمثال يورغيوس سارانداريس واناستاسيس

ذريفاس، ورحبت بنشر انتاجهم. وانتهى الامر بهذه المجلة الى أن أصبحت المحور الذى تلتقى حوله تيارات الشعر الحديث فى اليونان كلها. وقد استمرت مجلة «الآداب الجديدة»، فى عطائها المتمرد حتى اغسطس (آب)، ١٩٤٠ وبعد هذا التاريخ تفرق شعراء الموجة الجديدة، وراح كل منهم لحال سبيله وقد اخذت السحب السوداء تكفهر فى سماء اليونان مع مقدم الحرب العالمية الثانية والغزو الفاشى النازى لأراضيها. وقد استطاع سفيريس باعتباره موظفا بالسلك الدبلوماسى أن يحصل على قرار بنقله إلى البانيا. ومن هناك خرج لينضم إلى صفوف الاحرار الذين شكلوا حكومة فى المنفى وحاربوا مع الحلفاء حتى قدر لهم تحرير اليونان.

٢٠ الشعر الحر:

كان التغيير الذى أتى به سفيريس إلى الشعر اليونانى الحديث تغييرا مزلزلا. ولم يكن النقاد والمفكرون آنذاك فى أواخر العشرينات من هذا القرن، يقبلون ما أطلق عليه «الشعر الحر، أو» «اللاواقعية، أو» «العفوية، أو» «المجازية، أو غير ذلك من الذى نادى به سفيريس وجماعته فى اوائل الثلاثينات ومضوا فيه. وعلى الرغم من ان سفيريس حصل بعد ذلك فى الستينات على جائزة نوبل للآداب و هو أول حدث من نوعه فى تاريخ الأدب اليونانى الحديث، الا ان نضال سفيريس ورفاقه من اجل هذا الشعر العفوى اللاعقلانى الحر لم يكن بالسهل فى اوائل الثلاثينيات.

وحول مجلة «الآداب الجديدة»، ٢٠. جماعة الشعراء المحدثين

وبدأت نضالها الشاق، ولم تستهدف هذه الجماعة تجديد الحس اليونانى فحسب، بل عمدت إلى ادانة اولئك المقلدين السخفاء للبارناسية والرومانسية وغيرهما من مدارس الشعر الفرنسى واتجاهاته. وبذلك يعود الشعر اليونانى الحديث إلى طريقه السوى الذى هو العودة إلى منابعه وجذوره الاولى، أى العودة إلى «الأغنية الشعبية» وإلى «المسرح الكرىتى» وإلى سائر ضروب الأدب الشعبى، أو بعبارة اخرى ايقاظ «الهليدية» من سباتها.

وربما حدثت هذه الجهود بلا تدبير مسبق، وربما شابتها اخطاء، بل وربما ظهر فى صفوف المناضلين بعض الأفاقين المزيفين، ولكن كل هذا لا يقلل من قولنا إن الأمر كان ثورة حقيقية فى الشعر اليونانى الحديث، قام بها نفر من الشعراء الأصلاء، الذين أصبح لهم مقام عالٍ، لا فى تاريخ الأدب اليونانى فحسب، بل وفى الاوساط الأدبية العالمية. وفى مقدمة هؤلاء الشعراء: يانيس ريتسوس، وذيونيسيوس ايليتيس، ونيكىفوروس فريتاكوس، واندرياس امبيريكوس، وقد اختلفت مشارب هؤلاء الشعراء الكبار لكنهم على أى حال اجمعوا على الرغبة الباكرة فى التجديد، ورفض التقليد، وعلى البحث عن الهاماتهم فى الينابيع الإغريقية ذاتها.

الفصل الرابع.

«أسطورة التاريخ»

«رواية، أو أسطورة التاريخ، قصيدة طويلة كتبها سفيريس في الفترة من ديسمبر ١٩٣٣ إلى ديسمبر ١٩٣٤ وذلك من أربع وعشرين قصيدة قصيرة، تربط بينها وحدة عضوية قد لا تبدو واضحة للعيان أول وهلة، ولكن كلما تعمق المتذوق في القراءة تبين مبلغ تساند تلك القصائد الداخلية والتفافها حول عصب القصيدة الأم.

وقد عنون سفيريس قصيدته هذه بعنوان «ميثيستوريا» وميثيستوريا تعنى فى اللغة اليونانية الجارية «رواية»، إلا أن استخدام سفيريس لهذه الكلمة لا يعنى ذلك فى نظرنا، إذ إن هذه الكلمة مكونة من مقطعين الأول هو «ميثى»، أى أساطير و«ستوريا»، وتعنى التاريخ. ومن ثم كان المعنى الذى قصده سفيريس بإعطاء قصيدته هذا

العنوان الإفادة من المضمون المشحون بالإيحاءات والرموز التي تثيرها الأسطورة من ناحية والتاريخ من ناحية أخرى. وقد أشار سفيريس ذاته إلى ما عناه بعنوان قصيدته، مقررًا أنه اختار لها ذلك العنوان لأنه أراد أن يتحدث في أبياتها عن شخصيات من التاريخ والأسطورة مثلما يفعل الروائي في روايته، ولكن بمزيد من التركيز والتكثيف اللذين هما من متطلبات فن الشعر وخصائصه.

وتبدأ «أسطورة التاريخ، بقصيدة عنوانها «ثلاث سنوات، وتنتهي بقصيدة «هنا تنتهي الأعمال، وبين تلك الافتتاحية وقصيدة الختام هذه تتابع اثنتان وعشرون قصيدة بالعناوين التالية: «وتبقى بئر أخرى، - «ارتدبت هذا الرأس الرخامي، - «لو أن الروح، - «لم نعرفهم، - «البستان ونافوراته، - «عمّ تبحث ارواحنا، - «المرفأ قديم، - «ديارنا مغلقة، - «كان الدم في عروقه يجمد، - «ثلاث صخور، - «بيادر ولادفين، وطلقات مدافع، - «ثلاث حمامات حمراء، - «لفك النوم في أوراق خضراء، - «على الدرب، - «الآن، وانت ترحل، - «حزين أنا، تركت نهرا عريضا ينساب من بين أصابعي، - «حتى لو هبت الريح، - «في صدرى الجرح، - «نحن الذين خرجنا، - «مر بنا الكثير، - «أبعد من هنا بقليل، .

ويتكلم سفيريس في قصيدته الافتتاحية عن رحلة، رحلة معاناة ومشاق، عن انتظار طويل يحدده بثلاث سنوات، وعن ملاك كان يتوقع مجيئه ويبدو أنه لم يجئ، فتخبطت الرحلة بعد أن اخفق الانتظار، فشرقت السفين وغربت، وربما كانت سفين اوديسيوس، وربما أومات لحظة انتظار الملاك تلك إلى لحظة انهيار الدولة البيزنطية أو إلى لحظة طرد أهل اليونان من آسيا الصغرى، ويومئ سفيريس في أبيات قصيدته إلى ظروف غير ملائمة احاطت بالسفين

الذى يشق طريقا وعرا. وفي القصيدة الثانية عشرة من «أسطورة التاريخ، يتحدث سفيريس عن:

«البحر الذى اشقانا وهو عميق لم يسبر أحد أغواره،

«هنا رسا مركبنا لنرمم مجاديفنا المكسورة، ونشرب ماء، ونرقد للننام،

من نحن، أو من هم ملاحو هذا السفين الذى يقول احدهم فى الافتتاحية «عدنا إلى بيوتنا، واعضاؤنا عاجزة، وافواهنا خرائب من طعم الملح والصدأ؟

أهى رحلة اوديسيوس اذن، أم هى أى رحلة من رحلات الاغريق، تلك التى يومئ اليها سفيريس فى قصيدته «أسطورة التاريخ؟ لقد كانت اوديسية هوميروس ملتحمة بتلك الرحلة الاسطورية، التى ربما جرت أحداثها فعلا أو انطوت على مجرد تشوقات انسانية إلى البطولات والتصدى للأخطار، وكشف المخبوء والمكنون من الألغاز. ومن قبل سفيريس تناول الشاعر اليونانى المعاصر نيقوس كازند زاكى بدوره تلك الرحلة، وأفرغ فى ملحمة عنها كثيرا من المفاهيم والاجابات الوجودية للتساؤلات التى ظلت تؤرق بال الانسان منذ ايام شيخ الشعر الملحمى هوميروس الاغريقى الذى ينسب إلى القرن العاشر أو التاسع أو ربما الثامن قبل الميلاد..

ويجئ سفيريس بدوره فى قصيدته «أسطورة التاريخ، فيخلط الماضى بالتراث والاساطير، ويضع خلفية لها الطبيعة اليونانية، وعلى الأخص البحر والجبل، وهو فى ذلك عكس كافافيس الذى عاش بين أسوار مدينته وقال عنها «قلبي مدفون بها، أينما جلت بعينى، أينما نظرت حولي، رأيت خرائب سوداء من حياتى، حيث العديد من

السنين قضيت وهدمت وبددت، . فهو لم يكن من شعراء الطبيعة على خلاف سفيريس الذى يذوب شعره فى الطبيعة اليونانية من بحر وسهل وجزر وجبل، وربما كان جورج سفيريس اليونانى وسان جون بيرس الفرنسى الذى حصل بدوره على جائزة نوبل، واشتغل بالعمل الدبلوماسى مثله، فى عشقهما للمنظر الطبيعى صنوان.

وفى أبيات قصيدته «أسطورة التاريخ، يدقق الشاعر فى تصوير تفاصيله، وللاحظ أيضا كم تبلغ لهفة الشاعر لمشاهد الطبيعة، الشجر المزهر، والرخام يتلألأ لامعا فى ضياء الشمس، والبحر يختلج موجه الازرق، كم تبلغ لهفته إلى ذلك، ويدعو الراقدين مهما استبد بهم التعب أو الجرح أو المرض ان تشرئب أعناقهم ليمتعوا العين ويروا. وذلك على خلاف كافافيس مرة أخرى الذى لم يعر المشهد الطبيعى اكترائا، واذ تصاف ان رأى «البحر فى الصباح، انشد يقول دهشا بحسرة، غير مصدق انه يرى منظرا طبيعيا حقا:

«فلأقف هنا، وأرى انا أيضا الطبيعة مليا.

.....

فلأقف هنا، ولأخدع نفسى بأنى أرى هذه حقا،

ولأرى خيالاتى، ومتعة وهمية،

ان سفيريس على عكس كافافيس، يرى الطبيعة، ويعيشها، ويتكلم عن الصخر والموج، والمركب، والكهف والجبل على انها حقائق ملموسة، بل وعلى انها الحقائق الوحيدة الجديرة بالتعويل عليها، فهى على مر الأجيال باقية، وقادرة ان تحكى وبحيادية تامة، شرسة وفاتنة، عن الأمجاد التى اندثرت، ولازلنا نبحث عنها، واذا عثرنا على نقش على معدن أو حجر، فقد يمكننا أن نزيح اللقاب عن

حضارة بائدة بأكملها . ولهذا فان حضارة الإغريق، وايضا حضارة
الفراعنة من قبلهم، إنما تحادثنا اليوم عبر تماثيل ونحوت ظل كثير
منها في الطين والرمل مطمورا، أو في البحر غارقا آلافا من السنين .
ولذلك فإن سفيريس يستعير في صدر قصيدته «أسطورة التاريخ، بيتا
من شعر الشاعر الفرنسي أرتور ريمبو المولود عام ١٨٥٤ والمتوفى
عام ١٨٩١ يقول فيه:

«لو كنت ميالا إلى شيء،

فليس ذلك الشيء سوى الأرض والحجارة،

ولنستمع إلى حديث الحجارة، على الأخص، من خلال قصيدة
«ارتديت هذا الرأس الرخامي، وهي القصيدة الثالثة من القصيدة الأم.

لمن هذا الرأس الرخامي الذي يتحدث عنه سفيريس في هذه
الآبيات؟ مرة أخرى نحن ازاء الماضي والتراث والاساطير، اذ يعتمد
سفيريس ببراعة الشاعر الذي ألم بتيارات الشعر قديمه وحديثه فيخلط
اليومي بالمجازي، ويعمد الى لغة تقوم على الراحائية دون المباشرة .
وتظل هذه القصيدة تطالغنا بصورة نحتت نحتا جيدا تغرسها في
وجداناتنا، فتمضي بابهامها تثير في النفس شتى التساؤلات، وتدعو
القارئ الذواق ان يعطى لها من التفاسير ما يمكن ان يتعدد بتعدد من
توجه اليه القصيدة نداءها، بل وتنفث في اعماقه سحرها الممض
الأخاذ. وتستقى هذه القصيدة جمالها، لا من الوضوح، فهي أبعد ما
تكون في معانيها عن الوضوح، بل هي من «اللفز» تستقى جمالها،
وهو جمال لا يستنفد طالما لم يفض اللفز ويستهلك، وهو أيضا جمال
متأب تأبى اللفز الذي لا تطول القدرات العادية كنهه ولا تسبر مداه .

ولعل الشاعر قد اشفق على قارئه ان يتوه في متاهات هذه

القصيدة ودروبها التي تتشابك وتتلاقى دون أن توصل إلى مخرج نهائي، أو ربما أراد الشاعر أن يدلى بدلوه في حقل التفاسير التي تعطى للقصيدة، فنراه يصدرها باستعارة من شعر اسخيلوس في مسرحيته «حاملات القرابين» حيث يتحدث أوريست على قبر أغاميمنون أبيه، مذكرا إياه بالحمام الذي ذبح فيه على يد زوجته الخائنة كليتمينسترا وقد جاء أوريست ابنها ليقتص منها لمقتل أبيه. ولكن هذه الإشارة يجدر ألا تقيد القارئ، فله مطلق الحرية - وفقا لتعاليم الشعر الحديث - أن يخوض في العمل الشعري غير مقيد بأي رأى مسبق فيه، حتى ولو كان رأى الشاعر نفسه.

وربما كان من المجدي أن نشير من خلال «أسطورة التاريخ» وغيرها من قصائد سفيريس، وعلى الأخص قصيدته «ملك اسينه» إلى أن الشاعر «صاحب قضية» تمسك بالدفاع عنها والتدليل على شرعيتها في شعره كله، أن لم تكن قضيته هذه هي أيضا منطلقه الأول لكتابة شعره، وهي التي جعلته يتبوأ مكانته كواحد من كبار شعراء «القومية الهلينية» إلى جوار سولوموس وكالفوس وبالاماس وصقيليانوس. وقد اشير إلى ذلك بجلاء أيضا في التقرير الذي أعد بمناسبة منح سفيريس جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٦٣. فكان بذلك أول من حصل على هذه الجائزة الأدبية العالمية، التي هي على حد قول ايليتيس الذي حصل بدوره على هذه الجائزة عام ١٩٧٩ ليست تكريما للشاعر بقدر ما هي أيضا تكريما لشعر الأمة التي ينتمي إليها واعترافا بعلو مقامه الأدبي.

والقضية التي تتردد أصداؤها في عطاء سفيريس هي أساه على ما اتحدرت إليه الهلينية في الأزمان الحديثة، وضرورة السعي حثيثا إلى استرداد اليونان مكانتها الحضارية القديمة. ويمكننا أن نستمع إلى

سفيريس يتحدث في «أسطورة التاريخ، عن ذلك بطريقته الإيحائية غير المباشرة التي تميل إلى التكثيف والتخلي عن الزخارف، ربما استفادة في ذلك بدروس كل من الشعارين الفرنسيين بول فاليري وستيفان مالارميه..

ولنتوقف مليا عند عبارات مثل هذه: «بئر أخرى في الأغوار.. كان من السهل علينا قديما أن نغترف نحوتا وحليا.. الحبال تمزقت.. اللدوب عند فوهة البئر... سعادتنا الغابرة... تنضب القطرات، ويعم الصمت الوجود.. حزين انا، تركت نهرا عريضا ينساب من بين أصابعي.. كل ما أحببت ضاع.. الظلال أضحت ضيقة.. النسمات التي تهب لم تعد تنعشنا. يثقل كواهلنا اصدقاء ما عادوا يعرفون كيف يموتون..، ألا نشعرنا هذه العبارات بماض تليد متحسر عليه ضاع وانقضى.. ترك فراغا لم يفلح حاضر من بعده أن يشغله. ومثل مياه نهر أو رمال صحراء تسرب ذلك الماضى القديم من قبضة اليد، ليخلف وجودا خاويا، ولذلك كان على بنى اليونان المحدثين واجبا قوميا جليلا هو أن يردوا إلى وطنهم اعتباره القديم..

الفصل ١٠ مس السفير

بهذا استطاع سفيريس أن يخط اسمه فى تاريخ الشعر اليونانى الحديث، بل وأن يعدل مساره، وأن يلقى أعجاب شباب احتذى حذوه، وتآلف بذلك ما يمكن أن يسمى فى الشعر اليونانى الحديث «بالسفيرية».

وقد خلص سفيريس إلى أن الشعر يجب أن تتوافر له المقومات الآتية:

أولاً : الحس التراجيدى

ثانياً : المشهد الطبيعى

ثالثاً : التكليف والتخلى عن الزخارف

رابعاً : الإيحائية دون المباشرة

خامسا : خلط اليومي بالمجازي،

وأخيرا، وليس آخرا: القضية، أو بعبارة أخرى السياسة مصعدة إلى الشعر، والسياسة في هذا المقام هي سياسة النظر البعيد، سياسة المستقبل والغاية، لا سياسة الظروف والاهواء المتقلبة، وهو ما يوصل الشاعر الحديث في خاتمة المطاف إلى مواجهة الإنسان المعاصر من خلال مواقف محلية وقومية وعالمية.

وقد لقب الشعراء اليونانيون المجيدون الذين كان سفيريس واحدا منهم «جيل الثلاثينيات». وقد كان لسفيريس الذي برز بين صفوف هذا الجيل تلامذة ومريدون، احتذوا بالنمط الشعري الذي أتى به، وعاشوا تحت ظلال عوالمه الشعرية. على أنه من ضمن هؤلاء وجد أيضا من اختط لنفسه طريقه، دون أن ينشق على أي حال على استاذة الشاعر الكبير سفيريس.

ومن هؤلاء ميتسوس انطونيو المولود عام ١٩٠٦ وهو أوبرع تلامذة سفيريس وصديقه الشخصي. وقد تابع أعماله ومراحله عن كُتب ونشر عام ١٩٣٩ قصائده الأولى ثم صمت سنوات طوال، ليعود عام ١٩٦٧ ليصدر مجموعته الثانية بعنوان «الهند، ثم يردفها بديوان ثالث عام ١٩٧٥. ويتفوق انطونيو في «المونولوج الداخلي، ويبدو فيه الشاعر متأملا في اطار من أجواء سفيريس، حول امكانيات التلاقى بين العطاء الاغريقي القديم والحياة المعاصرة، والاحطار التي يمكن أن تتهدد «الهينية، بالاندثار.

ومن تلامذة سفيريس أيضا الذين احتذوا به الشاعر اندرياس كامباس المولود عام ١٩١٩ والمتوفى عام ١٩٦٥ وقد انسحب مبكرا من حياة اليونان الثقافية تاركا عطاء شعريا قليلا. وإن كانت لا تخلو

أية مجموعة من مختارات الشعر اليوناني الحديث من بضعة نماذج جيدة له. وقد ذهب كامباس ليقيم في لندن. وفي عام ١٩٥٦ أصدر ديوانه «عشر قصائد» دون أن يتضمن هذا الديوان إضافة حقيقة إلى عطاء مدرسة سفيريس، بل بدا على كامباس اتجاهه إلى التسليم بهزيمة الإنسان في هذه الحياة. وقد غاص كامباس في الصمت بعد هذا الديوان من جديد وإلى الأبد.

ثم هناك الشاعر آريس ذيكتيوس المولود عام ١٩١٩ الذي بدا تأثيره الواضح بسفيريس منذ الثلاثينيات، على ما تجلى فيما أصدره من ديوانين عام ١٩٣٨. كما كان قد أصدر ديوانا سابقا عام ١٩٣٦ على أن عطاء ذيكتيوس الشعري لم يكتمل ويبلغ نضجه إلا بعد الحرب العالمية الثانية. وقد أثبت هذا الشاعر جدارته في مجالى النقد والترجمة أيضا. على أنه يظل يتقلب تحت ظلال سفيريس، وإن كان لا يرضى بذلك كثيرا. هذا بالإضافة إلى تأثير شعره في وضوح بمؤثرات أجنبية، فرنسية على الأخص.

أما نانوس فالاوريتيس المولود عام ١٩٢١ فقد كان من شباب جيل الثلاثينيات. وقدم كتاباته على صفحات مجلة «الآداب الجديدة» ومنها عرف أول مرة، وإن كان حفيدا لشاعر يوناني كبير هو اريسطوطيليس فالاوريتيس. وقد اكتمل عطاء نانوس فالاوريتيس الشعري بما أصدره من دواوين بعد الحرب العالمية الثانية. وبدأت بصمات سفيريس واضحة على قصائده، فضلا عن تأثيره أيضا بجده الشاعر الكبير، الذى كان واحدا من أفضل الشعراء الذين تغنوا بالطبيعة اليونانية. وهذا ما نجده أيضا لدى سفيريس، وإن اختلفت الزاوية التى نظر كل منهما إلى الطبيعة. وهذا اختلاف يبرره اختلاف العصر الذى ينتمى إليه كل من الشاعرين الكبيرين. فقد

كانت «الرومانسية» هي السائدة على شعر فالأورتييس الجد وعصره،
بينما تمخض القرن العشرين عن أساليب جديدة، في مقدمتها
الرمزية والسيريالية وما بعد السريالية، وهذه هي الاتجاهات التي
أثرت على شعر سفيريس ومن بعده تلميذه ثانوس فالأورتييس الذي
عاش طويلا خارج الديار اليونانية، وعرف اسمه في الاوساط الأدبية
الأجنبية وبخاصة الأنجلو ساكسونية.

ولقد كان لسفيريس وشائج وثيقة بالشاعر اليكساندروس
ماتيساس المولود عام ١٩١٠ والمتوفى عام ١٩٦٩ وقد كان بدوره
دبلوماسيا مثقفا. كتب الشعر وأصدر ديوانا من جزئين صدر أولهما
عام ١٩٣٤ وثانيهما عام ١٩٤٦. كما عرف بتراجيدياته التي قدمها
«المسرح القومي» اليوناني. ويتصف شعره برصانة تليدة ونبرة قلق
مما نجده أيضا في شعر سفيريس الغنائي على الأخص.

ويبقى أن نشير من تلامذة سفيريس أيضا إلى بافلوس
كرينيسوس المولود عام ١٩٠٣ والذي تجلت موهبته الشعرية منذ
الثلاثينيات. ولئن كان قد مارس ضروبا أدبية متنوعة إلا أنه يظل
شاعرا في المقام الأول. وإذا كان عطاؤه الشعري تربطه قرابة بشعر
سفيريس إلا أنه يقل عنه كثيرا في القدرة الغنائية والتشكيلات
الجمالية.

القسم ٤٠ نى

١ عمال الشعرية أ نجور: سفيريس

نقطة التحول

محاروسحب

«ولكن كل شيء كان بالنسبة لى خاطئاً، وانقلب رأساً على عقب،

فتولدت طبيعة الأشياء فى ناظرى من جديد،

ايروكريتوس

١٠٠ تحول

أيتها اللحظة، يا من أرسلتك يد
طالما أحبيتها،
لحقت بي والشمس موشكة الغروب
مثل حمامة سوداء.

أضحى الطريق أمامي ناصع البياض،
غمامة نعاس را..
في أعقاب عشاء أخير...
أيتها اللحظة، يا ذرة من الرمال

يا من استبقيت وحدك
ساعة الفجيرة كلها
خرساء، كما لو كنت في الحقل السماوي
رأيت هيدرا^(١)

(١) أفعى ذات سبعة رؤوس، ورد ذكرها في الأساطير اليونانية.

٢- بتؤدة كنت توجهين ا

بتؤدة كنت، أمام الشمس، توجهين الكلام
والآن، الدنيا ظلام
يا من اسمك بيليو وقد لا يكون
يامن ' بخيوطك الأقدار.

ماذا حدث لهذا العالم الفسيح
في خمس ثوان؟
حب غير مكتوب انطمس
وجرة دب فيها النضوب

وحلّ الظلام... أين المكان
وأين قوامك العارى حتى الوسط
رباه، وأين موقعي الحبيب
وأين ما تتحلّى به روحك من تهذيب!

٣- صبية حزينة

عند صخرة الصبر
جلست في الغروب
وقد بدا من سواد عينيك
انك تتألمين.
وعلى شفثيك ارتسم الخط
العاري المرتعش الذي يرتسم
عندما تضحي الروح نولا
ويتعالى النواح.
وكانت في عقلك النغمة
التي تحرك الدموع

وكننت غصنا تحليه الثمرة المدلاة عند الطرف
لكن الأسى الذى يمزق قلبك
لم يسمع له أنين، وأضحى
الايماء التى تمنح الوجود
سماء لألاءة النجوم.

٤- أوتوموبيل

على الطريق مثل حصن
برجلٍ منفرج الساقين
اصابع الريح فى الشعور
وفى الأحشاء أميال،

كلانا راحل، خاوى الوفاض
نظرة العيون ودیعة مثل ارتخاء السياط
العقل قناع من المساحيق، والدم أيضا قناع
عريان، عريان، عريان!

. . . الوسادة على سرير

مرتفعة ليئة،

كيف تلاشى الدوار

مثل سمكة تنساب في الاغوار...

عند مفرق الطريق

كلانا بالجسد رحل

لكنه بالآخر في القلب احتفظ

وتفرقنا، رفيق إلى اليمين، ورفيق إلى اليسار، كل في

طريقه مضى.

- نكران

على الشاطئ الخفى
ناصع البياض مثل حمامة
عطشنا عند الظهيرة،
لكن الماء كان أجابا.

على الرمال الذهبية
سطرنا اسمها،
هبت نسمات البحر
فامّحت الكتابة.

بأى روح، وأى عاطفة،
بأى شهوة، وأى ...
عشنا أيامنا: وكان ذلك خطؤنا!
فعدنا وغيرنا حياتنا.

٦- رأيت في الجحيم

حمقى من أكلوا أبقار هيلوس هيبريون، أما
هو فقد حرمهم جزاء
على ذلك من اليوم الذى يعودون فيه إلى
الديار .

الأدوية

كان لازال لدينا بعض كسر من خبز جاف
فيالها من حماقة
أن أكلنا ونحن على الشيطان
أبقار الشمس السمان .

وقد كانت كل منها قلعة
تحارب لتظفر بها
أربعين عاما طوال،
وتصبح نجما ويطلا من الأبطال!
على ظهر الأرض أدركنا الجوع
وعندما أكلنا وشبعنا
تردنا إلى هذا الدرك
حمقى، وراضين بذلك على أى حال.

٧- ضباب

«قلها على أنغام القيثارة» (١)

«قلها على أنغام القيثارة»

تعالى بذلك صوت الحاكى مدمدما،

بالله، خبرنى ماذا أقول لها

وقد ألفتُ الآن وحدتى؟

شحاتون انيقو الهندام

من آلات الاكورديون يعتصرون الأنغام

(١) كلمات من أغنية إنجليزية شائعة فى العشرينيات

ويناجون ملائكتهم

ملائكة الضنى والسقام

بسطت الملائكة أجنحتها

وعلى الأرض تكاثفت غمامات الضباب

شكرا لله، فلولا ذلك، لأمسكت تلك الملائكة

بارواحنا المسكينة مثلما تمسك بأسراب السمان.

والحياة باردة مثل سمكة

- أهكذا تعيش؟ - اجل، وكيف اعيش غير ذلك؟ -

الغرقى كثيرون

بالاعماق فى قاع المحيط.

الاشجار مثل مرجان

لونه ادركه النسيان،

وعربات النقل مثل سفن

غارقة فى اليم تعاني الهجران...

«قلها على أنغام القيثارة...»
كلمات لذات الكلمات، ومزيد من الكلمات؟
ياأيها الحب أين محرابك
من هذه الخلوة.

بالله كيف كنا سنقضى أيامنا
لو كانت هذه الحياة خلقت سوية!
ولكن الأقدار أرادتها لنا على غير ذلك
واجبك إذن أن تنزوى فى ركن صغير.
أى ركن هذا؟ من يدري؟
الضياء على الضياء تنعكس شاحبة
والجليد يلزم الصمت لا ينبس بكلمة.
أرواحنا معلقة بأسناننا .

هل سنجد عزاء؟
اكتسى اليوم رداء الليل -
كل شئ أضحى ليلاً، كل شئ أضحى ليلاً -
ولكن لو بحثنا ونقبنا سوف نجد على أى حال شيئاً...

وقلها على أنغام القيثارة...
المح أظافرها الحمراء
على وشك التوهج في ضوء النار
وأمنى أذكرها، أذكرها كلما انتابني سعال.

لندن: عيد الميلاد ١٩٢٤

٨- أحوال يوم

«رأينا بوضوح أنه ما من أحد يحيا
فى تلك السفين المتهالكة،
إدجار آلان بو

انطباعات يوم عشناه منذ عشر سنوات فى بلد أجنبى
لحظة قديمة ولت فيها الروح الأثيرية على جناحين
هاربة

ومثل ملاك من ملائكة الرب اختفت
صوت امرأة عانينا فى نسيانها كثيراً من الآلام

نهاية لا عزاء فيها، غروب رخامى ليوم من أيام سبتمبر
كان بارداً مثل الرخام.

بيوت جديدة، عيادات علاها التراب، نوافذ مثل طفح
جلدى، ومحلات تبيع للموتى «نعوش»...
هل قدّر أحد معاناة صيدلى مرهف الحس فى وردية
ليل؟

الفوضى ضارية فى الغرفة أطنا بها: الأدرج والنوافذ
والابواب فاعرة
أفواهها مثل وحوش كشرت عن أنيابها.
رجل محبط يبسط الأوراق، يستهدى النجوم، ينبش
فى الأرجاء باحثاً عن شئ

قلق هو: لو دقوا الباب من سيفتح لهم؟
لو فتح كتابا من سيرى بين طياته؟ لو فض روحه من ذا
الذى من هذه الروح سوف يطل؟ سلسلة متتابعة
الحلقات..

أين الحب الذى يشق الزمن بضربة واحدة ويصعقه؟
كلمات فحسب وايماءات. حديث من جانب واحد فى

المرآة من حيث التجاعيد تلوح.

والسأم مثل قطرة حبر على منديل يسرى وينتشر.

كل من على السفينة مات، ولكن السفينة تمضي إلى مقصدها المستهدف منذ أن أبحرت من الميناء

كيف نمت أظافر القبطان... ولحية رئيس البحارة الذي كانت له في كل ميناء عشيقات، كيف أ... شعناء..

تعلو الأمواج بتؤدة، وتزهو الجبال،

ويضحى اليوم وديعا.

ثلاثة حيتان يلمع سوادها وهي تشق الماء ، وتبتسم جنية البحار الخشبية على مقدمة السفين، ويلوح من على سطحه بحار منفرج الساقين منسيا هناك.

تعقيب على أ ث

خيم الظلام على الشرفة.
رفرفت من حولنا لهفة قلبينا
وقد تعاها
على اعتراف متبادل بيننا.

صمر الصوت العقيم
وعلى الشفاة، مثل خلية نحل، - - آلاف الأخطاء
ومن أعماق جسدنا فحسب،
ياإلهي، انتظرنا البركات.

للظلام داخل البيت طنين
ومن نجمة المساء، سرى
إلى شعرك الأخاذ ضياء.
ملاك بعيد المنال، هل تذكرين؟

تهاوت بغتة خواتيم ذات مضاء
تفتحت فى الفكر مروحتان
وقرأنا خواطر متماثلة
بذات الخشوع، الذى تقرأ به الأناجيل.

يا امرأة عن روى غريبة
من زيارتك غير المتوقعة
يا أيتها الرائعة الحبيبة
تبقى لى اليوم ذكرى الأمسية الرعناء.

وعيناك السوداءوان
ورعب الليلة حبيسة الهواء...
اتحنى، يا امرأة وادخلى الغمد من جديد
يا من كنت نصلا بتاراً لصمتى، يا عنقاء..

١٠- شهاب

هذا الضوء الأزرق

بين أصابعنا

ليس بحرا

ولا هو العالم

تحت الجفون

آلاف اللوامس

أصابها الدوار

تنقب باحثة عن السماء

ياقرنفلة حمراء
وحيدة في الاناء
وقفت مثل الحب
ماثلة أمامي
وانا أخط سطورى
كان هناك غزال
أصفر كبريتى اللون
وقلعة
بنيت من ذهب

خمسة غريان
أحصت سنوات عمرها
تعاركت، ثم تفرقت
مثل نجمة خماسية الأركان

سواسن بيضاء
زينت شعر الحبيبة
وعن جسد الحسناء
سطرت كتباً عديدة.

لا أستطيع أن أحيا
مع طواويس فحسب
ولا أن أسافر ليل نهار
في عيني عروس بحار.

١١- إيقاع

شفتاي حارسا حبي، لولاهما لكان انطفأ
ذراعان قيذا شبابي، لولاهما لكان شبابي ذوى
وجه فى مكان ما من الطبيعة لونه ضائع
قنص... وأطيار... وشجر

يا جسدا، أنضجه وهج الشمس مثل حبة عنب
يا جسدى، الى أين رحيلك، ياسفينى الثرى؟
انها الساعة التى يغرق الغسق فيها وجه الأفق

وأجهد أنا عن الظلمة باحثًا...

(كل يوم تتناقص حياتنا يوما).

١٢- ذكرى

كنت الصمت المقدس
بيضاء بلون الأرز
بينما على الدوام تعود
رعشة الفرار.

... مع دوامات الريح
يا أيتها الروح الراحلة
وفي الأحزان
تركتنا.

ما ان يحين الليل أطل من ثنايا الشجر
ولا زالت أجفان الأصدقاء مطبقة.

١٣- أغنية *

نبئت البذور

أورقت

بزغت ورقة، ورقتان

في الحقول.

أخبرك بذلك عراف الموالد

ضمننا شوق المواجد

والتحمت الشفاه في قبلة عشق، يا حبيبتي!

١٤- كلمة

«من الناس من يبلغ غرور طموحاتهم
شأوا يجعلهم يحتقرون الالتفات إلى
الأشياء العادية، ويثبتون أنظارهم على
أشياء بعيدة المنال، فيجدون في طلب ما
في الأثير من خواء، تحذوهم إلى ذلك
آمال عقيمة»

بيندار

(١)

ياوردة القدر سعيت لجرحنا
بينما مثل سر جاءه المخاض كنت تنحنين نحونا
جميلة كانت الوصية التي اخترتها لنا

وابتسامتك كانت مثل سيف مشرع.

كلما بزغت طلعتك بعثت دورتها الحياة في الخليقة

ومن شوكتك انطلقت تأملات الطريق

وأشرق شوقنا عاريا لنوالك

كان العالم سهلاً، مجرد تبضة.

(.)

أسرار البحر على الشطآن تنسى

وعلى الزيد ظلمة القاع.

وفجأة يومض مرجان الذكرى ببريق الأرجوان

مكانك، لا تتحرك... اصغ لتسمع تحركاته

الخافتة... مسست الشجرة المحملة بالتفاح

اليد انبسطت، والخيط يريك ويرشدك...

آه، أيتها الرعشة المظلمة عند الجذور وفي الأوراق

لو كنت أنت التي ستعيدين الفجر المنسى!

لو تزهر في حقل الفراق زنايق من جديد

وتتفتح أحضان السماء أياما ناضجة

لو تلمع تلك العيون وحدها في الضياء الساطعة

وتصبح الروح نقية سطورها مثل أغنية مزمارة...

أكان الليل قد أغمض جفنيه؟ لازل الرماد باقيا
مثلما من ضربة قوس كمان يبقى طنين مكتوم،
الرماد على الشيطان السود والدوار في الرؤوس
وخفقات كثيفة من جناح في الظنون حبيس.
ياوردة الريح، كنت تعرفين، لكنك أخذتنا غير مدركين
في وقت كان الفكر يبني فيه جسورا
كي تتشابك الأنامل ويمضي مصيران
وفي خفوت الضياء الساكن ينسكبان.
(.)

يأيتها الرعشة المظلمة عند الجذور وفي الأوراق!
انفضي النعاس عن عينيك شدى من قامتك وتقدمي إلى
حيث الصمت الكثيف
ارفعي رأسك من على ذراعيك المعقودتين
لتكن مشيئتك، ولتسمعي من جديد.

الكلمات التي كانت تعانقنا وتلهب فينا الدماء
ميلي بعواطفك الجياشة نحونا كما تميل من شجرة الجوز
الظلال

ولتغمرنا جدائل شعرك بفيضك السخي
وليسر فينا إلى شغاف القلب ملمس القبلة على الشفاة.

خففت عيذك وعلت شفتيك الابتسامة
التي سجلها بتواضع مصورون قدامى
وتمتم صوتك الخفيض
بقراءات منسية من إنجيل قديم:

يمر الزمان بالناس أملس رخوا
ويغمر الألم جنبات الروح ويفيض بلا روية
يشق الفجر أديم السماء ويظل الحلم منبهما بلا هوية
كما لو أن شجيرات عطر تنهادى وتمضى.

الفرع فى عيني، وتوهج بشرتى
أيقظا سرب الحمام من رقاده فطار نازلا
يحاصرني بتحويمه الخفيض
بينما النجوم على صدرى لمسات بشر.

أسمع، كما فى محارة، خصام المتنازعين
من بعيد ونواح العالم المضطرب.

مجرد لحظات ويختفى كل هذا
لأنفرد بالتأمل الملهوف في مبتغاي مثلما يشتبك غصنان
على شجر.

خيل إلى أنني صحت عاريا في ذكرى تلاشت
جئت فيها أليفا وغريبا، يأيها الحبيب الغالي
تميل على وتمنحني خلاصا غير محدود
كنت من العاصفة المزلزلة أنتظره...

تضاءل الغروب الكسير واختفى
وبدا ضلالا أن تسأل السماء عطايا
خففت عينيك. أزهرت شوكة القمر
وانتابتك الرهبة من ظلال الجبل.

. . . في المرأة، كم يتضاءل الحب
والأحلام بالنوم تعلمنا النسيان
في أعماق الزمان، وكم ينكمش القلب
في حضن غريب وفي هدهداته يتبدد...

(د)

ثعبانان جميلان متباعدين، للفراق قرنا استشعار
يزحفان، يبحث كل منهما عن الآخر في ليل الأشجار،
من أجل حب سرى في مكان خافية عن الأنظار
ساهران، يبحثان، لا يقريان ماء ولا طعام..

يدوران ويتلويان، يغزل عزمهما الذى لا يلين
خيوطا يكثرها، يلفها، ينشرها، ويبرم بها اسورة يطوق بها
الجسد

الذى تحكمه فى قوانين القبة العامرة بالنجوم
وتحرك فيه خالا حارقا لا رادع له ولا يستكين..

الغابة مثل عامود ليل مرتعد
والصمت قدح من الفضة تتساقط اللحظات فيه
يسمع أصداءها جلية أزميل حاذق
كابدت دقائقه خطوط منحوتة..

بزغ التمثال بغتة، بينما الأجسام امّحت
فى الفجر، فى الريح، فى الشمس، فى المطر.
هكذا تولد الأشياء الجميلة التى تمنحنا الطبيعة
ومن يدري كم من نفس فى هذا العالم ماتت من أجلها.
ربما ما كان ثعبانا الفراق قد دارا إلا فى المخيلة
(الغابة تتلأأ بالطير والغدران والزهور المتفتحة)
لازال بحثهما المتماوج ماضيا
مثل دوران الأفلاك المورث للشجن.

(هـ)

أين راح اليوم ذو الشقين الذى بدل من حالنا؟
ألن يوجد نهر صالح يبحر بنا؟
ألن توجد سماء ينعش نداها
الروح التى تغذت باللوتس وتربت فى خدره؟

على صخرة الصبر ننتظر المعجزة
التي تشق السموات وتجعل كل شئ ممكنا
وكما فى المأساة القديمة ننتظر البشير

لحظة أن تختفى ورود

الغسق المتفتح ... ياوردة حمراء، وردة الريح والقدر

بقيت نغما عميقا في الذاكرة

ياوردة الليل، مررت تخطرين، وتخطر قرمزية

تموجات البحر من حولك . كم هو ميسور هذا العالم .

أثينا ٢٩ أكتوبر - ٣٠ ديسمبر

١-البئر

الى يورغوس ابوستولينيس

تبينت انه كان على أن أضع مستشفى دون جوان
تافيرا على هيئة أنموذج، وليس ذلك فحسب لأنها
تكاد تغطي بوابة فيزاجرا، ولكن أيضا لأن قبتها
شمخت حتى استحوذت على المدينة كلها. وحين
وضعتها كي تبدو كأنموذج ونقلتها من مكانها بدا
لى من الأفضل أن أظهر واجهتها بدلا من جوانبها
الأخرى. أما موقعها فى المدينة فهذا يبين على
الخريطة.

دومينيكوس ثيوتوكوبولوس

هنا بئر في التراب موعلة الجذور
جب من الماء الخفى تجمع مثل كتوز
لخطوه فى الأعماق على السطح أصداء . والنجوم
بمنأى عن الامتزاج بخفقات قلبه . كل نهار
يطلع، يفتح نوره ثم يتغلق، ولا يتسنى له لمس أبيمه .

العالم من فوقه يفتح مثل مروحة
يعزف على هبات الريح
إيقاعاً مع الغروب يزول
يرفرف العالم بجناحيه بلا رجاء، ويدق نبضه
عند صفير عذاب عليه مكتوب .

قبة ليلة لا ترحم
وطأت إطارها الهموم، وحومت من حولها الأفراح
وعلى صليل قدر سريع الخطوات
تضئ وجوه، تلمع لحظة
ثم فى ظلمة الأبنوس تموت .

وجوه ترحل ! إلى بالوعة الألم المرير
صفوفاً تتدحرج العيون
وعلامات اليوم الكبير
تأخذ بها وتدنيها
من الأرض السوداء التي لا ترجو خلاصاً.
ينحنى إلى التراب جسد الإنسان
كى يبقى الحب الظمان
نحتاً من الرخام بلمس الأزمان
ويسقط التمثال عارياً فى الحوض المعطاء
الذى برفق يهون عليه الأحزان.

.. * الحب عن دموع يروى بها ظمأه
تنحنى الورود.. أرواحنا..
وتسمعنا الطبيعة عبر الأوراق نبضها
يقرب الغسق مثل عابر سبيل
ثم يجيء الليل ومن بعده القبر.

ولكن هنا البئر تغلغت فى التراب جذورها

جب خفي دافئ يختزن
من الأثير أنات الأجساد
معارك الليل والنهار
وينمو العالم، يمضي لحال سبيله، دون أن يطول البئر
بلمسة.

تنقضي الأزمان والشموس والأقمار
بينما البئر تجمدت مثل مرآة مياهه
وراح بعيون مفتوحة يترقب
غرق شيطان البحر الذي يمدد بزاده.

وحيدا، وفي قلبه كل هذا الزحام
وحيدا، وفي قلبه كل هذا العناء
وهذا الألم، قطرة قطرة
ينشر شباكه بعيدا
في عالم تمر فيه الحياة بالشقاء.

تحركت الموجة خارجة من الحصن

فهل ينتهى بها المطاف عائدة الى ذات الحزن
وهل منحتنا تلك الموجة قبل أن تتكسر
على الرمل، ولا يبقى منها إلا الزيد،
هل منحتنا الحب؟

انبسط الدفء مثلما من فراء
مطواعا مثل حيوان وسانان
بهدوء تحاشى الخوف
وطرق باب النوم سائلا
عن بستان تمطر فيه الفضة.
جسد مخبوء، صرخة من الأعماق
انطلقت من كهف الموت
مثلما يتدفق الماء فى القنوات
وتلمع على العشب منه قطرات
يتحدث وحده إلى الجذور السوداء...

أواه، أنت أقرب إلى جذور حياتنا
من فكرنا وما بنا من قلق!

بل ومن شقيقنا الجهم
الذى ينظر إلينا من تحت جفون مطبقة
بل ومن الحرية التى لا تزال طعنتها فى جنابنا!

أواه، لو أن الصمت الذى يحكم علينا قبضته
لأن جلده على غير انتظار عند لمسه
علنا أيتها الآلهة، ننسى الخطيئة
التى تنمو وتتقل كل يوم منا الكواهل
علنا نهرب من وطأة الجوع واشتهاء المعرفة!

نلمم الجراح
كى نفلت من أوجاعها
نلمم مرارة الجسد
كى نفلت من مرارة الجسد
وتزهر الورود فى دماء جراحنا.

فلتصبح الأشياء من جديد
على ما ألفتها فيها الأصابع والعيون والشفاه فى أول أمرها

فلنطرد المرض الذى استبد بها سنين تلو سنين
مثلما تطرح الحيات جلودها
وتخلفها وراءها على العشب الأخضر صفراء شاحبة .

ياأيها الحب الطاهر الكبير، يأيتها السكينة الصافية!
ذات ليلة فى الدفء النابض بالحياة
انحنيت بتواضع مثل قوس مشدود
مثل جناح أبيض يرفرف على سرب من تحته
مثل راحة يد تربت على الهيكل حانية .

البحر الذى أتى بك حملك بعيدا
إلى أشجار الليمون الزاهرة
الآن وقد استيقظت المنايا برفق
آلاف الوجوه ثلاثية التجاعيد
اتخذت مواقعها فى موكب الجناز المهيب .
حاملات القرايين ينشدن مراثيهن الحزينة
رجاء أن تفسح الطريق لأمل الإنسان
المغروس فى المآقى بالسنة النيران

باعثة الضياء للأرض الضريرة
التي تتفصد عرقاً من مجاهدة نيسان.

شموع ولهيب من عالم بعدى
على شرف الربيع الذى تبزغ اليوم بشائره
وأطياف نائحات على أمجادٍ ماتت
خطوات.. خطوات.. وصليل جرس وتيد
يفض سلسلة سوداء الحلقات.

«نحن نموت! وآلهتنا تموت!...»
تعرف التماثيل الرخامية ذلك، وهى تطل
مثلما يطل الفجر الأبيض على الضحايا
المختلفة عنها وقد استحالت أكفاناً وحطاما
بينما جموع الموت تمر فى طريقها وتمضى.

.....
.....
.....
.....

ابتعدت وولت

دب الدفء فى أوصالها إلى جوار شموع الكنيسة الخفيضة
التي سطرت على جباههم المطرقة
أمارات الحياة العامرة بالفرح ساعة الظهيرة
عندما تنمحي النجوم وينطفئ السحر.

لكن الليل لا يأمل فى الفجر
والحب يمضى حال حياته يتشرنق بالموت
وهكذا البئر، مثل روح حر
يعلمنا الصمت
فى المدينة المشتعلة الأوار.

١٦. أسطورة التآري

«وأنى لمن كان بى ميل لشيء، فللأرض والحجارة أميل»
آرتور ريمبو

(١)

الملاك

انتظرناه مترقبين، ثلاث سنوات،

محدثين عن كذب فى أشجار الصنوبر على الشط،

شاخصين إلى النجوم

خالطين بين سكين المحراث وأسفل السفين

كنا عن البذرة الأولى

كى تعود المأساة القديمة فتبدأ من جديد.

وعدنا آخر النهار من رحلتنا متعبين،
أعضاؤنا، وأفواهنا خرائب
من طعم الملح والصدأ.
وعندما استيقظنا رحلنا نحو الغرب، غرباء
غارقين في ضباب من ريش ناصع البياض،
ريش البجع الذى كان يثخننا بالجراح.
فى لىالى الشتاء، كانت رىح الشرق العاتية تذهب بعقولنا
وفى الأصىاف، كنا نضىع فى عناء نهار
غىر قادر أن يلفظ أنفاسه الأخيرة.
وأحضرنا معنا
هذه النقوش من فن متواضع.

(ب)

«بئر أخرى فى الأغوار.
كان من السهل علينا قديما أن نقتنى نحوتا وحليا تدخل البهجة
على أصدقائنا الذين ظلوا لنا مخلصين
الحبال تمزقت

والندوب عند فوهة البئر تذكرنا وحدها بسعادتنا الغابرة .
تحس الأصابع - على حد قول الشاعر - رطوبة الصخر
هنيهة .
وما يلبث أن يزحف إليها دفء الجسد، ويسود .
وتلعب البئر بروحها، فتضيع منها لحظة بعد لحظة، وتنضب
القطرات، ويعم الصمت الوجود .

(ت)

«تذكر الحمامات حيث اغتالوك،

استيقظت وبين يدي هذا الرأس الرخامي
الذي أضنى حمله مرفقى، ولا أعرف أين أضعه .
كان يغرق في الحلم بينما كنت أستيقظ أنا من الحلم
وهكذا اقترنت حياتي بحياته وأضحى

من الصعب عليهما أن يفترقا .

إنى أنظر في العينين اللتين ليستا مقفلتين ولا مفتوحتين،

وأُتحدث إلى الفم الذى يحاول
على الدوام أن يتكلم، وأمسك بالخددين اللذين برزا عن الجلد.
ولا أستطيع أن أفعل أكثر من ذلك
لقد اختفت منى يداى، وهما تعودان الى مبتورتين.

(*)

بحارة الأرجو

وإذا أرادت الروح
أن تعرف نفسها
فلتنظ
الى روح مثلها
وفى المرآة رأينا العدو والغريب.

كان الرفاق صبياناً طيبين.
ماكانوا يصرخون من القىظ، ولا من العطش، ولا حتى من
البرد يشكون.

كانوا مثل الموج، والشجر الذى يتقبل الريح والمطر، يتقبل
الليل

والشمس، دون أن يتغير مثل مايلحقه التغيير.

كانوا صبيانا طيبين،

تصيب عرقهم، أياما طوالا، وهم يجدفون خفيضى
النظرات،

ويتنفسون فى رتابة، واصطبغت جلودهم المطواعة بحمرة
دمائهم.

لقد غنوا مرة، خفيضى النظرات

كان ذلك عندما مررنا بالجزيرة المهجورة ذات أشجار التين
البرية،

وكنا الى الغرب متجهين، الى ماوراء أرض الكلاب النابحة.
قالوا إن الروح بالروح تعرف. هذا ماقالوه

وراحت المجاديف تضرب لجة البحر الذهبية

وعند الغروب

مررنا بأكثر من جزيرة وبأكثر من أرخبيل من جزيرة،

البحر يقود الى بحر آخر، حيتان تلو حيتان، ونوارس تلو
نوارس.

فى بعض الأحيان؁ بكت نساء تعسات؁
على أبنائهن المفقودين كن يذرفن الدمع .
وآخرون اندفعوا عن الإسكندر الأكبر يبحثون؁
وعن أمجاد مدفونة فى أعماق آسيا
رسونا على شطآن يعطور الليل معبقة؁
يشدو فيها الطير؁ ومياها تطبع على اليدين ذكريات نشوة
كبرى وسعادة؁
ولكن الرحلة لم تكتمل .
توحدت أرواحهم بالمجاديف؁ وبمساندها؁
بالوجه الجهم لمقدم السفين
بالشق الذى تحدثه الدقة فى اللجة
بالماء الذى ارتعش عليه خيالهم .
مات الرفاق تباعا؁ بعيون خفيضة .
مجاديفهم على الشط
تشير إلى مكان رقادهم .
لا أحد يذكرهم . الرحمة بهم والعدل .

(ج)

لن تعرفهم

وإن كان الرجاء المتأصل في الأعماق هو القائل بأننا
عرفناهم في الصبا الباكر

ربما كنا قد رأيناهم مرة أو مرتين ثم بعد ذلك استقلوا السفن،
المحملة بالفحم والغلال، وغاب هؤلاء الأصدقاء فيما وراء
المحيط إلى الأبد.

يطلع علينا الفجر، ونحن إلى جوار المصباح الكليل، نخط
على الورق بمشقة وبلادة، سفنا وحوريات وقواقع.
وعند الغسق نزل إلى النهر، لأنه يدلنا على الطريق إلى
البحر.

ثم نمضي الليالي في أقبية تنضح برائحة القار.

تركنا أصدقاءنا،

وربما لم نكن قد رأيناهم قط. أو ربما رأيناهم عندما كان
النوم لازال يقرينا من أنفاس الموج، أو ربما كنا نبحث
عنهم، لأننا نبحث وراء التماثيل عن حياة أخرى.

(ح)

(م. ر. ١٠)

البستان بناقوراته تحت المطر، سوف تراه من الشباك
الخفيض،

من وراء زجاج غائم تلبدت على أديمه السحب.
وغرفتك غارقة في عتمة لا تضيئها سوى نيران المدفأة،
ومضات برق بعيد تكشف بين الحين والحين، التجاعيد
على جبينك، أيها الصديق القديم..

ذلك البستان، أضحى بين يديك إيقاعا، إيقاع حياة أخرى،
تتجاوز التماثيل المهشمة وتتعدى الأعمدة المفجعة الخربة.
ذلك البستان أضحى رقصة على مشارف المحاجر الجديدة،
وفي أحضان السواسن وزهور الدفلى..

ذلك البستان انفصل عن أيام حياتك
زجاج معتم فصله ولاشك عن حياتك.
ستتوقف أنفاسك، ويهب من ذاكرتك الغبار وعصارات
الشجر

يلطم هذا الشباك الذى تلطمه من العالم الخارجى رخات
المطر.

(خ)

ريح الجنوب

باتجاه الغرب يلتقى البحر بسلسلة من الجبال

وعن يسارنا تهب ريح الجنوب،

فتجرد عظامنا من اللحم،

وتورثنا الخبال

ودارنا بين أشجار الصنوبر والخروب...

نواقذه فسيحة، مناضده عريضة

نكتب عليها الرسائل التى مضينا نكتبها إليك

كل هذه الأشهر الأخيرة، ونلقى بها

فى هوة فراقنا كى تنطمر.

يانجمة الفجر، كنت تخفضين لحظيك

فتصبح أوقاتنا أطيب من الزيت

على جرح، وأكثر انعاشا من الماء البارد ينسكب

فى الحلق؁ واكثر وداعة من جناح البجع .
أخذت حياتنا فى راحة يدك
بعد أن أذاقتنا الغربة خبزها المر؁
وبالليل؁ لو بقينا فى مواجهة الحائط الأبيض؁
يقربنا صوتك مثل رجاوات النار؁
ثم تعود هذه الريح تشد نصلها الحاد
تمزق به أعصابنا من جديد .

كل منا يكتب إليك الشئ ذاته
وكل منا يلزم الصمت فى حضور الآخرين؁
ويتابع كل منا العالم ذاته بمفرده .
يتابع النور والظلمة على سلسلة الجبال
ويتابعك أنت أيضا
من ذا الذى سيزيح هذه الأحزان عن قلوبنا ؟
هطل مساء أمس مطر غزير؁ واليوم
تثقل السماء الملبدة بالغيوم كواهلنا من جديد . وأفكارنا - مثل
إبر الصنوبر المنهمر مع سيول الأمس

المكوم بلا جدوى أمام بابنا - أفكارنا هذه
بإمكانها أن تبني قلعة آيلة للانهييار.

في هذه القرى المتهالكة

على هذا اللسان الداخل في البحر، المعرض لريح الجنوب،
وراء تلك السلسلة الممتدة من الجبال أمامنا حيث تختفي
انت،

منذا الذي سيحسب لنا تكلفة قرارنا بالنسيان؟

من ذا الذي سيرتضى، في نهاية هذا الخريف ذبائحنا
المحرقة؟

(د)

ماذا تبغى أرواحنا، مرتحلة على أسطح سفن نخرة، منحشرة
بين نساء صاحبات وأطفال باكية، لا مرأى السمك الطيار
قادر أن يسرى عنها، ولا الأنجم التي تومئ إليها قمم
الصواري، وتكشف عنها سنونها التي تآكلت أطرافها من
فرط احتكاكها بأسطوانات الحواكي.

ماذا تبغى أرواحنا موثقة القيد مرغمة على أسفار طويلة لحج
غير ذى وجود، متهتة بأفكار متكسرة من لغات أخرى؟

ماذا تبغى أرواحنا مرتحلة من ميناء الى ميناء، على حطام
من أخشاب السفن العطنة؟

ناقلة أحجارا مهشمة، متنفسة طراوة أشجار السرو بصعوبة
متزايدة كل يوم، سباحة فى مياه هذا البحر وذاك، دون
أدنى إحساس باللامسة، بلا بشر، فى بلد ما عاد لنا ولا عاد
لكم.

كنا نعرف أن الجزر الجميلة، فى مكان ما هى من حولنا،
هنا، حيث نتسكع، عن كثب، أو على مبعدة قليلة من هنا.

(ذ)

الميناء قديم، ماعدت أستطيع أن أبقى فى انتظار الصديق
الذى رحل إلى جزيرة شجر الصنوبر.

ولا الصديق الذى رحل إلى جزيرة شجر الدلب
ولا الصديق الذى رحل إلى رحاب البحر
أرَبْتُ على خشب المجاديف، واتمسح بالمدافع الصدئة
كى تدب الحياة فى جسدى وأقوى على اتخاذ القرار
أما أشرعة السفن فتنضح برائحة الملح من بقايا العاصفة
الأخرى.

وإذا كنت قد اخترت أن أبقى وحيدا، فالذى كنت أرجوه هو
العزلة،

وليس هذا النوع من الانتظار
الذى تتناثر روحى فيه عند الأفق إرباً إرباً،
خطوطاً، وألواناً، وصمماً ممتداً.

تأخذنى نجوم الليل عائدة الى لهفات
أوديسيوس ينتظر بين الزنابق أمواتا
وحين رسونا بين الزنابق، هنا
تمنينا أن نجد حلق الزهرة الذى رأى معاناة ادونيس الجريح.

(د)

بلدنا منغلق على نفسه، كله جبال
تتخذ ليل نهار من السماء الخفيضة غطاء
ليس لدينا أنهار، ليس لدينا آبار، ولا ينابيع لدينا.
بضعة أحواض فحسب لدينا - وهى خواء - نسمع فيها رجع
الصدى، ونقدم من أجلها الدعاء.
صوت راكد أجوف، مثل ما نحن فيه من عزلة،
وما نمارس من حب، وما منحنا من جسد.
يبدو لنا غريبا أنه كان باستطاعتنا فيما مضى
أن نبني بيوتا، وأكواخا، وحظائر لانفسنا.
وأضحت أعراسنا وتبادل الاكاليل الندية والخواتم فيها
غوامض لا يمكن لنا أن نفهمها.
كيف جاء أولادنا الى الحياة، وكيف شبوا عن الطوق أقوياء؟
بلدنا منغلق على نفسه. الصخرتان السوداوان تطبقان عليه.

وعندما نازل أيام الآحاد الى الموانئ نستنشق بعض
النسمات،

نرى، فى ضياء الغسق،
حطاما من أسفار لم تنته قط
مثل اجساد ما عادت تعرف كيف تحب.

(ز)

كانت دماؤك، فى بعض الأحيان، تتجمد مثل القمر
بالليل الذى ليس له انقضاء، دماؤك بأجنحة بيضاء
بسطت أشكال بيوت وشجر على الصخور السوداء
ببصيص نور تسال من سنوات الصبا.

(س)

زجاجة فى اليم

صخور ثلاث، بضع أشجار سرو محترقة، وكنيسة مهجورة.
ثم بعد ذلك
يعود المشهد ذاته مكرورا من جديد

صخور ثلاثة على هيئة بوابة علاها الصدا،
بضع أشجار سرو محترقة، سوداء وصفراء،
وبيت مربع صغير مدفون في الجير.
ثم يتوالى المشهد ذاته درجة فوق درجة،
ممتدا الى الأفق، صاعدا الى السماء التي كساها الغسق.

هنا، رسا مركبنا لنرغم مجاديفنا المكسورة،
ونشرب ماء، ونرقد لننام.
البحر الذى أشقانا عميق، لم يسبر أحد أغواره، ويبسط من
حولنا سكينه مترامية الأطراف.
هنا، وسط الحصى عثرنا على قطعة من النقود،
فقامرنا بها.
كسبها أصغرنا، واختفى.

ثم أقلعنا بمجاديفنا المكسورة من جديد.

(ش)

دلافين، بيارق، وطلقات مدافع

البحر الذى كان بالنسبة لروحك هما مريرا ذات يوم

أغرق سفناً عديدة، منوعة الألوان، زاهية الكيان.

اكتسحها، مزقها، تقاذفها، وكلها زرقاء اللون بيضاء الجناح

كان بالنسبة لروحك هما مريرا ذات يوم.

أصبح الآن فى ضياء الشمس، حافلاً بالألوان.

فى ضياء الشمس، أشرعة بيضاء، ومجاديف مغموسة فى
الماء

تدق بإيقاع الطبول على لجة ساكنة الامواج.

جميلتان عيناك، لو كانتا تبصران

ذراعاك متوقدتان لو استطعت بسطهما

وشفتاك، ستدب فيهما الحياة، كما ألفتا

إزاء معجزة مثل هذه،

وكننت تبحت عنها

ما الذى كننت تبحت عنه بين الرماد

أو فى المطر والريح والضباب

حتى حينما كانت تعتم الأضواء

وتغوص المدينة فى الظلمات، ومن على البلاط

راح الناصرى يفتح لك قلبه يطلعك عليه،

ما الذى كننت تبحت عنه؟ لماذا لا تجئ؟ ما الذى كننت

تبحت عنه؟

(ص)

فى النور، ثلاث حمامات حمراء تنقش فى النور أقدارنا

بألوان

وإيماءات لأناس أوليناهم حبنا.

(ض)

لفك النعاس فى أوراق خضراء،
ومضيت، مثل شجرة، تتنفس فى الضياء الساجية
تأملت وجهك فى مياه النبع الصافية:
جفنان مطبقان، أهداب تلمس أديم الماء
لقيت أصابعى فى العشب الاخضر أصابعك
احتضنت نبضك لحظة
وأحسست ألم قلبك فى موضع آخر.
تحت أشجار الدلب، عند حافة الماء، بين أشجار الغار
هزك النوم، وبعثرك
من حولى، بالقرب منى، دون أن أقوى على لمسك ككل -
وفى توحدك بصمتك
ورؤية ظلك ينمو ويتناقص
ويضيع بين الظلال الأخرى، فى العالم الآخر

الذى يتركك ترحل، ولكنه فى الوقت ذاته يستبقيك.

إن الحياة التى أعطينا لنعيشها عشناها.

الرحمة إذن على أولئك الذين ينتظرون، بكل صبر، أن
يحيوا،

ضائعين بين أشجار الغار السوداء، وتحت أشجار الصنوبر
الضخمة

وأولئك الذين يتحدثون إلى الينابيع والآبار فى عزلتهم
غرقى فى دوامات الصوت.

الرحمة على الرفيق الذى شاركنا الحرمان والعرق
وألقى بنفسه فى هجير الشمس، مثل غراب، متجاوزاً أسوار
الرخام.

بلا أمل فى الاستمتاع بالمكافأة التى ستكون لنا.

ولتكن السكينة، بعد النعاس، ماسوف يعطى لنا.

() .

الاسم أوريس

على الطريق، على الطريق من جديد، على الطريق،
دورة تلو دورة، ولفة دامية تلو لفة،
والناس صفوف سوداء تتابعنى،
مهالة فى حمية الإعجاب بفوزى
وأنا من عربتى ألوح لهم بيدي إيماء لنصرى.

الجياد متى سيغلبها التعب؟ لعابها يصفع وجهى.
العجلات على وشك أن تتكسر، وتحترق، متى ستستعر
بالسنة الذهب؟

متى ستقطع الأعنة، وتطأ الحوافر
ترابا وعشبا ليئا، وتستقر بين زروع الخشخاش
الذى فى الربيع، التقطت منه أقحوانة.
كانت عيناك وسيمتين، ولكنك لم تعرف
ولا أنا عرفت بأى اتجاه ننظر. بلا وطن أنا،

أمضى مشاركا فى المباريات هنا المرة تلو المرة، ولا أدري
إلى متى؟

وإنى لأشعر، على الطريق الوعر، ركبتى تخذلنى، فوق
العجلات والعربة

وكم هو سهل أن تخور الأقدام عندما تريد الآلهة لها ذلك.

ما من أحد يمكنه الفرار، ولن تجدك القوة.

لا تستطيع أن تفلت من البحر الذى كان أرجوحتك صغيرا،
وتبحث عنه

هذه اللحظة ذاتها، وأنت فى العربة، التى تجرها جياذ
لاهثة.

وبين المزامير التى ألقت أن تعزف فى الخريف أغانى ليديا.

البحر الذى لا يمكنك أن تجده مهما جريت أشواطا، ومهما
درت ولففت أمام الأومئيد السود.

الملولين

دون أن يغفر لك.

(٠)

استياناكس

الآن وأنت على أهبة الرحيل، خذ معك الصبى،
الصبى الذى رأى تحت شجر الدلب ومضة الضياء
ذات يوم، عندما دوى النقيير، ولمع السلاح،
والجياذ، متصيبة العرق، تلمست مبللة الخطام
ممدودة الرقاب أديم المياه الخضراء فى الأحواض.

أشجار الزيتون وقد علتها تجاعيد الآباء
الصخور ذات الحكمة، حكمة الآباء
ودماء الشقيقين فى التراب نابضة بالحياة
هذه فرحة حيوية، ونموذج ثرى
للأرواح التى تعرف الصلاة.

الآن، وأنت على أهبة الرحيل، الآن وقد أشرق الفجر،
فجر يوم الحساب، الآن ولا أحد يدرى

من ذا الذى يقتل، وكيف يموت،
خذ معك الصبى الذى رأى الوميض
تحت أوراق شجرة الدلب
وعلمه كيف يدرس أحوال الشجر.

(ع)

حزين أنا.
تركت نهرا عريضا ينساب من بين أصابعى، دون أن أشرب
منه قطرة.
ها أنا غارق فى الحجر، وما من رفيق فى التربة الحمراء
سوى شجرة سرو صغيرة.
كل ما أحببت ضاع مع البيوت التى كانت جديدة فى
الصيف الماضى،
ومع قدوم الريح فى الخريف انهارت دعائمها.
الظلال تحت أشجار السرو أضحت ضيقة،
والنسمات التى تهب لم تعد تنعشنا،

ومن حولنا البسيطة كلها تمضى إلى الجبال صاعدة،
ونحن يثقل كواهلنا الأصدقاء الذين ما عادوا يعرفون كيف
يموتون.

(غ)

لئن كانت الريح تهب إلا أنها لا تربطنا
والظلال تحت أشجار السرو تبقى ضيقة
وكل ما حولها سفح يصعد الجبل،

هم عبء يثقل كواهلنا
الأصدقاء الذين ما عادوا يعرفون كيف يموتون.

(°)

فى صدرى ينفتح الجرح من جديد، عندما يضحى النجم
من جسدى قريب، وعند مواطئ الأقدام يتردى الصمت
المهيب.

الى أين تجرّجني هذه الحجارة غائصة بي في غياهب
الزمن؟

ومن ذا الذى يفرغ البحر - البحر - من ماهه؟

كل فجر، موثق الأغلال، على الدوام كما أنا، الى الصخرة
التي بالمي كسبتها.. انظر حولي، فأرى الأيدي تلوح للنسور
والصقور، وأرى الأشجار تتنفس سكية القبور، ومن بعدها،
أرى ابتسامات التماثيل التي لا تمضى إلى حال سبيلها.

(*)

نحن الذين لهذا الحج خرجنا، علقت أنظارنا بالتماثيل
المحطمة، ونسينا أنفسنا.

لا تُفقد الحياة بهذه السهولة، وللموت في مساراته عدالة
خاصة، وسبل مجهولة.

ومادمنا نموت واقفين، وفي الحجر نصير أخوة، توحد بيننا
صلابة الصخر والطينة الرخوة، فقد أفلت الموتى القدامى
من الحصار.

بعثوا أحياء من جديد.

ومضوا يبتسمون فى صمت غريب.

(ك)

ولأنه مر أمام عيوننا الكثير

أضحت عيوننا من فرط مارأت وكأنها لم تر فى النهاية
شيئاً

ولكن الذاكرة فى الماوراء والمابعد

قطعة من قماش أبيض ذات ليلة منشور

على حافة سور

فأبصرنا رؤى أكثر غرابة، حتى مما تبدو أنت عليه

تمر عابرة وتتلاشى بين أغصان شجرة حريفة الثمار
مورقة.

ولأننا نعرف قدرنا هذا حق المعرفة

هائمين بين أحجار مهشمة، ثلاثة أو ستة آلاف من السنين

نثقب بين أنقاض بيوت ربما كانت فى سالف الأوان مأوينا،

محاولين أن نسترجع ذكريات بطولات وتواريخ،

فهل تكون على ذلك قادرين؟

وإذ أحكم وثاقنا، وشتتنا،

وصارعنا صعوبات، كما قيل، لا وجود لها.

ضعنا ثم وجدنا من جديد طريقا مليئا

بجنود فاقدى الأبصار

يخوضون مستنقعات وبركة ماراثون

فهل سنكون قادرين أن نموت ميتة لائقة؟

(ل)

بعد هنيهة،

سنرى أشجار اللوز تزهر،

والرخام فى الشمس يلمع

والبحر يتماوج

بعد هنيهة،

فلننهض إذن قليلا مشرئبين إلى أعلى.

(م)

هنا، تنتهى أعمال البحر، أعمال الحب .
أولئك الذين سيحيون يوما هنا حيث انتهينا -
لو حدث أن جال الحزن ذاكرتهم بالسواد
وقاض -

علمهم لا ينسوننا، نحن الأرواح الضعيفة الراقدة بين
الحشائش،

دعهم يدنون رؤوس الضحايا نحو الظلمة الحالكة:
فنحن الذين لم نكن نملك شيئا سنعلمهم، سنعلمهم السكينة .

ديسمبر ١٩٣٣ - ديسمبر ١٩٣٤

١٧٠ و العراة (يمنوبينا)

تكون سانتوريني جيولوجيا من الحجر الخفاف
والطين الصيني. وقد ظهرت في خليجها، جزر
واختفت. وكانت هذه الجزر ذات يوم مركزاً لديانة
موغلة في القدم من طقوسها غناء و رقص يؤدي
على إيقاع صارم ثقيل، وتسمى: يمنوبيليا (الأولاد
المرأة)

(الدليل إلى اليونان،

(أ) سانتوريني

انحن لو اسطعت على البحر المظلم ناسيا
صوت الناي على وقع أقدام عارية

وطأت نومك في الحياة الأخرى، الحياة الغارقة.

اكتب لو اسطعت على محارتك الأخيرة

اليوم والاسم والمكان

وألِق بها في البحر حتى تغوص هناك غارقة.

وجدنا أنفسنا عراة على حجر الخفاف

نرقب الجزر الصاعدة

ونرقب الجزر الحمراء الغارقة

في نومها، ونومنا.

هنا وجدنا أنفسنا عراة، ممسكين

بالميزان الذي رجحت كفة

الظلم فيه.

حب محسوب، قوة مكبوحة، عزيمة بلا شائبة

مشروعات تنضج في شمس الظهيرة،

وطريق القدر تشقه يد شابة

تربت على الكتف.

في البلد المبدد الذي لا يقوى على المقاومة

فى البلى الذى كان ذات يوم بلدنا
تغرق الجزر- وقد أضحت رمادا وعلاها الصدا.
محارب مخرية
وأصدقاء منسيون
ونخلة ملقى فى الوحل سعتها.
دع يديك، لواسطعت تسافران
مع السفين، هنا عند منحنى الزمان
الذى لامس الأفق
عندما ارتطم النرد بصخر البلاط
عندما ضرب الرمح درع الصدر
عندما - - - العين من الغريب
وغاض الحب
من الأرواح التى امتلأت بالثقوب
عندما تتطلع من حولك فترى
حصاد الأقدام فى كل مكان
وأيدى ميتة فى كل مكان
وعيون معتمة فى كل مكان،
عندما لا يكون بإمكانك بعد ذلك

وقد تناهى إلى سمعك الصراخ
بل وعواء الذئب، أن تختار
حتى الميته التي أردتها لنفسك -
ومن حقك أن تختار،
دع يديك تسافران، لو استطعت
وحرر نفسك عندئذ من الزمن الخئون
وارتض الغرق -
يغرق على أى حال من يحمل الأحجار الثقال.

(ب) ميگينيس

اعطني يديك، اعطني يديك، اعطني يديك.
رأيت في الليل قمة الجبل المسنونة
ورأيت من بعده السهل تغمره
ضياء قمر غير مرئي،
رأيت وأنا أدير رأسي
حجارة سوداء مكومة
وحياتي بدايةً ونهايةً
مشدودة مثل وتر
وفي اللحظة الأخيرة:
رأيت يدي.

يغرق على أي حال من يحمل الأحجار الثقال،
وقد حملت هذه الأحجار طوال أن كنت قادرا على حملها
وقد أحببت هذه الأحجار طوال أن كنت قادرا على حبها
هذه الأحجار قدرى.

جرحت، وكان جرحي بفعل التراب الذي أنتمى إليه

عذبت، وكان القميص الذى يكسونى أداة تعذيبى
وكننت بهذه الأحجار محكوما على
من آلهتى .

أعرف أنها لا تدرى، ولكن أنا
الذى سلكت العديد من المرات
سلوك القاتل ومن بعده سلوك الضحية
وبعد أن كنت ضحية، تحملت العقاب
وبعد العقاب . . . إلى جريمة القتل التالية
متشبهًا

بأرجوان السلطة الذى لا ينضب له معين .
ليلة العودة تلك

عندما بدأت آلهات العقاب هسيسها
فى العشب النحيل .

رأيت أفاعى وثعابين تتلاقى
فوق الجبل الشرير وتتعانق
وكان هذا قدرنا .

أصوات من ثنايا النعاس، ومن ثنايا الحجر

أكثر عمقا هنا حيث يظلم الكون،
ذكرى العناء المنغرس فى الإيقاع
الذى دقت به على الأرض أقدام
منسية.

أجساد غاصت عارية فى
دعائم الزمن الآخر. عيون
مثبتة، شاخصة الى نقطة
لا يمكنك مهما أردت أن تتبينها؛
إلى الروح
التي تناضل من أجل أن تصبح روحك أنت.

ما عاد حتى الصمت الآن لك
هنا حيث كفت عن الدوران أحجار الطاحون.

أكتوبر ١٩٣٥

كراسة التمارين

(١٩٣٧-١٩٢٨)

١٨- رسا ماثيوس باسكاليس

لن تعرف أبدا ناطحات السحاب في نيويورك
النسمات الرطبية التي تنزل على كيفيسيا
ولكنني عندما أرى شجرتي السرو تظللان
كنيستك التي تعودت على ارتيادها،
ذات التصاوير عن الكفار
يلقون العذاب في الكبريت والنار
استرجع المدخنتين وراء شجرتي الأرز
اللتين ألفت أن أحبهما وأنا بالخارج غاية الحب.

طوال مارس نخر داء المفاصل فى حقوك البديعين
وفى الصيف ذهبت الى ايزيسوس.

رباه! ياله من كفاح كى تمضى الحياة، كما لو كانت
نهرافياضاً يمر من سم الخياط.

حر ثقيل الوطأة حتى هبوط الليل، والنجوم من حولها غبش،
اشرب عصائر الليمون الحمضية، ولا يزايلنى مع ذلك
العطش،

قمر، دار خيالة، اطياف، والهان حماسية موبوءة مختنقة.

خربتنا الحياة، يا قيرينا، وسماوات آتيكا، والمتقفون يتسلقون
رؤوسهم

والمناظر الطبيعية التى اختزلت

بسبب الجوع والجفاف الى أوضاع مصطنعة

مثل شباب يبيعون أرواحهم كى يلبسوا مونوكلا

ومثل فتيات يرضعن عباد الشمس ليبدو وجههن مثل زنبقة.

تمضى الأيام ببطء، وأيامى تدور بين الساعات الدقاقة،

وتمزق مؤشر الثوانى.

تذكرى، كيف كنا نتلوى مبهورى الأنفاس فى الأزقة
حتى لا تبقر السيارات بطوننا بكشافاتها.
استحوذت علينا فكرة الحياة خارج البلاد، وتردينا فيها مثلما
فى شبكة.
ورحلنا، يختبئ بداخلنا نصل حاد،
وقلت أنت: «هارموديوس واريستوجيتون»
فيرينا، خفضنى رأسك كى أراك، رغم أننى
حتى لو كنت سأراك، أريد أن تتجاوزك نظراتى.
ماقيمة الإنسان؟ ما الذى يريده، وكيف سيرر
وجوده عندما تأتى الحياة الثانية؟
أواه، لو وجدت نفسى على سفينة مهجورة، ضلت طريقها
فى المحيط الهادى، وحيدا مع الريح والبحر.
وحيدا، وبغير وسيلة اتصال أو قوة أحارب بها
الأشباح.

كوكيناراس ٥ أغسطس ١٩٢٨

١٩- بانتوم

تحتفظ النجوم بعالم خاص

وفي البحر تجرجر السفن من ورائها النيران

يا جمرة حزينة تتعبددين في خشوع

تخلصي أيتها الروح من أغلال الظلام.

في البحر تجرجر السفن من ورائها النيران

ينكمش الليل، ويضحى مثل الغرباء

يا جمرة حزينة تتعبددين في خشوع

يا أيتها الروح، تعرفين بأى ناموس ترتبطين.

ينكمش الليل، ويضحى مثل الغرباء

خبا الضياء على الحرير الأسود

يا أيتها الروح، تعرفين بأى ناموس ترتبطين

ما يبقى لك، وما تفقدين.

خبا الضياء على الحرير الأسود

ما عاد يسمع سوى رنين أجراس السنين

ما بقى لك وما تفقدين

لو ومضت بالقذائف القلعة الخرساء.

ما عاد يسمع سوى رنين أجراس السنين

شواهد معدنية عند حواف الألم

لو ومضت بالقذائف فى القلعة الخرساء

لن تجد من احلامك حلماً واحداً يذرف دمعة أو يسمع له
أنين.

شواهد معدنية عند حواف الألم
تسمق اللحظة مثل شهاب مسنون
لن تجد من أحلامك حلماً واحداً يذرف دمعة أو يسمع له
أنين.
بين زحام أفكارك التي تضيق الخناق مثل الثعابين.

تسمق اللحظة مثل شهاب مسنون
ما الذى يرجى لترخى السكينة سدلها؟
بين زحام أفكارك التي تضيق الخناق مثل الثعابين
لا فرحة ملاك، ولا سماء هناك.

ما الذى يرجى لترخى السكينة سدلها؟
بين أناس انكبوا على أنفسهم يحصون أحزانهم منغلقيين
لا فرحة ملاك، ولا سماء هناك
تحتفظ النجوم بعالم خاص بها.

٢٠- طريق سينجرو، ١٩٣٠

«إلى جورج نيوتوكا الذى اكتشفه»

عندما تتمكن منك ابتسامة الشوق
تلازمك ملازمة الظل، تمارس عليك المغريات
فتتأبى عليها

عندما يزايك الدوار الذى يخلفه تجوالك بين الكتب، ومن
رأسك ينتقل إلى الأشجار حريفة الثمار المغروسة على
الجانبين

عندما تغادر السفين المتحجر المبحر الى القاع محطم

السلاسل، متهرئ الحبال،

وتترك القنطرة المزهوة بزخارفها الذهبية

والعمدان التى من فرط ماناءات بحمله من هموم ثقال
تقاربت محنية.

عندما تخلف وراءك الكيانات التى نحتت بعناية

لأجل رصد المدخلات وتخزين الأموال،

والروح التى مهما فعلت لن تضارع روحك أنت

واليد التى تفرض الجباية

وذلك الوجه الأنثوى الصغير بالمهد الذى يلمع فى ضياء
الشمس

وعندما تدع قلبك وفكرك يتوحدان

مع النهر الذى يسود، ويتخشب، وترحل أمواجه:

اقطع خيط ارياغنى*، وانظر!

سوف ترى الجسد الأزرق لعروس البحر.

* ارياغنى أو اريادنى ابنة مينوس ملك كريت. ساعدت ثيسيوس على قتل
المينوطور وحش الجزيرة ومعبودها ثم الأفلات من مكمنه قصر التيه، وذلك
بأن أعطته تحت جناح الليل بكرة خيط، أوصته أن يثبتها قرب المدخل. ويجذب
الخيط معه كلما أمعن داخلًا فى أروقة المتاهة حتى يهتدى بهذا الخيط فى
العودة بعد انتصاره على المينوطور.

٢١- على لحن أجنبي

إلى إيلي، ٢٥ ديسمبر ١٩٣١

محفوظ من قام برحلة أوديسيوس

محفوظ لو أنه عند أهفته للسفر أحس بتجهيزات حب قوى
ينتشر في بدنه مثل العروق التي ينبض فيها الدم.

حب لا يستنفد إيقاعه، مثل الموسيقى

لا نهاية له ولا غالب.

لأنه ولد عندما ولدنا، وعندما يموت،

لو أنه حقا يموت، فلا أحد ولا حتى نحن لنا بذلك علم.

وإني أسأل الله أن يساعدني أن أقول، عند بعض لحظات
السعادة الكبرى،

ماهذا الحب،

وإني أحيانا، عندما أجلس في الغربة أسمع

همسه البعيد، مثل صوت البحر عندما يصفعه إعصار لا
تفسير له.

ومرة، تلو مرة يظهر أمامي طيف اوديسيوس.

وقد احمرت عيناه من ملح الأمواج،

ومن شوقه المستعرأن يعود فيرى الدخان

يتصاعد من مدفأة بيته، ويلقى كلبه الذي تقدمت به السن
ينتظر عند الباب عودته.

رجل مهيب، يهمس من ثنايا لحيته بكلمات

بلغتنا كما كان يُتحدَّثُ بها منذ ثلاثة آلاف عام

يمد الرجل راحة يد اخشنت من تأثير الحبال وذراع الدفة

وقد تجعد جلده بفعل ريح الشمال، ويفعل الحر والثلوج.

بداكما لو كان يريد أن يطرد عنا السيلكوب

المارد الجبار ذا العين الواحدة،

وسكيلا وخاريفذى السيرينيتين اللتين ما إن تسمعهما حتى
تقع فى قبضة النسيان

وبالها من غيلان معقدة تلك التى تحول دون أن نذكر أنه
هو بدوره كان رجلا يصارع فى الدنيا الروح والجسد.

إنه اوديسيوس القدير، الذى أشار بصنع الجواد الخشبى الذى
بفضله احتل الأخيون طروادة

ويخيل لى أنه قادم ليخبرنى كيف ابنى جوادا خشبيا لأحتل
بدورى طروادتى.

لأنه يتكلم بهدوء وتواضع، وبلا تكلف

كما لو كان أبى

أو واحدا من البحارة العجائز الذين فى أيام صباى، ألفوا
وهم متكونون على شباكهم عند مقدم الشتاء، والريح تشرع
فى الغضب،

ألفوا أن ينشدوا، دامعى العيون، أغنية ايروكريتوس، فتسرى
الرجفة فى منامى، للمصير الجائر الذى لقيته اريتوسا نازلة
السلم الرخامى.

يحدثنى عن خشونة الألم الذى تحس به عندما تلتفخ أشرعة
السفين بالذكرى وتضحى روحك دفة،

وتكون وحيدا، فى ظلمة الليل، لا حول لك ولا قوة مثل قش
على أرض جرن

ترى بعين مريرة رفاقك تخطفهم الاشباح، ويتبددون، واحداً
تلو آخر.

وبمعاناة تحقق حوارا مع الموتى، فماعاد الأحياء يكفون
لحوارك.

يحدثنى... ولازلت أرى يديه اللتين تحكمان خير الحكم
على نقش الحورية على مقدمة السفين
تهديان إلى البحر الأزرق بلا أمواج فى قلب الشتاء.

٢٢. * عشرة مقطو * قصيرة

(١)

اسكب فى البحيرة

قطرة من النبيذ

وتختفى الشمس.

(٢)

فى الحقل، ولا حتى

نواره رباعية الأوراق

من هو الملووم من الثلاثة؟

(٣)

فى حديقة المتحف

مقاعد خالية:

عادت التماثيل

إلى المتحف الآخر.

(٤)

أكان ذاك صوت

أصدقائنا الموتى

أم كان صوت الحاكى؟

(٥)

أصابها

على المنديل الأزرق

انظر: مرجان.

(٦)

شاردا الفكر

ثدياها

فى المرأة، ثقيلان.

(٧)

مرة أخرى، ارتديت
أوراق الشجر
ها أنا أسمع ثغاءك

(٨)

فى الليل، الريح
ينشر الفراق
ويتموج.

(٩)

قدر جديد

أيتها المرأة العارية
الرمانة التى انكسرت
كانت مليئة بالنجوم.

(١٠)

أحمل الآن
فراشة ميتة
بغير تجميل.

(١١)

كيف يمكنك أن تلملم

الآن حطام

هذه الأشخاص كلها؟

(١٢)

خط ملاحى عقيم

ما العيب فى الدفة؟

المركب يخط على الماء دوائر

وما من نورس واحد.

(١٣)

إيرينية مريضة

ليس لها عيون،

الضعابين التى تحملها

تلهش يديها.

(١٤)

هذا العمود مثقوب:

ترى، هل تبصر

برسيفون؟

(١٥)

الوجود يغرق:
تماسك، سيتركك
فى الشمس وحيدا.

(١٦)

تكتب
يتناقص الحبر
ويعلو البحر.

٢٣- الجسد

هذا الجسد الذى آمل أن يزهر مثل غصن،
أن يحمل ثمارا، ويصبح فى الصقيع نايا،
أوقعه الخيال فى خلية نحل طنانة،
فإذا جاءت ساعة النغم سامته عذابا.

٢٤- هروب

لم يكن حبنا سوى هذا:
يغادرنا ثم يعود إلينا جالباً
جفنا نائي البعاد خفيضا
ابتسامة رخامية ضائعة
في عشب الصباح
محارة غريبة، حاولت أرواحنا
باصرار تفسيرها.

لم يكن حبنا سوى هذا: في صمت

يتسلل بين الأشياء المحيطة بنا،

يفسر لماذا نأبى

بكل هذا الحماس

أن نموت.

وإذا كان كل منا قد أحاط بخصر الآخر

وتعانقنا بكل ما أوتينا من قوة

وخلطنا أنفاسنا بأنفاس ذلك الآخر

وأغمضنا عيوننا

فلم يكن ذلك سوى هذا:

مجرد التوق العميق إلى التماسك

ونحن نواصل الهرب.

٢- وصف

مضت تقترب بعينيها الغائمتين من تلك اليد المنحوتة
اليد التي أمسكت مقود السفين
اليد التي أمسكت القلم
اليد التي انبسطت في وجه الريح.
وقد أضحى كل شئ الآن يهدد صمتها.

من شجرة الصنوبر تسرى نحو البحر ارتعاشة
تلهو بأنفاس النسيم المطواعة

وتستوقف الصخرتان السوداوان مسيرتها .
فتحت قلبي وأخذت نفسا عميقا!
على أديم البحر ارتجفت الجزة الذهبية .
اللون لونها، والارتجافة ارتجافتها، والجلد أيضا جلدها
والخطوط في كفى اخاديد جبالها عند الافق
فتحت قلبي
المفعم بالتصاوير، فاخفتت ثوا بذرة بروتئوس

هنا نظرت الى القمر
المخضب بدماء
ذئبة فتية .

سبتيسيس - أغسطس ٣٤

٢٦- سيروكو ٧ ليفانتى

الى د. أ. اندونيو

أشياء غيرت صورتنا

أعمق من الفكر،

غاصت في حرارة منتصف النهار

فيما وراء الصواري

بين السلاسل والأوامر

لا أحد يذكر.

الأيام الخوالي،

والأجسام، والألم، والمتع، والليالي
ومرارة العرى الإنساني المنسحق
يعانى وطأة أشجار الفلفل فى دروب متربة
وغير ذلك من المغريات ومن الرموز العديدة
بل على الغصن الأخير
فى ظل السفين الكبير
تضحى الذاكرة ظلا بدورها.

الأيدى التى لمستنا ليست أيدينا، فقط
عندما تظلم الورود، بأعمق الأعماق،
يهب إيقاع الجنادب فى ظل الجبل
فيتبلل فى الليل صمتنا
نازلا إلى البحر فى رقاده.

وفى ظل السفين الكبير
عندما دوى من رافعة المرساة الصغير
تركت الرخاوة للصيارفة وتجار العملة.

بيليون ١٩ أغسطس ١٩٣٥

٢٧- على طريق "ج. س."

أيّما رحلت وحالت، اليونان تجرحنى

فى بيليون بين أشجار القسطل، انزلق

قميص السينطور من ثنايا الاوراق ليطبق على جسدى

أثناء تسلقى المنحدر، وفى أعقابى يجىء

البحر صاعداً بدوره مثل الزئبق فى ميزان الحرارة

حتى وجدنا ينابيع الجبل.

فى سنتورينى وأنا أطأ جزرا على وشك الغرق

وأسمع عزف مزمارة من مكان ما على الحجر الخفاف

سمرت يدي على حافة السفين

يسهم أطلق فجأة

من تخوم صبا غربت شمسها.

في ميكنيس لملت الأحجار الكبيرة وكنوز بيت أترسوس

وأخذتها تنام معي في فندق هيلين الجميلة،

ولم تختف هذه الكنوز والأحجار إلا عند الفجر، عندما

صاحت كاسندرا،

وقد تدلى من حلقها الأسود ديك.

في سبيتسيس، وبوروس، وميكونوس

ملأتنى أغاني سائقي القوارب بالسقم.

ماذا يريد كل أولئك الذين يخيل إليهم

أنهم في أثينا أو بايرسوس؟

يأتي شخص من سلاميس ويسأل شخصا آخر عما إذا كان

«قادمًا من ميدان اومونيا؟»

فيجيب الآخر، راضيا «كلا، من سينداغما، ويضيف قائلاً:

«التقيت بيانيس، فدعاني لتناول الآيس كريم،
وفي الوقت ذاته ترحل اليونان وتغيب.
ونحن لا نعرف من الحقيقة شيئاً، لا نعرف أن كلنا بحارة
عاطلون
لا نعرف كم يضحي الميناء حزينا عندما تكون
كل السفن قد رحلت عنه
بل ونسخر من أولئك الذين فعلا يعرفون.
يا لهم من أناس غريبى الأطوار! يقولون إنهم فى اتيكى
ولكنهم حقاً فى لامكان
يشترى حبات اللوز المسكرة كى يمن عليهم بالزواج
يحملون مقويات للشعر، ويسمحون بالتقاط صورهم
الرجل الذى رأيته اليوم جالسا أمام خلفية من الحمام
والزهور
طلب إلى المصور العجوز أن يلطف من التجاعيد
التي تركتها على وجهه
كل الطيور فى السماء.

وفى الأثناء ذاتها، تمضى اليونان راحلة، على الدوام راحلة
وإذا رأينا «فى طحالب اليم موتى عالقين،
فسوف يكون هؤلاء ممن سبحوا فى أعقاب المركب الكبير
محاولين اللحاق به
هؤلاء الذين ضجروا من انتظار السفن التى لا تستطيع
الحراك
«ألسى، و«ساموثراكى، و«امفراكيكوس».
تصفر السفن الآن وقد نزلت على بايوريوس عتمة الغسق
تصفر وتصفر، ولكن ما من رافعة تتحرك،
وما من سلاسل بليلة تلمع فى الصوء المتلاشى،
ويقف القبطان بسترته البيضاء المذهبة مثل حجر رحامى.

أينما رحلت وحللت، اليونان تجرحنى،
ستائر من جبال، وجزر، وجرانيت عار.
السفينة التى على وشك الأقلاع اسمها «اختضار ٩٣٧،

فى انتظار الإبحار. صيف ١٩٣٦

٢٨- العجوز

مرت أفواج عديدة، وركاب عديدون، منهم الفقير
ومنهم الغنى. البعض وفدوا
من قرى بعيدة وامضوا الليل فى خنادق على جانبي
الطريق
موقدين نيرانا تحسبا للذئاب: هل ترى
الرماد؟ دوائر مندملة ضاربة للسواد.
هو ملئ بالندوب مثل الطريق.
وفى البئر الجاف بأعلى الجبل ألقوا الكلاب
المسعورة. ليس له عينان، وملئ هو

بالندوب . تهب الريح خفيفة
فلا يميز شيئاً، ويعرف كل شئ
عش جنادب خال بشجرة جوفاء
ليس له عيان، ولا حتى يبصر بيديه يعرف الفجر وغسق
المساء، يعرف النجوم، ولكن من دمائها لا يقتات . لا هو من
الأحياء ولا هو من الأموات .
لا ينتمى إلى جنس، وليس له أسلاف،
لن يموت، سيدركه النسيان فحسب .
الأظافر المتعبة فى يديه
تحفر صلبانا على ذكريات تعفنت،
بينما تهب ريح معتمة . ويتساقط الثلج .
رأيت الصقيع يحوط الوجوه
رأيت حبات الدموع تجمدت
فى أركان العيون، والشفاه مبالة،
رأيت الخط الذى يرسمه الألم عند أرنبتي الانف،
والجهد عند جذور اليد، ورأيت الجسد يدرك نهايته .

ليس وحده، هذا الشبح المحنى على عود جاف لا ينثنى .
وهو لا يذهب للرقاد . فهذا أمر ليس بالمستطاع
فلو نام لبعثرت مفاصله لعبا بين
أيدي الأطفال
إنه يصدر الأوامر مثل الأغصان الميتة التي تتكسر
عندما يهبط الليل وتستيقظ
الريح في الوهاد .
يصدر الأوامر إلى ظلال الرجال، وليس إلى الذين لفهم
الظلام
الذين لا يسمعون سوى الأصوات الخفيفة
للأرض والبحر هناك حيث تختلط
بصوت الأقدار . يقف مشدود القوام
على الشطآن، وسط أكوام العظام
وسط أكداس من أوراق الشجر الصفراء :
القفص الخالي الذي ينتظر
ساعة إضرام النار .

درينوفو، فبراير ١٩٣٧

السيد ستراثيس لاسينوس

«وكان على أمة الصباح ليدل على

أنه لم يمت بعد»

سولوموس - امرأة زاكينثوس

٢٩- خمس قصائد للسيد س. لاسينوس

أ- هامستيد

يهبط المساء،

مثل طائر مكسور الجناح،

مثل طائر غير قادر على احتمال العواصف والرياح

سافر سنوات وسنوات في خضم الأنواء.

على العشب الأخضر،

رقص طوال النهار ثلاثة آلاف ملاك،

تبدو في عريها مثل رقائق الصلب.

واذ يهبط المساء صاحب الضياء،

تلملم الملائكة

أجنحتها، وتتخذ

هيئة كلب

منسى

ينبح

في العزلة، يبحث عن سيده، عن اليوم الآخر، أو عن
عظمة.

* حدثت من الترجمة العربية الصرحات التي كانت تطلقها آلهات الغصب (اسخيلوس -
الوميديس - ١٤٣) على أثر استنارتها أو إيقاظها من نومها في معبد أبو اللون في
ديلفي بمعرفة كليتميلسترا واستحثائها لها على مواصلة مطاردتها لإوريست.

أتوق الآن إلى قليل من السكينة.
أريد كوخاً فحسب، على تل أو قرب البحر.
وعلى نافذتى، أريد ستاراً غمس فى ماء الزهر، مبسوطاً
هناك يرفرف مثل البحر.
أريد فى إنائى قرنفة، ولو كانت صناعية من ورق أحمر
لف على سلك، حتى يتسنى للريح
أن يتحكم فيها قدر ما يشاء، ويسر.
ثم يأتى الليل، ويتردد ثغاء القطعان نازلة الى حظائرها
مثل خاطرة على غاية من البساطة والبهجة تفد الى الذهن.
ولسوف أهجع الى النوم، لأننى لا أجد شمعة أوقدها،
أقرأ على ضوءها شيئاً.

ب- سيكولوجى

هذا السيد،
يأخذ حمامه كل صباح فى مياه البحر الميت.
ثم يلبس ابتسامة حريفة، لزوم الأعمال ولقاء العملاء.

ج- كل شيء إلى مضاء

نسينا جدلنا البطولى مع الأومينيديس،
ورحنا فى النوم، فاعتقدوا أننا أموات فلاذوا
بالفرار صائحين، لاعنين الآلهة التى تضى علينا الحماية.

د- نيران القديس يوحنا

قدرنا رصاص مراق، وليس بالإمكان تغييره
ليس بالإمكان عمل شيء
أراقوا الرصاص تحت الماء فى ضوء النجوم
ولتشعل النيران.

إذا وقفت عند منتصف الليل عاريا أمام مرآة، سوف ترى
رجلا يتحرك فى أغوار المرآة.

إنه الرجل الذى نصبه القدر ليتحكم فى جسدك
ساعات العزلة والصمت، إنه إذن رجل
العزلة والصمت
ولتشعل النيران.

حين ينتهى يوم ولا يكون اليوم التالى
قد بدأ

حين يكف الزمن عن الدوران ويظل معلقا
عليك أن تجد الرجل الذى كان منذ البداية، ولا يزال
يتحكم فى جسديك
عليك أن تجد
عليك أن تجد فى البحث عنه، حتى يعثر عليه
غيرك بعد موتك على الأقل.

الأولاد هم الذين يشعلون النيران، ويتصايحون فى هذه الليلة
الحارة

أمام السنة اللهب

(وهل كانت ثمة نار لم يشعلها أولاد، ياهيروستراتوس)

يلقون فيها حبات الملح، فتقرقع السنة اللهب

(وكم تباغتنا بالنظر إلينا دهشة تلك البيوت التى هى بوتقة
البشر،

عندما تربت عليها ملاطفة انعكاسات اللهب)

ولكنك، أنت يامن عرفت جمال الحجر
عندما غسلت الأمواج صخرة البحر
في أمسية عمها السكون
سمعت من بعيد الصوت الأسيان،
صوت الصمت وعزلة الإنسان
في جسدك سرى الصوت
تلك الليلة، ليلة القديس يوحنا،
صوت الصمت وعزلة الإنسان
عندما خبت النيران كلها
وانكبت في ضوء النجوم
تقلب الرماد.

نيجينسكى*

ظهر وأنا أحملق فى جمرات الفحم المتقدة فى مدفأتى .
كان يمسك بين يديه صندوقا كبيرا من أعواد الكبريت
عرضه على كما يخرج حاو بيضة من أنف شخص يجلس
فى المقعد المجاور . أشعل عودا من الثقاب وأحرق الصندوق ،
واختفى وراء لهب ضخم ثم عاد فمثل أمامى . أذكر ابتسامته
القرمزية ، وعينييه الزجاجيتين . وفى الشارع ، مضى أرغول
يكرر النغمة ذاتها . لا أعرف كيف أصف ملبسه ، ولكنه ظل
يذكرنى بشجرة سرو أرجوانية . وبالتدريج ، بدأت ذراعاها
تتفصلان عن جسمه المشدود ، وتشكلان صليبا . من أين جاء
كل هذا الطير ؟ كان الأمر كما لو كان قد خبأها تحت
جناحيه . طارت ببلاذة ، بجنون ، بعنف ، متخبطة بحوائط

* نيجينسكى فنان روسى الأصل وذاع صيته كراقص مبدع .

الغرفة الضيقة، وأشرعة النوافذ، ثم غطت الأرض كما لو كانت جريحة. أحسست بطبقة دافئة من الزغب والخفقان عند قدمي. حدقت اليه، فاستبدت بجسدي حمى غريبة مثل تيار يسري فيه. وعندما فرغ من رفع ذراعيه، وصارت كل كف من كفيه ملتصقة بالآخرى، قفز قفزة مفاجئة، كما لو كان زنبرك ساعة قد انكسر أمامي. دق السقف، فدوى بصوت صناجة. مد ذراعه اليمنى، وأمسك بسلك المصباح، وأتى حركة خفيفة، ثم استكان، وبعد ذلك بدأ يؤدي بجسمه منظر حرف ثمانية في الظلام. شعرت، وأنا أشاهده، بالدوار فغطيت وجهي بكلا يدي، نافضا الظلمة عن جفني، بينما مضى الأرغول يكرر النغمة ذاتها ثم توقف بعد ذلك فجأة. لفحتني ريح ثلجية مباغته، وأحسست خدرا يتسلل الى ساقي. وسمعت الآن أيضا صوت ناي مخملي خفيض، أعقبته توا دقات رتيبة ثقيلة. فتحت عيني، ورأيت من جديد، واقفا على أطراف أصابع قدميه فوق كرة بللورية وسط الغرفة، وفي فمه ناي غريب أخضر راح يجري أصابعه عليه، وكأنه بآلاف من الأصابع يعزف. عادت الطير الآن الى الحياة من جديد، وينظام فريد، نهضت، امتزجت، وتشكلت في موكب رحيب رحابة ذراعي المنبسطين، ومضت خارجة الى الليل من خلال النافذة التي كانت موارية، وعندما خبت آخر رفرفة جناحين، ولم تبق سوى رائحة صيد زخمة، قررت أن أنظر إلى وجهه فلم يكن هناك وجه. فوق الجسم الارجواني، الذي بدا وكأنه بلا رأس، ازدهى قناع فضي، من النوع الذي وجد في مقابر

المكينيين، بلحية مدبية تمتد الى أسفل حتى العنق . حاولت
النهوض، ولكن ما إن هممت باتيان أول حركة سمرني في
مكاني هدير طوفان مكتسح، مثل دقائق طبول انهمرت فجأة
في مسيرة جنزية . كان القناع ينهار . ظهر وجهه كما رأيته
في البداية - العينان، الابتسامة، وشئ لاحظته الآن لأول
مرة: بدا جلده الأبيض وكأنه مشدود بمشبكين أسودين، ثبتا
عند الفودين . حاول أن يقفز، لكنه لم يعد الآن مستكملا
لرشاقتة التي كانت له من قبل، بل اعتقد أنه تعثر أيضا في
كتاب وقع في طريقه مصادفة، وركع على ركبة واحدة .
وكان بإمكانني الآن أن أراقبه بعناية . رأيت مسام جلده
تنضح بحبات نفيسة من العرق . تسلط على شئ مثل انبهار
الأنفاس . حاولت أن اكتشف لماذا بدت عيناه بمثل هذه
الغرابة . أغمضهما، وبدأ ينهض، ولكن لا بد أن الأمر كان
صعبا للغاية، لأنه بدا كما لو كان يركز كل قواه لذلك
الغرض دون أن يكون قادرا أن يفعل شيئا، بل إنه ركع الآن
على ركبته الأخرى أيضا، بدا الجلد الأبيض على غاية من
الشحوب مثل عاج أصفر، وشعره الأسود موات . وعلى
الرغم من أنني كنت أعاين نضالا ممضا، داخلني إحساس
بأنني أصبحت أفضل عن ذي قبل، وأنني انتصرت على
شئ .

وقبل أن ألتقط أنفاسي، رأيته، وقد سقط الآن مسجى
على الأرض، يغوص في بجودا* خضراء مرسومة على
سجادتي .

٣٠- السيد ستراتييس سينوس • إنسانًا

(١)

ولكن ما خطب ذلك الإنسان؟

طوال بعد الظهيرة (أمس، وقبيل أمس، واليوم)

ظل جالسا هناك يحدق في جذوة نار.

اصطدم بى فى المساء بينما كان ينزل درجات السلم

وقال لى:

«يموت الجسد، يُعكّر الماء

والروح تتردد

وتنسى الريح، وهى تنسى على الدوام

أما النار فلا تتبدل من حال إلى حال،

ثم أردف يقول:

«تعرف أنني أحب امرأة، ربما تكون قد رحلت الى العالم السفلي

وليس ذلك مايجعلنى أبدو وحيدا الى هذا الحد.

إننى أحاول أن أتماسك من خلال جذوة نار، لأن النار

لا تتبدل من حال إلى حال،

ثم مضى فأخبرنى بقصة حياته.

(ب)

عندما بدأت أشب عن الطوق عذبتنى الأشجار-

ما الذى جعل الابتسامة تعلو شفتيك؟ هل كنت تفكر فى الربيع،

الذى يقسو على الصبيان؟

كنت شغوفا بالأوراق الخضراء

وأخال أنى تعلمت القليل الذى تعلمته بالمدرسة لمجرد أن ورقة النشاف على تختى كانت بدورها خضراء.

ولقد كانت جذور الأشجار هى التى عذبتنى عندما كانت

فى دفء الشتاء تجئ لتلتف حول جسدى .
لم تكن لى فى صباى أحلام غير تلك .
وهكذا تعرفت على جسدى .

(ج)

فى الصيف السادس عشر من عمرى، تردد فى أذنى صوت
غريب يغنى .
أذكر. كان ذلك عند البحر، بين شباك حمراء على الشط،
قرب جمجمة وقارب مهجور على الرمل
حاولت أن ازداد اقترابا
من هذا الصوت، واضعا أذنى لصق الرمل .
ولكن كان بالمساء نجم يهوى
ولكانها المرة الأولى التى أرى فيها نجما يهوى
وعلى شفتى من الأمواج مذاق الملح .
ومنذ تلك الليلة، ما عادت جذور الأشجار تأتى
وفى اليوم التالى، تفتحت فى ذهنى رحلة، ثم عادت

فانغلقت مثل صفحة مصورة فى كتاب.
وفكرت أن أنزل إلى الشاطئ كل مساء
كى أكسب خبرة قبل نزولى إلى البحر
وفى اليوم الثالث، أحببت فتاة من ساكنات التل تقطن كوخا
صغيرا أبيض، مثل كنيسة ريفية.
عند الشباك
أصيص من الريحان
وآخر من القرنفل
وتجلس أمها العجوز هناك، مستغرقة على الدوام فى
الصمت،
تضع على عينيها نظارة وتنكب على شغل الابرّة.
كان اسمها على ما أعتقد فاسو، أو فروسو، أو بيليو،
ويسببها نسييت البحر.
وذات يوم فى أكتوبر، وكان من أيام الاثنين
وجدت جرة مهشمة أمام الكوخ الأبيض
وبعد هنيهة، طلعت فاسو
فى ثوب أسود، محمرة العينين، شعثناء الشعر.

سألته فقالت:

ماتت، لأننا - على حد قول الطبيب - لم نذبح ديكاً أسود
عندما أرسينا دعائم البيت
وأنى لنا، بالديكة السوداء هنا... وليس لدينا سوى قطعان
الماشية البيضاء.. والطير يباع منزوع الريش فى الأسواق.
لم أتصور أن يبلغ الحزن والموت هذا الشأ
ورحلت الى البحر، فى تلك الليلة على ظهر السفين
حلمت بشجرة تذرف الدمع، شجرة زيتون طاعنة فى السن.

(هـ)

أبحرت عاماً مع القبطان أوديسيوس
وكنيت على مايرام
فى الأصيف أجلس بمقدمة السفين
أتابع السمك الطيار
الى جوار عروس البحار
وأغنى لشفتيها الحمرأوين
فاذا ما جاءت العواصف لذت بالعناير

وانزويت فى ركن دفين بصحبة الكلب الأمين
مستمداً لنفسى الدفاء من مرقده السخين .
وذات صباح فى أخريات العام لاحت مآذن ،
وأخبرنى رفيق الرحلة :
هذه هناك آيا صوفيا . سأخذك إلى النساء الليلة
وهكذا عرفت تلك النسوة ، أو تلك اللاتي
وقع عليهن اختياره
وكن لا يرتدين سوى الجوارب من دون الثياب .
كان المكان غريباً ،
بستاناً يحيطه سور ثبتت على امتداد حافته العليا
شظايا الزجاج
يضم شجرتى جوز وعريشة ويثراً
وميزابا يغنى عن «نهر الحياة» أغنية
ثم رأيت لأول مرة قلباً
يرسم على الحائط بالطباشير
يخرقه السهم المألوف .
ورأيت أوراق الكرمة

ساقطة على الأرض شاحبة صفراء
ملتصقة على البلاط بالطين الرخيص.
أقفلت عائدا الى السفين
فأمسك رفيق الرحلة بخناقى، وألقى بى فى البئر،
ماء دافئ وإحساس زاخر بالحياة حول الجلد...
ثم حدثتني الفتاة، وهى تداعب ثديها الأيمن بلا اكتراث
قائلة:
«أنا من رودس زوجونى فى الثالثة عشرة من العمر، لقاء
دريهمات معدودة،
وغنى النهر أغنيته...
وتذكرت الجرة المهشمة فى الأمسية رطيبة النسمات،
وتعكرت:
«ستموت بدورها. ترى كيف ستموت؟»
واكتفيت بأن أقول لها:
«كونى حريصة. ستتلفينه. وهو حياتك،
وعلى ظهر السفين، ذلك المساء،
لم أقو على الاقتراب من عروس البحر
كنت خجلا من أن أرفع فى وجهها عينى.

(هـ)

ومنذ ذلك الحين، استجذبت أمام ناظرى مشاهد كثيرة:
سهول خضراء، التحمت فيها السموات بالتراب واختلط فيها
البشر بالبذور فى رطوبة لاتقاوم، أشجار دلب وشوح،
بحيرات بادية التجاعيد، وبجع خالد أخرس - مشاهد أبان
لى عنها رفيقى، ذلك الممثل الجوال، عن طيب خاطر، وهو
ينفخ فى مزماره الطويل، الذى أصاب من فرط استعماله،
شفتيه بالتلف، وخرب بصيرير نغماته كل ما اجتهدت أن
ابنيه، مثلما فعل النفخ فى نفير أريحا. وكان من ضمن ما
رأيت أيضا لوحة قديمة فى غرفة خفيضة السقف، تجمع
حولها نفر غفير من الناس راحوا يتأملونها باعجاب. كانت
اللوحة تصور إقامة لعازر من الأموات. وماعدت أذكر أين
مكان السيد المسيح فيها أو لعازر، وإنما اذكر فحسب، امارات
التقزز التى ارتسمت على شخص بأحد الاركان، وهو يحملق
فى المعجزة، كما لو كان يشم زخمها، ويحاول أن يصدّه
عن أنفاسه بالدثار الفضفاض الذى لف به وجهه. وقد
علمنى هذا السيد من عصر النهضة ألا أتوقع الكثير من
الحياة الثانية.

قالوا لنا بالخضوع تحققون الانتصار

وخضعنا، فلقينا الرماد

قالوا لنا بالحب تحققون الانتصار

وأحببنا، فلقينا رماد

قالوا لنا بالتخلي عن الحياة تحققون الانتصار

وتخلينا عن الحياة، فلقينا الرماد.

لقينا رمادا تلو رماد. ويبقى بعد ذلك أن نستكشف حياتنا من جديد، الآن ولم يبق لنا منها شيء. وإنى أتصور أن ذلك الذى سيكتشف كنه الحياة من جديد على الرغم من كل هذه الاوراق، والانفعالات، والمجاذلات والتعاليم، سيكون واحدا مثلنا، كل ما فى الأمر أنه سيتمتع بذاكرة اكثر ضراوة من الذاكرات التى لنا.

نحن لا نذكر، للأسف، الا ما أعطيناه، أما هو فسوف يذكر كل ماكسبه من خبرات. مالذى يمكن لشعلة النار أن تذكره؟ لو تذكر الشعلة أقل ولو بقليل مما هو لازم لاشتعالها، فانها تنطفئ. ولو تذكر اكثر ولو بقليل، فإنها أيضا تنطفئ. وددت لو نتعلم من النار حال اشتعالها حسن التذكر. وقد خلصت الى نتيجة: لو أمكن لغيرى أن يبدأ من حيث انتهيت أنا، فسوف يكون هذا أمرا حسنا. هناك أوقات

ينتابني فيها شعور بأننى بلغت خاتمة مطاف، وان كل شئ أصبح فى مكانه جاهزا لأن نغنيه معا بانسجام. وان الآلهة ذاتها على أهبة التحرك، بل أكاد أتخيل أنها تتحرك فعلا، وقد دبت فيها الحياة، مثل كينونة بالغة الجدة. على انه لازال هناك شئ، لازالت هناك عقبة متناهية فى الصغر، حبة رمل تتضاءل لكنها غير قادرة على الانمحاء . لا أعرف ماذا على أن أقول أو ماذا على أن أفعل. فى بعض الأحيان، تبدو لى تلك العقبة مثل قطرة دمع محشورة فى ثنايا مفصل من مفاصل اوركسترا تفرض عليه الصمت الى أن تتبدد. وينتابنى احساس لا يطاق بأن كل مابقى من حياتى لن يكفى لتذويب تلك القطرة فى بوتقة روحى، وينتابنى هاجس بأنهم لو أحرقونى حيا، فان هذه اللحظة المتأبية سوف تكون آخر مايستلم منى.

من ذا الذى سيمد لنا يد العون؟ ذات مرة، عندما كنت لأزال بحارا فى ظهيرة يوم من أيام يونيه، وجدت نفسى وحيدا على جزيرة، عاجزا عن الحركة تحت وطأة الشمس . وراحت نسمات من ربح شمالية رطيبة تجلب الى ذهنى أفكارا رقيقة. ثم جاءت امرأة شابة فى ثوب شفاف يبرز خطوط جسمها الرشيق المستنفر مثل جسد غزال، وجاء بصحبته رجل صامت، يحدق فى عينيها عبر الخطوات

القليلة التى تفصل بينهما . جاءا وجلسا على مقربة منى . كانت تناديه باسم جيم . تحدثا لغة لم أفهما ، ولكن كلماتها كانت أثيرة ، وتشابكت نظراتهما فى سكون نظراتها المنبعثة من عيون مطموسة . أفكر فيهما على الدوام ، لأنهما الشخصان الوحيدان اللذان لم تكن لهما تلك النظرة النهمة والمسكونة بالأرواح الشريرة التى رأيتها فى عيون غيرهما من الناس ، تلك النظرة التى تضع أصحابها أما فى زمرة الذئاب أو ضمن قطيع الحملان . ثم التقيت بهما فى اليوم ذاته من جديد ، برحدى تلك الكنائس الصغيرة المنتشرة فى أرجاء الجزيرة ، التى تصادفك ولا تلبث أن تنساها ما إن تخطو خارجا منها . كانا لايزالان يمشيان متباعدين بضع خطوات . ثم مالبثا أن تقاربا وتبادلا القبلات . عتمت صورة المرأة وسرعان ما اختفت ، اذ كانت صغيرة القد . وإنى أتساءل عما اذا كانا قد عرفا كيف يفلتان من الشراك التى ينصبها العالم لأمثالهما .

آن الأوان أن أنصرف . أعرف شجرة صنوبر تطل على البحر . تزود الجسد المتعب فى الظهيرة بظل محسوب مثلما هى محسوبة حياتنا . وفى المساء تغنى الريح فى مرورها عبر أشواكها أغنية غريبة الشأن مثل أرواح تخطت الموت ، لحظة البدء فى الصيرورة بشرة وشفتين من جديد .

وقد أمضيت الليل ذات مرة ساهرا تحت تلك الشجرة،
ونهلنت عند الفجر نشاطاً، كما لو كنت حجراً قطعوه من
المحجر توا.

أواه، لو استطاع المرء أن يحيا على الأقل هكذا، لكن
الأمر في الحقيقة لا يعنى شيئاً.

لندن - ٥ يونيو ١٩٣٢

٣١ - تعليقات على أسبوع

«زهور نرجس إنجليزية نامية»

الاثنين

بين حنايا العشب ينام العميان

جمهرة من الناس العميان وحنايا

سوده صقيع الفجر

(اذكر شتاء آخر

ضمنه دقاء المستنبت،

وكفل له كفايته من الحياة)*

وسائدهم، آلاتهم الخربة،

وحواكيهم المتحشجة، وتاياتهم المليئة بالثقوب

واراغينهم الجاثية على الركاب،

أهى مينة؟

ليس بمقدورك ان تفرق بسهولة بين ميت وأعمى لا يحرك ساكنا،

فى بعض الأحيان تعود احلامهم الى الحياة، لهذا اقول انهم نيام،

على البيوت من حولى تلوح ثياب ملائكة من رخام

النهر لا يمضى فى جريانه، فقد نسى مكان البحر

ومع ذلك فالبحر موجود، ومنذا الذى يستطيع من المياه ان يفرغه؟

العميان ينامون

وتجرى فى عروقهم ملائكة عارية

ترشف دماءهم، وتجعل منهم حكماء

ويمضى القلب بعينه الهائلتين يحسب

متى سينضب ماؤه.

أنظر الى النهر

هبات خفيفة مباغتة تمر تحت الشمس الواهنة

ولا شئ غير ذلك، النهر بالانتظار

الحسرة على من يمضون فى الانتظار.

لا شئ غير ذلك، وهذا يكفى اليوم.

الثلا ء

«نزلت الى مصح سان جيمس،

(موال)

ضالت الطريق فى خضم المدينة

يجثم على البساتين مصح

دون خوان تافيرا.

الشوارع متشحة بالاعلانات.

وكل مار يسير دون أن يدرى

ما اذا كان يبدأ المسيرة أو كان منها قد انتهى

ما اذا كان ذاهبا إلى أمه أو إلى عشيقته أو

إلى ابنته الصغيرة

ما اذا كان ذاهبا ليدين أو ليلقى الدينونة

ما إذا كان سيهرب، أو كان بالفعل قد هرب،

هو لا يدري من أمره شيئا.

فى كل ركن متجر للحاكيات

بكل متجر من الحاكيات مائة

وعلى كل اسطوانة

يعزف حى مع ميت.

خذ إبرة الصلب وحاول إن اسطعت

أن تفرق بينهما.

ولكن أى شاعر هذا، هل تذكر أى شاعر كان

الذى جرب إبرة الصلب

فى ثنايا جمجمة الانسان؟ أتذكر الليلة أغنيته تلك ؟

أذكر أنه طلب منا قرصا مسكنا للصداع

كانت عيناه تدوران فى محجرين أسودين

كان شاحبا، وعلى جبينه حفر خطان ممتدان

من التجاعيد الغائرة

لكن ترى أكنت أنت هو؟ أم كنت أنا؟

أم كانت انتيجون الصامته ذات الكتفين

المتهدلين على صدرها؟

وكننت قد استبقيتها عندي عشر ليال
وكانت تبكي على ابنها فجر كل صباح
أذكر أنني بحثت عن صيدلية
وكانت الصيدليات مغلقة، ولا أذكر لمن كنت أبحث عن
الدواء.

ضالت طريقى فى خضم المدينة
ما من أحد سينقل نزلأء المصح الذى يخصص بالأطفال
المعوقين الذين
إلى أو إلى آخرين ورائى مضوا يومئون -
روائح أدوية تثقل الهواء
تتعانق وتمتزج
بعوادم سيارات متجهة
إلى نزهات خلوية بأزواج من العشاق شقر الوجوه
أشبه بشخص برورا فائيلية
بهتت على اللوحات قسماتها.

٢٣ عام ماتت

فى حمامها النجمة ليلي ريميني

وجدوها غارقة في العطور
ولم يكن الماء بالحوض قد برد بعد
بينما كانت بالأمس القريب
تنظر الى بعينيهما الخاويتين، في دار الخيالة.

١ ربعاء

«الليالي البيضاء يقضيها المرء في حلم ممتد بين النوم واليقظة،

- لماذا لا يجئ الليل؟

- انظر من فضلك لعل القمر الجديد في مكان ما قد طلع.

- ينظر إليك الجميع ليروا ماذا ستفعل

وأنت تنظر إلى الجموع التي تتطلع إليك

تستوعب الأنظار إطارا ضيقا

ليس بإمكانها أن تتجاوزه.

فإذا ولد أحد اتسع الإطار

وإذا مات أحد ضاق

كل قليل قدره قليل

وكلما قلت العيون قل ماتبصره
ولهذا القانون الهندسى تخضع الحواس الأخرى الأربع.
لو كان الحب يسودنا لانكسر الإطار
ولأغمضنا الجفون لحظة ورأينا الكثير
لكننا على الحب لسنا بقادرين.

كانت عيناك جميلتين، ولكن بأنظارك لم تكن تعرف إلى
أين تتجه

وعندما قلت بدأت الظلمة تزحف فلنصرف،
والتفت نحوى وصوبت عينيك إلى عيني، طار
خفاش راسما فى طيرانه مثلثات..
وعاد صوت الحاكى من جديد.
والآن، تزداد

مثلثات الخفافيش حصاراً لنا، كلما فتحت جناحيها وطار
من إنسان إلى إنسان، إلى إنسان،
لافكاك لأحد

ولئن كانت الحياة ثرية فلأننا كثيرون

وكلنا متمائلون

ولئن كانت الحياة ثرية فلأننا وجدنا لدى الآخرين،
وإن اضمحلت فينا الحواس، آلات أكثر إتقاناً
يأيتها الأخوة، تشاركنا في اللقمة والألم،
فلا عاد أحد يعاني الجوع، ولا عاد أحد يعاني الألم.
وتساوت قاماتنا جميعاً. انظروا إلينا!
إننا ننظر إليكم! ونحن أيضاً! ونحن! ونحن!
وليس ثمة حاجة إلى أكثر من ذلك.
- لكن البحر
لا أعرف أن أحدا استوعبه بعد.

الخميس

رأيتها تموت أكثر من مرة.
تارة كانت تبكي بين ذراعي
وتارة بين ذراعي غريب

وتارة وحيدة، عارية،
هكذا عاشت بجوارى .
أعرف الآن الأشياء أبعد من ذلك
وأنتظر.

ولئن حزنت، فهذا من الشئون الخاصة،
مثل المشاعر إزاء توافه الأمور
التي، كما يقولون، تجاوزناها
ومع ذلك، لازلت حزينا لأننى
لم أصبح بدورى (ما وددت أنا أكون)
مثل العشب الذى سمعته ينبت
ذات ليلة بالقرب من شجرة صنوبر،
ولأننى لم أقتف أثر البحر
ذات ليلة أخرى انحسرت فيها عن الشيطان مياه الجزر
راشقة مرارتها بلا شكاية
بل ولم أدرك وأنا أتحسس مخلفات الطحالب التى لازال
يقطر منها البلى،
كم يبقى فى حوزة البشر من كرامة.
خطر لى كل ذلك ببطء ومضاء

مثل الشاحنات باهتة الأسماء:

«هيلين اسبارطة»، «تيرانوس»، «جلوريا موندى»

وهي تمر تحت الجسور، الى ما وراء المداخل

يسوق كل منها رجلان انكبا محنيين،

واحد من الأمام والآخر من الخلف

عاريين حتى الوسط.

الحملان جعدة الصوف دائبة الاجترار تكادح تلوح فحسب

ولا حتى القمر فوق النهر المنتظر يبين.

سبع رماح انطلقت وسقطت فى لجة الماء

التي لم تتلوث بالدماء، ولم تحرك ساكنا.

وعلى البلاط الذى تنعكس عليه أضواء شجنية

عند سفح القلعة العوراء

يلوح، مرسوما بأقلام حمراء وصفراء،

الناصرى كاشفا عن جراحه صائحة

«لا تلق بقلبك الى الكلاب».

لا تلق بقلبك الى الكلاب،

وتغوض الأصوات اذ تدق الساعة،

عن مشيئتك بحثت. لتكن مشيئتك.

* هكذا كانت تصبح آلهات العقاب

الجمعة

ومنذ ذلك الحين كم من مرة خطرت أمام ناظري امرأة لم يبق منها سوى الشعر والصدر والعينين، جنية على الأمواج مبحرة، والهواء الرطيب مثل دم أزرق يسرى دواراً معها.

السبت

- لم أنس شيئاً

كل شيء في مكانه، رتب بنظام، في انتظار
اليد كي تختار.

فقط، لم أستطع العثور على سنوات الصبا
ولا أين ولد البطل

ولا الانطباعات الأولى

التي يستحضر ذكرها في الفصل الخامس
عند ذروة المأساة،

أما كل ماعدا ذلك، فها هو ذا، مرتب على التوالي:
الأقنعة للانفعالات الثلاثة الرئيسية،

وأيضاً تلك التى للوسيطه،

ملابس الممثلين ذات الطيات على أهبة التماوج،

الستائر، الأضواء،

ولدا ميديا المقتولان

السم والسكين .

فى ذلك الصندوق هناك الحياة عندما تبدأ فى أن تصبح
لاتطاق:

إذا قربت أذنك منه سوف تسمع الأنفاس،

حذارى أن تفتحه قبل أن تصفر الآلهات الضاريات.

فى ذلك الإناء الزجاجى سوف تجد عشق الجسد

وفى الإناء الآخر - ذى اللون الأزرق - عشق الروح.

تأكد ألا يختلط عليك الأمر.

وفى ذلك الدرج قميص نيسو

(الفصل الخامس، المشهد الثالث)

تذكر الكلام الذى يبدأ بهذا:

«كفانا حياة! آيوه! آيوه! *»،

وهنا البوق الذى يدك القصر بنفيره

كاشفاً عن الملكة فى اثمها

وذلك مفتاح مكبرات الصوت -
سوف يسمعونك بأقصى الأرض -
قلنبداً - إضاءة! بالتوفيق!،

- لحظة واحدة، بأى دور سأقوم من ذا الذى سأقتله؟
وهؤلاء القوم الذين يتطلعون الى -
ما الذى سيجعلهم - ون أن العدالة تحمينى؟
ما الذى سيجعلهم يعتقدون أنها فى صفى؟
أواه، لو استطعنا فحسب أن نحب
ليس مثل الحمام
بل مثل النحل على الأقل نحب
ليس مثل حوريات البحر
بل مثل الأصداف على الأقل نحب - ليس مثل أشجار الدلب
بل مثل النمل، من القلب نحب...
ولكن أفلا تراهم، لا يبصرون!
العميان يغطون فى النوم...،
- «رائع - بإمكانك أن تستمر،

أحد

جوادان ثقيلان وعربة بطيئة، أو شيء من هذا القبيل،
في الطريق خارج نافذتي: هذا الضجيج.
تماثيل مقطوعة الزطراف، من على عريشة لازالت تنظر
إلى .

أراها، وسرعان ما سيحل الظلام
ما وزن التماثيل؟
أفضل قطرة دم على زجاجة حبر.

لندن، صيف ٩٣٣

جورج سغريس - ١٩٣

رسوم سري للصيف

٣٢. كلمة عن الصيف

عدنا الى الخريف من جديد، ويبقى
الصيف مثل دفتر تمارين، تعبنا من الكتابة فيه،
حافل بالموضوعات المشطوبة، والرسوم المجردة،
وفي الهوامش علامات استفهام. عدنا
إلى فصل العيون الشاحصة
فى المرأة تحت أضواء الكهرياء،
والشفاء المطبقة، والقوم الغرباء
فى الغرف، فى الشوارع، تحت الأشجار الواطئة

بينما تذببح أنوار السيارات الكاشفة
آلآفا من الأقنعة الشاحبة.
عدنا، ونحن على الدوام نخطط للعودة،
إلى العزلة، إلى قبضة التراب، إلى الأيدى الخاوية.
ومع ذلك، ألفت ذات يوم أن أحب سينجرو
الطريق الرحيب المزدوج، الصاعد النازل
الآخذ بنا، إلى البحر، وذلك أشبه بالمعجزة.
البحر اللانهائى، لنتطهر من آثامنا.
وقد ألفت أن أحب بعضاً من الناس غير المعروفين
الذين ألتقى بهم آخر النهار على غير انتظار
يكلمون أنفسهم مثل ربابنة سفن عسكرية غارقة
مما يشهد بأن العالم جد رحيب.
ومع ذلك ألفت أن أحب هذه الطرقات، وهذه الأعمدة، هنا
رغم أننى ولدت على الشاطئ الآخر، قريباً من
أحراش بوص وغاب، من جزر
يتدفق فيها الماء على الرمل ليروى
عطش الممسك بالمجداف، رغم اننى ولدت

على مقربة من البحر الذى أطويه وأفضه بين أصابعى،
عندما يدركنى التعب - فلا أعود أعرف أين ولدت.

لا زال الصيف، العطر الأصفر باقياً،
ويداك تلمسان فى الماء قناديل
تنفتح عيناك فجأة، وهما أول عينين تنفتحان على الوجود
وكهوف البحر،
وقدماك على التربة الحمراء عاريان يخطوان.
لا زال الصيف، تلك الصبوة الرخامية الشقراء باقياً
ولا زال قليل من الملح بعد المطر باقياً فى تجويف صخرة
أدركه الجفاف
ويضع إبر من الصنوبر
حمراء مبعثرة مثل شباك صيد ممزقة.

لا أفهم هذه الوجوه، لا أفهمها.
تتظاهر أحياناً بالموت، ثم تعود
فتضىء بحياة خفيضة مثل اليراع

بعناء، بلا رجاء،
محشورة بين تجعيدتين
بين منصدتى مقهى ملطختين.
تقتتل، تتضاءل،
تلصق، مثل طوابع البريد على زجاج النوافذ.
سحناً من أسباط أخرى.
سرنا معاً، تقاسمنا الخبز والنوم
وذقنا مرارة الفراق ذاتها
بنينا بيوتنا بما كان لدينا من حجارة
صعدنا الى السفن، عرفنا المنفى، وعدنا
لنجد نساءنا بالانتظار
وما عادت إلا بصعوبة تعرفنا. لأحد يعرفنا.
قلد الرفاق تماثيل، تشبهوا
بمقاعد الخريف الخالية. شوه
الصحاب وجوههم. ماعدت اعرفهم.
لازال الصيف، تلك الصحراء الصفراء، باقياً
وتنحسر أمواج الرمال حتى اخر دوائرها

دقات طبلة، بلا رحمة، بلا نهاية،
عيون ملتهبة تغوص في الشمس
يدان تشقان السماء مثلما الطير
تؤديان التحية لموتى اصطفيت في وضع انتباه
ضائعتان عند نقطة تجاوزت سيطرتي، وصارت تحكمني:
يداك اللتان تلمسان الموجة الحرة.

خريف ١٩٣٦

٣٣ - الغطاس، ١٩٣٧

البحر المزهر والجبال فى ضوء القمر الشاحب
الحجر الكبير بجوار شجيرات التين والزنابق
والجرة التى أبت زن ينضب ماؤها عند نهاية النهار
والسرير المطوى بجوار أشجار السرو وشعرك
الذهبي، والنجوم السواطع.

احتفظت بها، احتفظت بحياتى كلها جواباً
بين أشجار صفراء تحت رخات المطر
على منحدرات صامئة بأوراق من أشجار الزان محملة

أوشكت الدنيا على الاظلام، فلا نار موقدة على القمم
احتفظ بحياتي. على يدك اليسرى خط من جرح مندمل
وعند ركبتك ندبة.

ترى ألا زال لهم وجود على رمال الصيف الماضي
أتراهم باقون حيث عصفت رياح الشمال كما أسمع
صوتاً غريباً وافداً من حول البحيرة المتجمدة.
الوجوه التي أراها لاتسأل أسئلة، ولا المرأة التي
تنحني في سيرها ترضع طفلها.

أتسلق الجبال، وأنزل وهادا قاتمة السواد، ويمتد
السهل المغطى بالثلوج على مرمى البصر، ولا سؤال.
حتى الزمن المحبوس في كنائس مهجورة،
والأيدي الممتدة في استجداء، والدروب، لا تسأل عن شيء.
بقيت مسيطراً على حياتي، هامساً في الصمت اللامحدود
همسات مثل أنفاس شجرة السرو في تلك الليلة.

مثل الصوت الإنساني لبحر الليل يسرى على الحصى
مثل ذكرى صوتك وأنت تقولين «سعادة»

ما عدت أعرف كيف أتحدث، ولا كيف أفكر
أغمض عيني باحثاً عن مكان اللقاء السرى للمياه

وتحت الجليد، عن ابتسامة البحر، والينابيع المكنونة
متلمسا بعروقي تلك العروق التي تهرب مني
هناك حيث تنتهي زنابق الماء، متلمسا ذلك الإنسان
الذي يسير عبر الثلوج في صمت وبلا إبطار.
بقيت مسيطرا على حياتي، باحثا معه عن الماء
الذي يمسسك منه.

قطرات غزيرة على وجهك النضر مثل أوراق خضراء
في الحديقة الخالية، قطرات تتساقط في حوض نافورة
راكدة المياه
فترتطم ببجعة ترقد ميتة مكومة بين جناحيها ناصعي
البياض
هناك حيث الأشجار أحياء، وعيناك تحملقان.

هذا الطريق ليس له نهاية، ولا خلاص منه، ومهما حاولت
جاهدا أن تستعيد سنوات صباك، وأولئك الذين رحلوا، أولئك
الذين يرقدون في قبور البحر ضائعين.

ومهما حاولت جاهدا أن تسأل الاجساد التي ذات يوم أحببتها
أن تطل عليك من تحت أشجار الدلب غليظة الأغصان.
هناك حيث وقف عاريا بلا حراك شعاع شمس

وارتعد قلبك عند قفزة كلب،
الطريق لا خلاص منه، وقد بقيت على حياتي مسيطرا
ليس هناك سوى الجليد
والماء المتجمد في آثار حوافر الجياد.

٣٤- الغراب

فى ذكرى ادجار آلان بو

سنوات مثل أجنحة . ما الذى يذكره الغراب ساكن الحراك ؟
ما الذى يذكره الموتى عند جذور الشجر ؟
كانت يداك فى لون تفاحة على أهبة السقوط ،
وذاك الصوت يعود ويعود خفيضا من جديد .

أولئك الذين يسافرون مبحرين يراقبون الشراع والنجوم
يسمعون الريح ، يسمعون البحر الآخر فيما وراء الريح
مثلما فى محارة مصمتة بالقرب منهم . لا يسمعون
شيئا سواه ، ولا يبحثون بين ظلال السرو

عن وجه ضائع، عن درهم، ولا يتساءلون إذ يرون
غرابا على غصن جاف ما الذى يذكره الغراب.
يجثم فوق ساعات حياتى،
مثل روح تمثال بلا عيين، ضريب،
وقد تجمع باعماق ذلك الطائر حشد من الناس كبير
آلاف من البشر المنسيين، تجاعيد مطمورة
ومعانقات تهدمت، وضحكات لم تكتمل
وأعمال محجور عليها، ومحطات فى الصمت غارقة
رذاذ من مطر ذهبى فى نوم عميق.
لا يحرك الطائر ساكنا. يحملق فى ساعاتى. ما الذى
يذكره؟
بأعماق أولئك البشر بداخله جراح كثيرة،
وعواطف موقوفة تنتظر البعث
ورغبات متواضعة تلتصق بتراب الأرض
أطفال قتلى ونساء أنهكها التعب عند الفجر.
هل ناء الغصن الجاف بحمله، هل ناءت بحملها
جذور الشجرة التى علاها الاصفرار، وكواهل أناس آخرين،
غاصت فى الأرض

كياناتهم الغريبة،

دون أن تجرؤ على المساس بقطرة ماء؟

ترى، هل ثقل الحمل في مكان ما؟

كان ليديك ثقل مثلما ليدين تحت الماء

في كهوف البحر، ثقل خفيف بلا عناء

ثقل الحركة التي نزيح بها البحر صوب الجزر، صوب
الأفق،

ثقل الحركة التي نأتيها أحيانا لنطرد عنا فكرة شوهاء.

ثقل الحقل في أعقاب المطر،

ما الذي تذكره الشعلة السوداء

في مواجهة السماء الرمادية

محصورة بين الإنسان وذكرى الإنسان

بين الجرح واليد التي سدّدت طعناتها النجلاء

أظلم الحقل، جفّت الأمطار وسكن الهواء

ما عادت أنفاسي تكفي

من ذا الذي سيعود فيحرك النسمات؟

في خضم الذكريات - صدر مذعور

إنفراجة بين ظلال تكافح كي تصبح رجلاً وامرأة من جديد
حياة راكدة من نعاسٍ وموت.

سعت يداك على الدوام نحو رقاد البحر
تلاطفان الحلم الذي يصعده العنكبوت الذهبى برفق
إلى ضياء الشمس جالباً جمهرة من النجوم
والأجفان المطبقة والأجنحة المطوية

كورييتزا، شتاء ١٩٣٧

٣- زهور الحجر

يا زهور الصخر تواجهين خضرة البحر
عروقك ذكرتني بمحبات آخر
وأنت تلمعين تحت الوئيد من رذاذ المطر
يا زهور الصخر، يا أشكالا
جاءت عندما كف الكلام، وكلمتني
ثم بعد الصمت تركتني
وسط أشجار السرو والأرز والبلوط
تركتني المسها.

٣٦- الماء الدافئ

الماء الدافئ يذكرني كل صباح
بأنه ليس لي شيء غيره حتى بالقرب مني.

٣٧-مرثية

كانت الجمرات فى الضباب
ورودا فى قلبك مغروسة
بينما الرماد يغطى وجهك
كل صباح.

رحلت منذ صيف مضى
وأنت تقطف من شجر البلوط ظلال.

٣٨- بين لحظتين مريرتين

لا يتسنى لك بين لحظتين مريرتين
حتى أن تلتقط أنفاسك.
بين وجهك ووجهك الآخر
يلوح وجه صبي وينمحي.

٣٩- في كهوف البحر

في كهوف البحر

هناك عطش، هناك حب

في كهوف البحر نشوة

كل شيء صلب هناك مثل القواقع

بإمكانك أن تمسكها في راحتك.

في كهوف البحر

حدقت في عينيك أياما طويلا

ولم أعرفك، ولا أنت عرفتني.

٤٠. كف بحثًا

كف بحثًا عن البحر وأمواج الجزة،
التي تدفع بالمراكب ...
تحت السماء، نحن أسماك، والشجر طحالب.

مذكرات على سطح سفين (١)

انا باقون فى هذا الوضع بانتظار الأوامر

من دفاتر السفن

وفى هذه الأثناء، يبدو لى فى كثير من الأحيان أن الأفضل أن تروح فى النوم من أن تكون هكذا بلا رفيق.

وان تبقى على هذا الحال طويلا، وما الذى يمكنك عمله أو قوله فى هذه الأثناء؟

لا أدري. وما الجدوى من الشعراء فى وقت يكون فيه الانشغال الروحى شحيحاً؟

فريدريك هولدرلين «الخبز والنبيذ»

٤- ماثيوس باسكاليس بين الورود

ثابرت على التدخين هذا الصباح
قلو كفتت سوف تحاصرني الورود بالعناق
وبأشواكها وأوراقها المتساقطة ستضيق على الخناق
انها تنمو باعوجاج، لكل منها اللون الوردى ذاته
وكلها تمضى تتفرس فيما حولها، متوقعة أن تلمح مارا
على مقربة منها، ولا أحد يمر.
من وراء غليونى أراقبها على سيقانها المتهاكة

ولا يفوح منها أريج .

فى الحياة الأخرى، قالت لى امرأة: «يمكنك أن تلمس هذه
اليد، وهذ الوردة لك، يمكنك أن تأخذها وقتما شئت هى لك،
الآن أو فيما بعد،

أنزل الدرجات، ولازلت أدخن

. وتتبعنى الورود بانفعال

وفى مسلكها شئ من ذلك الصوت الذى يسمع

عند جذور صرخة، يشرع بها المرء فى الهتاف قائلاً:

«أماه، أو «النجدة،

أو الذى يسمع عند صيحات الحب الصغيرة البيضاء.

حديقة صغيرة حافلة بالورود

بضع ياردات تتبعنى نازلاً الدرجات، مخلفا السماء ورائى

وخالتها تقول: «انتيجون، نسيت تدريباتك اليوم،

فى سنك لم أرتد أحزمة البطن، لم يكن ذلك مألوفاً فى

زمانى،

كانت خالتها مخلوقاً نحيلاً، نافر العروق

تغطي التجاعيد ما حول أذنيها، ولها انف على أهبة أن يلفظ الحياة.

ولكن كلماتها كانت على الدوام حافلة بالحكمة.

ذات يوم، رأيتها تلمس نهد انتيجون

مثل غلام صغير يسرق تفاحة.

هل من المحتمل ان ألقى المرأة العجوز في طريقى الآن
نازلاً؟

قالت لى وأنا أرحل: «من يدري متى سوف نلتقى من
جديد؟»

ثم قرأت نعيها فى صحف قديمة

كما قرأت عن زواج انتيجون، وزواج ابنة انتيجون

دون أن تنتهى الدرجات، ولا ينضب فى غليونى التبغ

الذى يترك على شفتى مذاق مركب مسكون

صلبت الى عجلة قيادته عروس بحر عندما كانت لاتزال
تتمتع بالجمال.

٤٢- صباح خريفى جميل

من أجل السيدة دونونكو

ها أنت ترين فى النهاية أننى أحب هذه الجبال فى هذه
الضياء

تجد جلدًا مثل بطن فيل

تقدم به العمر وانكملت عيناه

ها انت ترين أننى أحب أشجار الحور هذه، على قلتها

منها الطوال مثل الجنج ومنها القصار مثل التوسك

وهى تقف فى الشمس مرفوعة الأكتاف.

الصيف يعرف المنجل، والشتاء يعرف الفأس

تتكرر الأشياء ذاتها، وتتكرر الحركات

من الأجسام ذاتها، إذا نفضت عنها الخمول.
ماذا يقول المؤذن من أعلى المئذنة؟ انتبهى.
بعينه يحتضن شرفة قريبة يطل عليها
وفى الشرفة صبية شقراء كلها اباء
تلوح بيديها الورديتين الصغيرتين فى وجه السماء
ولا تلبث كل من الشرفة والمئذنة أن تميل نحو الأخرى
مثلاً يميل برج بيزا فى مكانه
ولا تعودين تسمعين سوى همسات، وهى ليست همسات
مياه أو نسيمات أو حفيف أوراق على شجر، بل هى همهمات
صلاة لم تألفها أسماعنا.
ثم يعلو صياح الديك الأشقر
أواه، أيتها الروح سموت بحبك إلى القمم العالية!

ها أنت ترين أننى فى النهاية أحب هذه الجبال
بكل تجاعيدها من حولى مثل قطيع عجوز من الخراف
هل فكر أحد أن يقرأ لأحد الجبال طالعه كما يقرأ الكف
عراف؟

هل فكر أحد فى ذلك؟ ... يالتلك الفكرة الملحة
المقفلة فى صندوق خواء، تدق الجدران الورقية

بعناد وبلا انقطاع

مثل فأر طوال الليل يقرض الأرض الخشبية.

الأجساد نفضت عنها الخمول، أواه يا من سموت إلى القمم
العالية. ها أنت ترين أنني أحب

حتى ذلك الثور الذي يتهادى في السهل المقدوني، بأناة،
وبلا عجلة، كما لو كان يعرف أن بلوغ القصد من المحال،
ويذكرنا بالمحارب الروماني الشجاع ذي الرأس الشامخ في
كبرياء

«الذي تبدله هو بدوره الأقدار في نهاية المطاف،

كورتيسا، ١٩٣٧

٤٣- بياترسان نيكولو

لعدة سنوات، ألفت أن أنام مبكرا

البيت

ملئ بشبابيك مشغولة من حديد، وتنعدم فيه الثقة عندما
تفحص عن كتب أركانه المظلمة.

كان يهمس قائلاً ،لعدة سنوات، ألفت أن أنام مبكرا،

كنت أرنو الى لوحتي ايلاس و المجدلية

قبل أن أقول طابت ليلتكم. أرنو الى الضوء الابيض

للمعدان الكبير.

الى المعدن اللامع

وكان من الصعب على أن أخلف ورائى الأصوات فى ختام
اليوم،

البيت، عندما تتفحص حلياته المعمارية العتيقة عن كذب،

تدب اليقظة فى أرجائه: خطوات أم على درجات السلم

يد ترتب الاغطية أو تثبت الناموسية

شفتان تطفئان ذبالة القنديل.

قصة قديمة كل هذا، وما عاد يكثرث بها أحد:

جمدنا قلوبنا، وشببنا عن الطوق.

لا تنزل نسمات الجبل الرطبة الى ما هو ادنى من برج
الجرس

الذى يحصى الساعات المنقضية مناجياً نفسه. وهذا ما كنا
نراه

عندما تأتى إلى الفناء فى المساء

العمة دارنا ديميتروفنا بذت تروفيموفيتش.

لا تلمس نسمات الجبل الرطيبة القبضنة الراسخة للقديس
نيقولا

ولا تنزل إلى الصيدلى الذى يلوح من وراء غيش أحمر
أخضر،

مثلما من عبارة تحجرت.

كى تتلقى نسمة الجبل الرطيب عليك أن تصعد متجاوزاً
قبضنة القديس

وبرج الجرس.

بارتفاع ما يقرب من ٧٠ أو ٨٠ متراً، وليس هذا فى الحق
بكثير.

فهناك سوف تهمس، كما كنت تفعل عند ذهابك إلى الفراش
مبكراً،

ليس بالكثير من الكلمات على أى حال،

وفى نومك الميسر بأعلى الجبل سوف تزول عنك مرارة
الفراق

كلمة أو كلمتين فحسب، وفى هذا الكفاية

مادام الماء يتدفق، ولا خوف من نضوبه

تهمس مسنداً رأسك على كتف صديق

كما لو لم تكن قد شيبت فى البيت الصامت
مع وجوه أضحت ثقيلة وجعلت منا غرباء متوجسين .
ولكن هناك ، بأعلى برج الأجراس بقليل
تتغير حياتك

ليس بالأمر الجسيم أن تتساق صاعداً ، ولكن من أشق الأمور
بالنسبة لك أن يلحقك التغيير
عندما يكون مأواك الكنيسة الحجرية وقلبك فى البيت الذى
يزحف عليه الظلام
وكل الأبواب موصدة بيد القديس نيقولا الضخمة .

بيليون - كورتيزا . صيف - خريف ١٩٣٧

٤٤- شمسنا

هذه الشمس كانت لى ولك، كانت شركة بيننا.
منذا الذى يتعذب خلف الحرير الذهبى، منذا الذى يموت؟
امرأة تلطم ثدييها الضامرين صرخت تقول وجبناء.
اخذوا ابنائى ومزقوهم اربا اربا، انتم
قتلتموهم، إذ انصرفتم تحمقون فى اليراع عند الغسق بنظرة
مستغربة
تأهين فى أفكاركم ولا ترون،
كان الدم يجف على يد عكست عليها شجرة ظللا خضراء،

يد محارب ينام ممسكا برمح إلى جانبه يلمع نصله في
مضاء.

كانت هذه الشمس شمسا، ولم نر شيئا خلف النقاب المطرز
بالذهب

ثم جاء الرسل، لاهثى الأنفاس ملطخين بالأحوال
يتمتمون بكلمات مبهمة

عشرون يوما، ليل نهار، يركضون على الأرض الجرداء
التي لا تنبت فيها سوى الأشواك

عشرون يوما ليل نهار يتحسسون بطون الجياد تنزف منها
الدماء

لحظة واحدة لا يتوقفون، ليس لديهم وقت يروون فيه من
ماء الأمطار ظمأهم قلت لهم أن يستريحوا أولا ثم بعد ذلك
يتكلمون، وكان الضوء قد أعماك.

ماتوا وهم يقولون: «ليس لدينا وقت، وقد أدركوا من الشمس
بعض الشعاع.

نسيت أن مامن أحد يستريح.

مثل كلب يعوى فى الظلام، ولولت امرأة تقول «جبنا». .
لا بد أنها كانت جميلة ذات يوم مثلك،
حلوة الرضاب، وعروقها تنبض تحت جلدها،
بالحب والحياة.

كانت هذه الشمس لنا، احتجزتها كلها لنفسك، أبيت أن
تتبعينى .

وعندئذ عرفت عن تلك الأمور التى تجرى خلف
الحرير والذهب:

ليس لدينا وقت. كان الرسل على حق.

٤- العودة من المنفى

يا صديقى القديم، ما الذى تبحث عنه؟

عدت بعد سنوات فى الغربة

مشبعاً بتساویر نمت

بعيدا عن وطنك

وفى ظل سماوات أجنبية،

أبحث عن بستانى القديم،

أضحت الأشجار لا ترتفع أعلى من وسطى

والتلألأ أشبه بمصاطب

وقد كنت في صباى
أُعب على العشب
تحت أشجار وارفة الظلال
وكننت ساعات وساعات
مبهور الأنفاس أجرى على المنحدرات ،

«اهدا يا صديقى القديم،
سوف تألفها رويدا رويدا،
وسوف نتسلق معا
الدروب التى عرفتھا ذات يوم
وسوف نجلس معا
تحت قباب أشجار البلوط
سوف يعود إليك بستانك
رويدا رويدا وما كان لك من منحدرات،

«إنى أبحث عن بيتى القديم
عن النوافذ العالية
يحجبها شجر سرو ظليل

أبحث عن العمود القديم
الذى كان لأهل البحر معروفا.
وكيف أدخل إلى هذه الحظيرة؟
السقف حتى كتفى خفيض
ومهما نظرت بعيدا
أرى رجالا على ركابهم جاثين
كما لو كانوا يصلون راكعين،.

«يا صديقى القديم، ألا تسمعنى؟
سوف تألف ذلك رويدا رويدا.
بيتك هو هذا الذى تراه
وسرعان ما سيجئ الأقارب والصحاب
يدقون الباب
يرحبون فى مودة بعودتك،

«ما الذى يجعل صوتك نائيا الى هذا الحد؟
ارفع رأسك قليلا
حتى أستطيع أن زتبين ما تقول.

كلما مضيت في الكلام ازددت
بالتدريج تضاًؤلاً
كما لو كنت تغوص في الأرض غارقاً،

«يا صديقي القديم، قف لحظة وفكر:
سوف تألف رويداً رويداً كل ذلك.
لقد جسم لك حنينك الى الوطن
بلدا ليس له وجود، بقوانين
مغايرة للأرض وللإنسان،
«ماعدت الآن بقادر أن أسمع صوتاً.
آخر الأصدقاء غاص في الأرض، غرق.
عجباً، كيف ينخفض مستوى الأشياء من حولنا.
كلما فات زمن
آلاف من الحاصدات تمر
وتجتث كل شئ من هنا».

اثينا، ربيع ١٩٣٨

٤٦. احتواء مالا احتواء *

الجمعة الحزينة

تتساقط اليوم بلا انقطاع على المدينة قطع من نقود معدنية

كل رنة تسقط مثل قطرة ماء في التراب

تجلب انفراجة جديدة، لقد

جاءت اللحظة، انهضيْنى .

٤٧. صل من البهجة

طوال ذلك الصباح كنا مبتهجين أشد البهجة
ياإلهى، كم غمرتنا البهجة.
بادئ ذى بدء، كانت الأحجار والأزهار وأوراق الشجر تلمع
وتتلاألأ
ثم الشمس
كانت شمسا ضخمة، كلها أشواك وفي السماء عالية.
لملمت جنية همومنا، وعلى الأشجار علقتها
غابة من أشجار يهوذا.

عشاقا كنا فى ميعة الصبا وغلما نا يلهون ويغنون هناك
وكان بإمكانك أن تلمح بين أشجار الغار السوداء براعم
وردية

نسل هى غض الالهـاب .

طوال الصباح كنا بالبهجة مفعمين

والهاوية بئر محكم الإغلاق

ينقر على غطائه بحافره غزال رقيق .

أتذكر ضحكـه . كم كان بالبهجة مفعما !

ثم تمطر السحب ، وتبتل الأرض .

كففت عن الضحك عندما رقدت فى الكوخ

وفتحت عينيك الواسعتين تتابع

رئيس الملائكة يلوح بسيفه الملهب .

«يستعصى الأمر على التفسير، هذا ماقلت . ثم أردفت تقول »

يستعصى الأمر على التفسير .

لا أفهم الناس :

مهما تلاعبوا بالألوان

فهم جميعا سود .

بينديلى ، الربيع

٤٨- ورا من شجرة حور

ارتعشت، فحملتها الريح بعيدا
وكيف لا تحملها وقد ارا - كثيرا
بعيدا، هناك بحر
وجزيرة في الشمس
الأيادي القابضة على المجاديف
تموت ما إن يلوح الميناء
والعيون مغمضة على ما في البحر من شقائق النعمان.

ارتعشت .

فتقت إليها كثيرا

في الغابات الجرداء

وعند البئر المحاط بأشجار الكافور

في الربيع

يا إلهي، كم افتقدتها

وفي الخريف .

٤٩- تضامن

لا أستطيع أن أتغير
هـى هـناك، بعينىها النـجلاوين
تطل من خلف الأمواج
حيث تهب الريح
هـى هـناك، بعينين نجلاوين
تتابع أجـلحة الطير
وهل غير أحد من نفسه قط؟

عما تبحثون؟ اشاراتكم تصل السفين محرفة
يضحي حبكم بغضا، وسكينتكم تنقلب اضطرابا
ولا أستطيع أن أستدير إلى الوراء ملتفتا كي أرى
وجوهكم على الشطآن.
العينان النجلاوان هناك
سواء ثبت عيني على الخط الذي اختطه لطريقي
أو تساقطت النجوم عند الأفق
هما هناك مثبتتان في الأثير
مثل قدر أكثر التصاقا بي من قدرى ذاته.

كلماتكم، وقد ألفت سماعها
تطن بين جنبات السفين ثم تذهب بددا
أولازلت أعتقد في وجودكم
أيتها الظلال الباهتة، أيها الرفاق الهالكون؟

فقد هذا الوجود رونقه
وأضحى بلون طحالب العام الماضي،
جافة، رمادية، ملفوفة، تحت رحمة الرياح، على الشطآن.

لم يبق لى سوى إلهى
وبحر خضم، وعينان
مثل الريح فى السكون والمضاء
وأشرعتى، فلتبق مشرعة ما وسعت البقاء.

• اليوم خير

اليوم ملبد بالغيوم. لم يكن أحد بقادر أن يتخذ قرارا.
كانت النسمات خفيفة وسمع من يقول: «هذه ليست من
الجنوب، بل من الشمال تهب».
أشجار سرو نحيلة على السفح مسمرة، ثم يليها البحر رمادي
اللون بجزر مضيئة.
شرع الجند بنادقهم عندما أخذ يتساقط رذاذ المطر.
هذه ليست من الجنوب، بل من الشمال تهب.
كان هذا هو القرار الوحيد الذى سمع. ومع ذلك، كنا نعرف
أنه لن يبقى لنا شيء فى فجر اليوم التالى. لا المرأة التى

ترشف النوم بالقرب منا ستبقى،

ولا حتى سيذكر يوماً أننا كنا رجالاً.

ما من شيء سيبقى في فجر اليوم التالي.

كانت صديقتي تقول، وهي تسير بجانبى: «هذه الريح،
بالربيع تذكرنا، وتنظر بعيداً «جاء الربيع فجأة في الشتاء
إلى البحر المغلق،

دون أن يتوقعه أحد. مضت سنين كثيرة. كيف سنموت،
الآن؟»

تحت رذاذ المطر، طافت مسيرة جنائزية.

كيف يموت الرجال؟ عجباً، لم يفكر أحد في هذا الأمر.

ومن فكر فيه بدا له الموت ذكريات قديمة

من الحروب الصليبية أو من معركة سلاميني البحرية.

ومع ذلك فالموت يحدث كل يوم. كيف يموت الرجال؟

ومع ذلك، ينال كل منا موته الذي لا يخص أحداً سواه.

هذه لعبة الحياة.

مضى النور يخفت فوق اليوم الملبد بالغيوم. وما من أحد
يتخذ قراراً.

في فجر اليوم التالي لن يبقى لنا شيء. كل شيء سنسلمه.

حتى أيدينا ستزرع منا

وستعمل نساؤنا لدى الغير، عند ينابيع المياه، وأولادنا
سيعملون في المحاجر.

كانت صديقتي تغني، وهي تسير بجانبى، أغنية ممزقة
تقول «فى الربيع، فى الشتاء، أرقاء...».

وقد كنا نتذكر معلمين شيوخا تركونا أيتاما.

ثم مر بنا رجل وامرأة يتحادثان قائلين:

«سئمت عتمة المساء،

لنذهب إلى بيتنا، لنذهب إلى بيتنا ولنضيء الأنوار».

اثينا، فبراير ٣٩

١ - ربيع. الميلاد

مع الربيع من جديد
ارتدت ألوانا فاتحة
وبخطوات خفيفة
مع الربيع راحت تخطر
ثم مع الصيف من جديد
راحت تبتسم.

بين زهور يانعة
صدر عار بدت تحت جلده العروق

فيما وراء الليل الجاف
فيما وراء الشيوخ الذين ابيض شعرهم
وفي هدوء يتجادلون
ما إذا كان الأفضل
أن يسلّموا المفاتيح
أو يعقدوا الحبل
ويشّنقوا أنفسهم
مخلفين وراءهم أجسادا خاوية
حيث ما عاد بإمكان الأرواح أن تحتل البقاء
ولا بإمكان العقول أن تتوقد بعطاء
والسيقان تخور.

مع البراعم الجديدة،
أخفق الشيوخ،
وأسلموا كل شيء
للأحفاد وأحفاد الأحفاد:
الحقول الرحبية،

الجبـال الخضراء،
الحـب والحياة،
الحـنان والمأوى،
الأنهار والبحر: كل شيء.
ورحلوا مثل تماثيل
خلفت وراءها صمتاً،
لا يقطعه سيف،
ولا يطويه ركض الجياد،
ولا يبدده صياح الفتیان.
ثم جاءت العزلة الكبيرة،
ومع هذا الربيع،
رسخت وانتشرت،
وجاء الحرمان
مثل صقيع الفجر،
يتمكن من الأغصان العالية،
ثم ينزلق نازلاً على جذوع الشجر.
ويلتف حول أرواحنا.

لكنها ابتسمت،
في ثيابها الزاهية،
مثل شجرة لوز مزهرة،
وسط السنة من لهب أصفر.
ومضت في سيرها خفيفة الخطى،
تفتح نوافذ
في سماء تسر خاطر،
وكان ذلك بدوننا،
نحن أصحاب الحظ العاثر.
رأيت صدرها عاريا،
ورأيت الخصر والركبتين،
مثلما أرى شهيدا
في طريقه إلى السماوات
طاهرا، لم يمسه دنس
متجاوزا همهمات العامة غير المفهومة،
في السيرك غير المحدود،
متجاوزا الجهامة السوداء،

والعنق المتصيب عرقا،
عنق الجلاد الساخط
الذى يهوى عبثا بالضريات.

العزلة الآن بحيرة،
والعوز الآن بحيرة،
بحيرة لا مساس بها، وغير قابلة لاقتفاء أثرها.

١٦ مارس ٣٩

٥٢- الياسمين

سواء أظلم الليل،
أو كان النهار ضياء
يظل الياسمين
ناصع البياض.

٣ - حكاية

يسير ذلك الرجل والدموع فى عينيه

لا أحد يعرف السبب

يظن الناس فى بعض الأحيان أنه يبكى غراميات ضائعة

مثل تلك التى يعذبنا فقدتها إلى حد الألم

وترددها بالأصياف على الشيطان أغنيات الحاكي.

الآخرون، يمضون إلى أشغالهم

أوراق لا حصر لها، أولاد يكبرون، ونساء تدركهن

الشيخوخة بكل سماجة.

أما ذلك الرجل فعيناه مثل زهر الخشخاش،

مثل زهر الخشخاش المقطوف في الربيع.

وفي ركني عينيهِ نبعان صغيران.

يجوب الطرقات، ولا يلجأ أبداً للرقاد

يوسع خطاه، فتتكسر الأرض تحت قدميه مربعات صغيرة.

توثيقاً لألم بلا حدود

وإن فقد في النهاية كل دلالة.

سمعه البعض في تجواله

يتحدث إلى نفسه

عن مرايا تكسرت منذ سنين

عن وجوه تكسرت بدورها في المرايا

التي تأيت على كل ترميم.

وآخرون سمعوه يتحدث عن النوم

وعن رؤى مهولة عند عتبات النوم

عن وجوه من فرط رقتها لا تحتمل.

أصبح أليفا لدينا . وهو حسن المظهر دمث الخلق .
كل خطبه أنه يمشى والدموع على الدوام في عينيه
مثل صفصاف على ضفاف نهر تراه من القطار
عند صحوك من رقاد غير مريح فجر يوم مجال بالغيوم .

ألفناه ، مثل كل ما ألفتموه
ماعاد يعنى بالنسبة لنا شيئا .
وإن كنت أحدثكم عنه ، فلأتنى غير قادر أن أجد
شيئا لم تألفوه ،
مرحى لكم !

٤ - صباح

افتح عينيك فض
القماش الأسود وابسطه
افتح عينيك واسعتين ثبت عينيك
ركزهما ركزهما الآن تعرف
أن القماش الأسود ينفض
ليس في النوم ولا تحت الماء
ولا عند انطباق الأجفان الجعدة فحسب
وتغوص بميل مثلما تغوص القواقع في اليم،

وهكذا بعد أن تكون أخذت قسطك من الراحة وفتحت عينيك
ستعرف أن جلد الطبله الأسود يغطي أفقك كاملاً.
فى الربيع والخريف حيث الجو معتدل
هنا المياه الجارية، و الحديقة
وعصافير الجلة
هنا النحل يظن من غصن إلى غصن
ويجلجل فى أذن الطفل
وها هى الشمس!
شمس ضخمة أكبر بكثير من كل ضوء

الملائكة بيضاء

إلى هنري ميلر

وفجأة كف لوى عن حك ركبتيه الواحدة
بالأخرى

وقال بصوت بطيء: «الملائكة بيضاء».

بلزك

انزلق فوق مدارى

الجدى والسرطان مثل بحارٍ تعلق بحبال الصواري
وكان من الطبيعي لذلك ألا يقف أمامنا بقامة إنسان
بل ينظر إلينا من ارتفاع يراعة أو شجرة سنديان

وفى ظل النجوم أو غبار الأرض يأخذ أنفاسا عميقة
من حوله نساء عاريات اتشحت بأوراق برونزية من شجرة
تين برية

أعمدة نور منطفئة تجفف ضمادات المدينة الكبيرة الملطخة
بالألوان

أجساد خرقاء تولد سناطير وأمازونات
ما إن تمس المجرة منها شعر الهامات.
مرت أيام منذ اللحظة الأولى، التي حيانا فيها خالعا رأسه
واضعا إياه على المنضدة الحديدية

بينما تغير شكل بولندا مثل حبر تشريته ورقة نشاف
ورحنا نسيح بين شطآن جزر جرداء مثل عظام سمك غير
مألوف مسجى على الرمال
والسماء بأسرها عالية بيضاء، مثل جناح رحيب لحمامة
يرفرف بإيقاعات صماء.

وسرعان ما اسودت الدلافين تحت ألوان الماء مثل تحركات
الروح

مثل تحركات الخيال، والأصابع التي تتلمس الأعناق وتأخذ
بخناق أصحابها، فيقتلون أنفسهم فى نومهم

ذلك النوم الذى هو القشرة الضخمة غير الممسوسة بشرخ،
الملتفة حولنا، المألوفة لنا، إذ هى قبرنا المشترك
الذى قد من قطع باللور متناهية فى الصغر سحقها الزواحف
فى تحركاتها
ومع ذلك، اتسم كل شىء بالبياض لأن النومة الكبرى
بيضاء والموت الكبير
هادئ ورصين ومعزول فى - لا نهائى -
بل ونقنقة الدجاجة الحبشية فى الفجر وصياح الديك الذى
وقع فى أعماق بئر
والنار على جانب الجبل التى ترفع أيادى من الدخان ومن
أوراق الخريف
والسقيفة منشطرة الألواح التى هى أكثر رقة من أول لقاء
بالحبيب -
كلها كانت أشياء معزولة بل أكثر عزلة من القصيد
الذى خلفته وراءك، ما إن فرغت من آخر كلماته وقد
أدركك التعب
وما عدت تعرف شيئاً من خلال بياض أغطية مثل مآقى
العميان

بسطها محموماً من فوقك كي تحجب عنك الموكب اليومي
لقوم

لا تدمى أجسامهم حتى لو ضربوا أنفسهم بالمسامير والفؤوس
كانت أشياء عزلت وواحدة في غير موضعها، ونزل بياض
الجير على الحيطان

إلى عتبات الماضي، فوجد صمتاً وباباً لم يفتح
وكان الأمر كما لو أن أصدقاءك، في ياس كبير، دقوا الباب
بصوت عال وكنت معهم

ولكنك لم تسمع، وتصاعدت من حولك الدلافين خرساء بين
الطحالب.

عدت تثبت أنظارك، وقال ذلك الرجل الذي عقرته المناطق
الحارة، وخلفت على جلده اثار أسنانها،
مرتدياً نظارته السوداء كما لو كان على أهبة العمل بمشعل
لحام.

قال بتواضع، متوقفاً عند كل كلمة:

«الملائكة بيضاء، تتقد بياضاً، والعين التي تواجهها سوف
يصيبها ذبول. وليس ثمة طريق آخر، غير أن تضحي حجراً
لواردت صحبتها.

وإذا ما بحثت عن المعجزة فعليك أن تنثر دمك في أركان
الريح الثمانية

ليست المعجزة في أى مكان، وإنما هي تجرى - تجرى في
عروق الإنسان، -

هيدرا - اثينا نوفمبر ٣٩

٦ - قرار النسيان

«من ذا الذي سيحسب لنا تكلفة

قرارنا بالنسيان»

ج - س

قف، أيها المار عند البحيرة الساكنة

إن البحر الجعد والسفن المعذبة

والدروب التي التفت بالجبال، وعنهما النجوم تولدت

كل هذا ينتهي هنا على هذه اليابسة.

تستطيع الآن أن تشاهد البجع هادئاً

انظر إليه تأمله: كله مثل نوم الليل ناصع البياض ساكن

ودون أن يلمس موضعاً ينساب على رقائق شفرة

تكاد من على سطح الماء ترفعه.

إنها مثلك، أيها الغريب، تلك الأجنحة الساكنة، وأنت مدرك
لحالها

بينما تمضي عيون الأسود الحجرية تحقق فيك

القلم من حائط السجن نفذ

وما بقيت مرتسمة في السماوات ورقة شجر.

ومع ذلك، لم يكن الطير الذي ذبح صبايا القرية غير هذا
البجع

أحمر الحليب على حجر الطريق بالدماء

وراحت الجياد تلقى بلا جلبة

في أحواض المياه أشكالاً مبهمة مثل رصاص منصهر.

وفجأة شدد الليل قبضته على الأعناق المقوسة

التي لم تصدح بالغناء، لأن الفعل لم يكن مجرد فعل موت

بل كان طحنا بلا تبصر لعظام بشر

أما الأجنحة فقد لطفت خفقاتها من فرط الهلع.

وما حدث بعد ذلك اتسم بذات الهدوء الذى تراه أمام
ناظريك.

ذات الهدوء لأنه لم يبق لأية روح قائمة حتى نضعها
موضع الاعتبار

فيما عدا القدرة على نقش بضع علامات على الحجر
الذى استقر الآن بأعماق الذاكرة.

ونحن أيضا انحدرنا معها، بعيدا، بعيدا - قف أيها المار،
عند البحيرة الساكنة حيث البجع ناصع البياض شديد النقاء
يسافر فى عقلك مثل خرق بيضاء بالية

ويوقظك على أشياء عشتها ولكن ماعدت تذكرها.

ولا تذكر أبجديتنا المنقوشة على الحجر

بل وتبقى إزاءها مندهشا أنت وغنمك
الذى يدفئ جسدك بصوفه
الآن، وأنت تشعر في عروقك دوى الفداء.

٥٧- ملك أسينه

بحثنا طوال الصباح حول القلعة
بأدئين من الجانب الظليل، حيث البحر
أخضر وبلا بريق - كأنه صدر طاووس مذبوح -
تلقانا مثل زمن لا منفذ فيه .
عروق من الصخر انحدرت من حالق،
عروق متلوية، عارية، متشعبة، تتوهج
بالحياة عند ملمس المياه، تتابعها العين
جاهدة أن تفلت من وعثاء كتلة الصخر،
خائرة القوى دوما .

في الجانب المشرق شط مديد رحب
وعلى الحوائط الضخمة ييسط الضوء لآلئ.
ما من شيء حي، حتى الحمام البرية رحلت
وملك أسينه، الذي نحاول العثور عليه

منذ سنتين

غير معروف، منسى من الجميع، حتى هوميروس
لم يذكره في الألياذة إلا بكلمة، غير مؤكدة بدورها،
ملقى به هنا مثل قناع الدفن الذهبى.
اصطدمت به لمستك، أتذكر الصوت؟ أجوف فى النور
مثلا تصطدم بجرة عجفاء، وأنت تحفر فى التربة،
مثلا يحدثه فى البحر صوت المجاديف.

ملك أسينه تحت القناع خواء
هو معنا فى كل مكان، معنا فى كل مكان، نناديه:

«الأسينى .. الأسينى»

وأبناؤه تماثيل

ورغباته خفقات طيور، والريح
تسرح في فجوات أفكاره، وسفنه
راسية في ميناء مندثر،
تحت القناع خواء.
وراء العينين الواسعتين والشفيتين المقوستين والخصلات
المعقوصة المحفورة على قناع وجودنا الذهبي
بقعة سوداء جوابة مثل سمكة
تراها في سكون الفجر تشق العباب
خواء معنا في كل مكان.
العصفور طار الشتاء الماضي مكسور الجناح
عن مقام الحياة مبتعدا،
والمرأة الشابة رحلت كي تلاعب
انياب الصيف،
والروح نقت العالم السفلي زاعقة
والبلد الذي يشبه ورقة سرو عريضة اكتسحتها
من الشمس سيول

عامر ذلك البلد بالآثار القديمة وبالأسي المعاصر.

يتمهل الشاعر، يتطلع إلى الأحجار، ويسأل نفسه

هل يوجد حقا

بين هذه الأطلال، بين النقاط

والتعرجات والحفر، هل يوجد حقا؟

هنا حيث يلتقى المرء فى الدروب بالرياح والخرائب والمطر،

هل يوجد أولئك الذين زالوا من حياتنا على نحو غريب

أولئك الذين لم يبق منهم فى لانهائية البحر سوى ظلال

وأطياف موج؟

هل يوجد

من الوجوه إيماءة أو من الحنان بادرة؟

أم لعله لم يبق سوى العبء

والحنين إلى وجود له قيمة، بدلا من حياة

نحياها الآن بلا وزن،

منكسين مثل أغصان صفصافة مروعة

مكومة فى ظل يأس مقيم

بينما يجلب التيار الأصفر في انحداره الوثيد جذورا
من الطين مقتلعة

فتبدت صورة نحتها الحكم القاضى بالمرارة المؤبدة
شكلاً رخامياً،

ظل في أعماق الشاعر مبهما؟

يا لابس الدروع، الشمس تصعد وقد حميت للقتال
ومن أغوار الكهف، اندفع وطواط مذعور
ارتطم بالضياء مثلما يرتطم رمح بالدروع:
«الأ سيني.. الأ سيني، هل بالإمكان أن يكون هذا ملك أسينه
الذى نبحث عنه بكل حرص فى هذا الأكروبول
وقد لسمت أصابعنا فى بعض الأحيان على الأحجار لسمته.

أسينه، صيف ٣٨ - اثينا، يناير ٤٠

مذكرات على سطح سفين (٢)

«إلى مارو»

في بعض الأحيان، يبدو لي أن ما أكتبه
هنا، ليس سوى رسوم وشم من تلك التي
يسم بها المسجونون والبحارة جلودهم.

ج س

٨ . أيام يونيه ٤

طلع القمر الجديد على الإسكندرية
ممسكا بين أحضان القمر القديم
بينما كنا نمضى نحو بوابة الشمس
فى قلب الظلمة - وكنا ثلاثة أصدقاء .

منذا الذى يريد أن يستحم فى مياه بروتىوس الآن ؟
كنا فى صبابنا نتوق للتحولات
تحدونا رغبات تتلوى مثل أسماك كبار

فى بحر تنضب مياها على غير انتظار.
كنا نؤمن بسلطان الجسد
والآن، يطلع القمر الجديد محتضنا القديم،
والجزيرة الجميلة تنزف منها الدماء
جريحة، الجزيرة الودية ، الجزيرة المنيعه، ذات الطهر
والنقاء
والأجساد مثل أغصان تكسرت أو جذور اقتلعت من
أرضها.
عطشنا

حارس على ظهر جواد استحال تمثالا من رخام
عند بوابة الشمس المظلمة
ليس بمقدوره أن يسأل عن شىء: يقف حارسا
منفيا فى مكان ما، هنا من حولنا
على مقربة من قبر الإسكندر الأكبر.

كريت، الإسكندرية، جنوب أفريقيا.

مايو - سبتمبر ١٩٤١

ـ حاشية

وأما عيونهم فييضاء بلا رموش
وأذرعهم نحيلة مثل أعواد البوص ـ

إلهى، ليس مع هؤلاء نكون ـ عرفت
أصوات أطفال يندفعون عند الفجر
نازلين منحدرات خضراء مهالين
سعداء مثل النحل، ومثل الفراش
كثير الألوان ـ

إلهى، ليس مع هؤلاء نكون، أصواتهم
لا تبرح حتى الأفواه -
وتبقى ملتصقة بأسنانهم الصفراء -
البحر لك والرياح
وأنجم مدلاة من قبة السماء -
إلهى، إنهم لا يعرفون ما نحن
قادرين أن نكون
إذ نداوى جراحنا بأعشاب
من منحدراتنا الخضراء
وليس من منحدرات أخرى نائية،
وفى الفجر من كل صباح نلتقط ما بالإمكان أن نلتقطه
من أنفاس مبتهلين بصلوات قصار
تصل الشيطان عبر
مهاوى الذاكرة -
إلهى، ليس مع هؤلاء نكون - لتكن مشيئتك
وإنما على نحو آخر فلتشأ أن نكون -

١١ سبتمبر ٤١

٦٠- شبح " ار

الحكايات التي رويت ذات يوم هي في
قلوبنا مثل مركب فضي ذي شراعين
مهدى في يليه مخراب كنيسة بالجزيرة
خاوية.

ج . س

شبح الأقدار يرفرف على طفل ساعة مولده،
ودوامات الرياح والنجوم تدور في ليلة من فبراير حالكة
الظلمة،

والنسوة العجائز ذوات القدرة على شفاء الجروح يصعدن
الدرجات التي تكن
وفي الفناء أغصان الكرمة الجذباء عارية.

فوق أرجوحة الطفل يحوم شبح الأقدار بعصابة سوداء حول
الرأس، يطل
بابتسامة مبهمة، وأجفان منكسة، وصدر ناصع البياض مثل
اللبن.

ثم يفتح الباب، ويدخل الريان، مبتلا بماء البحر
ملقياً قبعته على صندوق أسود.

هذه الوجوه وهذه الملابس لاحقتك
وأنت تفض شباكك على شاطئ البحر
ومن جديد وأنت ترقب الشق الذي يخلفه
السفين من ورائه وهو يمضى مبحراً فى الموج.
كانوا معك، فى كل بحر وكل خليج،
وكانوا هم معاناتك فى الحياة، وكانوا أيضاً فرحتك.

لا أعرف الآن كيف أمضى فى القراءة:
لماذا كبلوك بالأغلال، ولماذا طعنوك بالحربة،
لماذا فرقوا فى الغابة بينك ذات ليلة وبين المرأة
التي كانت تراقب ما يجرى بعيون مذعورة، واستحال عليها
أن تنطق بكلمة.
لماذا حرموك من النور، والبحر الرحيب، والخبز.

كيف حدث أن وقعنا، يا صديقى، فى حماة الخوف؟
لم يكن ذلك قدرك، ولم يكن هذا بالنسبة لى هو المكتوب،
لم نمارس، قط بيعاً أو شراءً، هذه التجارة
من ذا الذى يأمر من وراء ظهورنا ويغتال؟
لا تسأل، ثلاثة جياذ حمراء تجول البيادر
معصوبة العينين، تطأ حوافرها عظاماً بشرية،
لا تسأل، انتظر فحسب: الدماء، الدماء
سوف تهب ذات صباح، مثل مارى جرجس الذى من على
صهوة جواده

صرع التنين بحريته، وألقى بجثته إلى الأرض.

أول أكتوبر ٤١

٦١- شارع كيرت، أو "، برويتوريا، ترنسفال

لا أستطيع أن أتغير

أشجار الجاكاراندا تدق الصناجات وترقص

ملقية حول الأقدام جليدا بنفسجي اللون.

ولا شيء غير ذلك بذى أهمية،

فينيزبورج

صرح البيروقراطية العتيد ذاك ببرجيه التوأم وساعتيه

المذهبتين

هامد مترهل مثل فرس بحر في الفضاء الأزرق.

والسيارات تجرى بسرعة
خلفياتها مثل الدلافين لامعة.
وعند نهاية الطريق، كان بانتظارنا،
يتبختر كسولاً مزهواً في قفصه
ديك البرارى
المسمى إيفلوكاموس نيختيميروس، هكذا
فى الصين يطلقون عليه.
ولك أن تتصور كيف رحلنا، ثقال القلوب
مودعين
أونوكروتالوس، اللقلق
ذا النظرة التى لرئيس وزراء مهان
قابلناه بالقاهرة فى حدائق الحيوان.

أكتوبر ٤١

٦٢-ستراتيس لاسينوس بين زهور الحب

ليس ثمة عشب، ولا نرجس . كيف اذن بإمكانك أن تحدث
الموتى ؟

الموتى يعرفون لغة الزهور فحسب:

ولهذا يلزمون الصمت

يرحلون ويلزمون الصمت، يلزمون صابرين الصمت
راجلين

إلى ما وراء جمهرة الأحلام، إلى ما وراء جمهرة الأحلام.

لو شرعت فى الغناء، سوف أصرخ

ولو صرخت -

زهور الحب تأمر بالصمت
ملوحة بيد بنفسجية مثل صبية أعرابية
أو أوزة تطأ بخطوها الهواء.
الأمر مؤلم . ، لا يكفي في مخاطبة الأحياء
لأنهم قبل كل شيء لا يتكلمون، ثم
لأنى بسؤال الموتى
أمضى قدما إلى ما هو أبعد.
وما من سبيل آخر: في اللحظة التي يدركنى فيها النوم
يقطع الرفاق الخيوط الفضية
وتفرغ قنينة الرياح
أملأها وتفرغ، أملأها وتفرغ،
فأستيقظ
مثل سمكة ذهبية تسبح
فى ومضات البرق المتساقط
بينما الريح والفيضان والأجساد الآدمية
وزهور الحب مثل سهام قدريّة
مسمرة إلى أرض لا ترتوى
مرتجة بهزات رأس متتابعة

كما لو كانت تحملها عربة عتيقة بالية
تنحدر مخضخضة عبر دروب مليئة بالحقر
وأحجار قديمة متهالكة.
زهور الحب، عشب الزنوج:
كيف استطيع أن أستوعب هذا المعتقد؟

أول ما خلق الله الحب
ثم يجيء النسل
واللهفة إلى النسل
يوقظها في الجسم المنى، مثلما يوقظ الملح على الشفاه
الطعم.

أول ما خلق الله الرحلة الطويلة،
ذلك البيت هناك ينتظر
بسحائب مدخنته الزرقاء
وكلبه الذى تقدمت به السن
ينتظر عودة الغائب حتى يمكنه الموت.
ولكن الموتى يجب أن يسدوا إلى العون
زهور الحب هي التى تمنعهم عن الكلام

فيلزمون الصمت مثل أعماق البحر أو مثل الماء في أناء.

وفي قصور سيرسيه يبقى الأصدقاء:

أواه، يا عزيزي البينور! أيها الأحمق المسكين البينور

أم أنك لا تراهم

- «بالله، أسدوا لنا العون!» -

على روابي الجزيرة المتفحمة؟

ترنسفال - ١٤ يناير ٤٢

٦٣- جنادب

امتلاً البيت بالجنادب
يدق نبضها مثل ساعات لاهثة الانفاس
يعوزها الانضباط . والساعات

التي نحياها تنبض على النحو ذاته
بينما يلزم العادلون الصمت
كما لو لم يكن لديهم ما يقال .

ذات مرة، في بيليون سمعتها
تحفر على وجه السرعة كهفا

فى اللئل . أماً الآن
فقد طوئنا صفحة الأقدار
وتعارفنا جمئعا
سواء أولئك الذئن فحئون فى الشمال

أو السوء عند خط الاستواء
الكل فصرخون إذا استبد بهم الألم .
الكل آنذاك جسد بلا عقل .

اتألم؁ وتتألمون
ولكننا لا نصرخ ولا نصئف
ولا حتى نهمس بالألم؁ لأن
دوران الماكينة سرفع
إبان الرعب والاحتقار
إبان الموت والحياة .

وقد امتلأ البئت بالجنادب .

بروتورفا ١٦ فئافر ٤٢

٦٤- رجل عجوز على شاطئ النهر

«إلى نانيس بانايوتوبولوس

ومع ذلك، يجب أن نضع موضع الاعتبار كيف يكون التقدم.

لن يكون تقدمنا بمجرد أحاسيس، أو إمعان للفكر، أو الحركة، فليس في ذلك الكفاية.

بل ولن يكون تقدمنا بتعريض الجسد للخطر، إزاء فوهة قديمة ينسكب منها على الحوائط زيت مغلى أو رصاص منصهر.

مع ذلك يجب أن نضع موضع الاعتبار إلى أين يسير بنا التقدم.

ولن يكون ذلك بقدر ما نتألم، أو عذابات أطفالنا الجوعى
ولا بعمق الهوة التى تفصل بيننا وبين نداءات رفاقنا من
الشاطئء المقابل،

ولا همهمات الضوء المائل للزرقة فى مستشفى مقام على
عجل،

أو ببصيص أمل يلوح من عقاقير وادوية قرب وسادة شاب
أجريت له جراحة فى الظهر.

ولكن يجدر أن يكون الأمر على نحو آخر.

وربما قلت أن يكون ذلك مثل النهر المديد الذى ينبثق من
البحيرات الكبيرة المغلقة بأعماق أفريقية،

الذى كان ذات يوم إلها، ثم صار طريقا، ومحسنا كريما،
ومصدر أحكام وأرضا بهيئة مثلث عند مصبه،

الذى لم يظل، كما علمنا القدامى من أن أهل الحكمة، على
حال واحدة، وإن بقى على الدوام هو الجسد ذاته، والمجرى
ذاته، والرمز ذاته، وفى ذات الاتجاه يمضى.

لا أريد سوى أن أتحدث حديث البسطاء، وأن أُمْنَحَ حقا هذه
النعمة،

لأننا أثقلنا أغنياتنا بالحواسي الموسيقية الزائدة حتى أ . .
من فرط ما حملناها به، ساقطة

وبالغنا في تزيين فنوننا، حتى أضحت قسماتها متآكلة من
فرط ما كبلناها به من فضة باذخة.

وقد آن الأوان أن ندلى بكلماتنا القليلة، لأن الروح غدا تبسط
الشراع وترحل.

وإذا كان الألم من شيم البشر، فلسنا بشرا لمجرد أننا نتحمل
الأم.

ولهذا، أفكر كثيرا هذه الأيام في النهر الكبير، ذلك الرمز
المنساب بين عشب وخضرة، وحيوان يكأ ويشرب، وأناس
تزرع وتحصد، وقبور ضخام، ومضاجع موتى.

ذلك التيار الذي يمضي في طريقه، غير مختلف كثيرا عن
دفق الدماء في شرايين البشر،

ولا عن النظرات في عيونهم عندما تشخص إلى الأمام
محملة،

في صغائر الأمور وجلائل الأشياء، على السواء، بلا ارتجافة
خوف في القلوب أو وجل،

مثل عيون مسافر ألف أن يضبط على هدى من النجوم فى
الليل طريقه.

وليس مثلنا نحن الذين رحنا بالأمس نحملق إلى الحديقة
المسورة لبيت وسان على الطراز العربى.

وقد مضت تلك الحديقة الرطبية، من وراء المشرييات، تغير
أشكالها، تارة تتجه إلى الاتساع، وتارة تضيق رقعتها.

وعند لمسة الظهيرة، مضينا بدورنا، أثناء تحديقنا فى
الحديقة نغير شكل رغباتنا، وتتبدل خفقات قلوبنا، نحن
العجين الرخو لوجود يلفظنا، ويعيد تشكيلنا،

وقد أطبقت علينا شباك أحكم غزلها بخيوط من حياة كانت
من قبل كاملة، ثم أ - - - ترابا، وغاصت فى الرمال
تاركة وراءها مجرد تمايلات مبهمة لنخلة سامقة.

القاهرة ٢٠ يونية ١٩٤٢

٦- ستراتيس لاسينوس عند البحر الميت

«يرى المرء أحيانا على دور العبادة المقامة
فى المواقع التاريخية الإشارة الواردة بشأنها
فى الكتاب المقدس مكتوبة بالإنجليزية،
ومن تحتها هذه العبارة- هذا هو المكان، يا
سادة».

خطاب س. ت من اورشليم

أورشليم، مدينة بلا حاكمين،

أورشليم، مدينة لاجئين.

فى بعض الأحيان، ترى فى الظهيرة
ثلة من أوراق شجر سوداء مبعثرة
تتدحرج على أسفالت الطريق -
وطيوراً مهاجرة تحت الشمس تمر
لكنك لا ترفع رأسك نحوها.

أورشليم، مدينة بلا حاكمين!

ألسن بابل المجهولة
منبئة الصلة بقواعد اللغة
بكتاب الصلوات وأعمال الرسل
كل هذا الذى علموك فى الخريف
عندما ربطوا قوارب الصيد إلى الأرصفة،
ألسن مجهولة التصقت
بشفاء خربة مثل أعقاب سجائر منطفئة.

أورشليم، مدينة لاجئين!
لكن عيونهم جميعاً تنطق بالكلمة ذاتها،

وهي ليست الكلمة التي صارت إنسانا، يارب غفرانك،
ليست الأسفار لرؤية أماكن جديدة، بل هي
للفرار في قطار أسود، حيث الأطفال
يقتاتون خطايا الآباء والقذارة
أما من هم في منتصف العمر فيشعرون بالهوة
تتسع بين الجسد
متعثرا في المؤخرة مثل جمل جريح -
والروح بشجاعتها التي لا تستنفد، هكذا يقولون.
وهناك أيضا السفن التي تقلهم
واقفين مثل أساقفة محنطين
في العنابر، إلى حين ذات مساء
بهدوء في طحالب الأعماق يرسون.

أورشليم مدينة بلا حاكمين!

إلى نهر الأردن
جانب ثلاثة رهبان

مركبا أحمر صغيرا

وربطوه إلى الشاطئ.

كان الثلاثة من جبل آثوس قادمين

ظلوا ثلاثة أشهر مبحرين

وإلى غصن

على ضفاف نهر الأردن

علقوا نذراً من مهاجرين.

عانوا الجوع ثلاثة أشهر

والعطش أيضا ثلاثة أشهر،

وبقوا ثلاثة أشهر ساهرين،

قادمين من جبل آثوس

من ثيسالونيك جاء

الرهبان الثلاثة المتضعون.

كلنا مثل البحر الأسود،

على أعماق عديدة تحت مستوى البحر الأيجي.

تعال معي وسوف أريك المشهد:

فى البحر الأسود
لا يوجد سمك
ولا طحالب
بل ولا محار شائك
لا توجد حياة على الإطلاق.
ليس هناك كائنات
ذات أمعاء
كى تعاني الجوع
الذى يشد الأعصاب
فتعانى الألم.

هذا هو المكان ، يا سادة!

فى البحر الأسود
الإهانة
ليست الشغل الشاغل لأحد
ولا أحد بها يكثرث.

القلب والفكر
تجمدا واستحالا ملحا
مفعماً بالمرارة
وفى النهاية، يضحيان
من عالم المعادن.
هذا هو المكان، يا سادة!

فى البحر الأسود
الأعداء والأصدقاء
الزوجة والأولاد
وسائر الأقرباء، هناك
اذهب لتلقاهم.
إنهم فى عمورة
عند القاع بالأعماق
أسعد السعداء هم
لا يتوقعون
أى رسالة.

يا سادة،

إننا نواصل جولتنا السياحية

على أعماق بعيدة تحت مستوى البحر الإيجي.

يوليه ٤٢

٦٦. خط جميل

النيل، « كازينو الحمام »

أشرعة على النيل

طيور خرساء، وحيدة الجناح

تبحث صامته عن جناحها الآخر.

منقبة في فراغ السماء

عن جسد غلام مرمري

مسطرة على الزرقة بحبر خفي

صرخة بلا أمل.

٦٧- أيام أبريل ٤٣

أبواق، عربات ترام، شتائم، زعيق فرامل

يسرى إلى عقله من ذلك كله خدر، يجعله كمن يحصى
أرقاما

قبل أن يغيب عن وعيه، ويضحى تحت رحمة الجراح.

بحذر يسير في الشوارع، حتى لا تنزلق قدمه

على قشور بطيخ ألقاها عن غير اكتراث

بدوى أو لاجئ سياسى، أو متآمر.

يتابعون تحركاته متسائلين، وكأنهم يقطفون أوراق أبقوانه:
هلى ستطأها قدمه، أم لن يحدث ذلك؟

ويمضى قدما فى طريقه
يهز حزمة ضخمة من مفاتيح عقيمة
وتسترجع السماء الجافة إلى الذاكرة
أعلانات باهتة عن الشركة اليونانية للبواخر الساحلية
ونوافذ موصدة على وجوه حبيبة
وقطرات ماء صافية عند جذور شجرة دلب.

يمضى قدما إلى عمله،
بينما آلاف الكلاب الجائعة تنقض على سرواله تمزقه
وتخلفه فى عرض الطريق عاريا
يمضى قدما، متخطيا، والأصابع مصوبة نحوه
والرياح تلفه - ريح بليدة
تقذفه بنفايات وعفن واقتراءات عديدة.

القاهرة - شارع عماد الدين - ٢٤ يونيو ٤٣

٦٨- الشرق الأوسط- المثلون

تنصب المسارح ونفصتها، حيثما تصادف أن حططنا
الرجال.

تنصب المسارح ونفصتها وفي النهاية تكتب الغلبة للأقدار

وتكتسحنا مثلما تكتسح المخرجين والملقنين والعازفين
ومؤدي الأدوار

ويتبدد الجميع في مهب الرياح الخمس العاصفات.

أجساد، وحشايا، وأخشاب، ومكياج،

أنغام، وأحاسيس، وأنقبة، وجواهر،

أقنعة، ومشارق، وحيثان،

صراخ، وصيحات تعجب، وشموس تشرق

اختلط الحابل بالنابل، وألقى بذلك كله معنا في غياهب
الأهمال

(أين نذهب؟ وأين أنت ذاهب؟)

تعرت عروقنا، وبدت تحت الجلد نافرات

مثل خطوط على أجساد زرد أو حمر وحشيات

عاريات، ومكشوفة للأنظار تعاني الجفاف، ملتهبات

(ترى متى ولدنا؟ ومتى وورينا التراب؟)

متوترات مثل قيثارة لا تكف أوتاره عن الطنين.

انظر أيضا،

هذي قلوبنا قطع من الأسفنج، يمسح بها الطريق وحلبة
السوق

تمتص المرارة، وترشف دماء كل لص وأمير، على حد
سواء.

الشرق الأوسط، أغسطس ٤٣

٦٩- هنا بين العظام

بين العظام
أنغام موسيقية:
تعبّر الرمال
تعبّر البحار
بين العظام
صوت ناى
ودقات طبلة بعيدة
ورنين أجراس خفيضة
تعبّر الحقول العطشى
تعبّر البحر ذا الدلافين

يا أيتها الجبال العالية، أليس بمقدروك أن تسمعينا؟
النجدة! النجدة!
يا أيتها الجبال العالية، سوف نذوي موتى، بين الأموات!

القاهرة، أغسطس ١٩٤٣

٧٠- المحطة الأخيرة

قليلة هي الليالي القمرية التي تروق لى.
فيها تستطيع أن تقرأ
أبجدية النجوم بوضوح أكثر
وتستقى منها معانى وآمال-
بقدر ما يسمح لك تعبك عند نهاية النهار.
والآن، وأنا أجلس هنا فى استرخاء أفكر فى الأمر،
قليلة هي الأقمار التي بقيت عالقة بذاكرتى.
جزر هي عند انطفاء الليل لونها من شحوب العذراء الحزينة

أما في مدائن شمالية فضياء القمر تلقى بعض الأحيان
على رعشة الدروب والأنهار وأطراف البشر
خدرا ثقيلًا.

ومع ذلك، ففي مساء أمس هنا، في مرفئنا الأخير هذا
حيث ننتظر ساعة العودة إلى الديار مثلما ننتظر مشرق
النهار،

مثلما في النهاية تأتي ساعة سداد دين قديم
ويسمع رنين قطع النقود تتساقط على المنضدة،
نقود رقدت سنوات وسنوات في خزانة رجل بخيل.

في هذه القرية القديمة، وراء بحر ساليرنو
حيث مرفأ عودتنا بزغ القمر
من وراء السحب على شفا عاصفة خريفية، فلمعت البيوت
على المنحدرات

لمعان الخزف الصقيل:
يا للحظات صمت القمر الحبيبة.

هذا بدوره سياق للتفكير، وسيلة
لتشرع في الحديث عن أمور . عليك

الاعتراف بها، في أوقات لا تستطيع ألا تبوح فيها، إلى
صديق

هرب سرا وجاء يجلب إليك

أنباء من بيتك ورفاقك،

وتتعجل ان تفتح له قلبك

قبل أن يعدل عن قراره، فتبتلعك هذه الغربة.

قادمون نحن من بلاد العرب ومصر وفلسطين وسوريا.

تقد إلى بالننا مرارا

الدولة الصغيرة

كوماجيني، التي مضت ترفرف مثل مصباح صغير

بينما مدن كبيرة عاشت آلاف السنين

ثم أضحت أرضا ترعى فيها الأغنام

أو غيطانا للقمح وقصب السكر.

نحن قادمون من رمال الصحراء، ومن بحار بيروتوس

نفوس نحن تعطنت بخطايا عامة،

كل منا مكبل بمنصب مثل طائر في قفص.

الخريف المطير في هذا الركن الضيق

يلوث جراح كل منا

أو يلوثها هذا الذى قد تسميه على خلاف ذلك، انتقام القدر

أو مجرد عادات سيئة كالغش والخداع.

بل وقد تسميه أنانية بأن تجنى من إراقة دم الآخرين
مكاسب.

يتهرأ الإنسان بسهولة فى أوقات الحروب

الإنسان لين العريكة، مثل حزمة من عشب،

شفاه وأصابع جوعانة إلى صدر أبيض

وعيون نصف مغمضة فى ضياء النهار

وأقدام على أهبة أن تجرى مهما انتابها من تعب

تلبية لنداء أدنى منفعة

الإنسان مثل العشب هش وعطشان

لا يعرف ريا، وأعصابه جذور تتطاير

عندما يأتى الحصاد

متمنياً لو أن المناجل هوت فى حقل غير حقله.

عندما يأتى الحصاد

يلجأ البعض إلى التعاويذ مستنجداً بالشيطان

والبعض يتحصن بثرواته، وآخرون يلقون الخطب.
ولكن ما الجدوى من التعاويذ، والثروات، والخطب
عندما تكون الحياة قدابتعدت عنك وأعرضت؟
وهل كان الإنسان شيئاً غير ذلك قط؟
أو ليست هذه منحة الحياة؟
إن للغراس وقت وللحصاد وقت.

سوف تكرر لى أيها الصديق القول نفسه وتعيد.
ولكن حاول أن تغير من تفكير لاجيء، أو سجين،
أو من أضحى بدوره سلعة تباع وتشتري،
لن يكون بإمكانك ذلك.
ربما فضل أن يبقى ملكاً على قبيلته من أكلة لحوم البشر
مبددا قوى لا تباع ولا تشتري،
وأن يتجول فى حقول من السواسن الإفريقية،
ويسمع دقات الطبول تحت أشجار البامبو
بينما يرقص ندماءؤه بأقنعة مهولة
ولكن البلد الذى يقطعون أوصاله،

ويحرقونه مثلما شجرة الصنوبر، تراه
من النوافذ المهشمة الزجاج للقطار الذى
يمضى ركابه بلا جرعة ماء فى ظلمات الليالى
أو من السفينة المحترقة التى هى وفقا للإحصاءات
على أهبة الغرق.

تغلغلت فى العقول جذور كل ذلك، وما عاد بالإمكان
تغييرها

بل وغرست صور مثل ما تلفظه الاشجار فى الغابات
العذراء من أغصانها

فتتخذ لنفسها جذوراً فى الأرض تنبت اشجاراً من جديد،
وتمتد الغابات بخطى واسعة ميلاً أثر ميل.

ان عقولنا بالمثل غابة عذراء من الأصدقاء القتلى
واذا كنت بالحكايات والأمثولات أتحدث إليك فلأن حديثي
على هذا النحو يضحى أكثر رفقا بك. كما أن الرعب لا
يتحدث عنه لأنه حى يسعى،

لأنه صامت، ويمضى فى النمو قدما

إن جراح الذاكرة

تقطر ألما فى النوم، وبالنهار.

فالأُتحدث اذن عن الأبطال، فلأُتحدث عن الأبطال،

وربما كان ميخائيس الذى

غادر المستشفى مفتوح الجراح،

يتحدث عن أبطال - تلك الليلة الليلية

التي جرجر فيها ساقه صارخا بألمنا جميعاً، زاعقا يقول

«فى الظلمة نمضى قدما، فى الظلمة نسير إلى الأمام...»

ان الأبطال يمضون قدما إلى غياهب الظلمات.

قليلة هى الليالى المقمرة التى تروق لى.

كافادى تيرينى • أكتوبر ٤٤

٧١. الطائر المغرد

موضوع عابر عن روح شريفة، وحظ
عائر، لماذا تجعلني أتحدث عن أشياء قد
يكون من الأفضل ألا تعرفها.
سيلينوس إلى ميداس

(١)

«البيت بجوار البحر»

البيوت التي كانت لي أخذوها مني . شاءت الأقدار
أن تكون السنين عائرة: حروب، ونفى ودمار،

تارة، يلقي الصياد الطيور المهاجرة

وتارة أخرى لا يجد لها أثر.

كانت مواسم الصيد فى أيامى على أى حال طيبة، كثير

من تلك الطيور أصابته الطلقات.

والباقى مضى يهيم بلا أمل أويكمن مذعوراً فى المآوى.

لا تحدثنى عن العندليب ولا عن القبرة

ولا عن ذلك الصغير هزاز الذنب

الذى يخط بذيله فى النور سطوراً.

لا أعرف الكثير عن البيوت

أعرف أن لها احوالها الخاصة، ولا أعرف شيئاً غير ذلك.

تبدأ طلية، مثل الأطفال

يلعبون فى الحدائق بخيوط الشمس

يغزلون للنهار شبابيك ملونة

وأبواباً فى الضياء لامعة.

وما أن يفرغ المعمارى من مهمته، تتغير.

تقطب الجباه، تبتسم، أو قد تعتمد أيضاً إلى معاندة

أولئك الذين بقوا، وأولئك الذين مضوا

وآخرين كانوا سيعودون لو امكنهم ذلك .

أو آخرين اختفوا، وقد أضحي

الوجود نزلاً فسيحاً مترامى الأطراف .

لا أعرف الكثير عن البيوت،

أذكر فحسب أفراحها وأحزانها

بعض الأحيان عندما أتوقف لأفكر،

أتابع من جديد

بجوار البحر أحياناً، في غرف جرداء

ليس بها سوى سرير من حديد، ولا شيء آخر يخصني

أتابع المساء ينسج خيوطه مثل عنكبوت، فيخيل لي

أن ثمة من يتأهب للمجيء، وأنهم يعدونه لذلك، يلبسونه

أردية بيضاء وسوداء، ويكسونه جواهر متنوعة الألوان

في معيته سيدات وقورات يحطن به

رماديات الشعور، يتشحن بأوشحة من الدانتيل الداكنة

ويتحدثن بكلمات ملساء

أو أن ثمة امرأة - نحيلة الخصر معقوصة الرموش،

عائدة من موانئ الجنوب،

أزمير، رودس، دمشق ، سيراكيوزا، الأسكندرية
عائدة من مدن مغلقة مثل دفوف شباك في حر الهجير
تفوح بأريج فواكه وأعشاب ذهبية -
تصعد الدرجات دون أن يلحظها
أولئك الذين تحت السلّمات تردوا في النوم.

تعرف كم يركب العناد البيوت
عندما تعمد إلى هتك سترها.

(ب)

البيّنور المنساق للشهوات

رأيتُه أمس واقفاً بالباب
تحت نافذتي . كانت الساعة
حوالي السابعة، وبصحبتِه امرأة .
كانت له سيماء البيّنور، قبيل سقوطه
وتحطّمه، ومع ذلك لم يكن مخموراً .
كان يتحدث بسرعة فائقة، بينما
راحت هي تنظر شاردة البال نحو الحاكيات
وبين الحين والحين تقاطعه كي تقول له كلمة،

ثم تشخص بصبر نافذ مثل قط إلى الناحية التي يقولون فيها
الأسماك.

همس يقول وبين شفثيه عقب لفافة تبغ:

- «اسمعي هذا أيضا. في ضوء القمر،

تنحني التماثيل مثل أعواد البوص أحيانا

وسط الثمار الناضجات - تنحني التماثيل

وتضحى السنة اللهب أزهارا من الدقل

أعنى اللهب الذي يحرق الإنسان».

- «إنها الأنوار فحسب.. أطياف الليل،

- بل ربما هو الليل الذي انفلق، مثل رمانة زرقاء،

أو نهدين سمرابين، وغمر ك بالنجوم،

وهو يشق الزمن -

ومع ذلك، فالتماثيل

تنحني أحيانا، تشطر الرغبة مثل حبة خوخ،

إلى شطرين، ويضحي اللهب
على الأطراف قبلة ونشيجا،
ثم ورقة شجرة رطبية تذروها الريح.
تنحني التماثيل، وتصبح في خفة الإنسان.
وأنت لا تنسين ذلك.

- التماثيل في المتحف،
- كلا، إنها تلا حقا، لماذا لا تستطيع رؤيتها؟
أعنى بأطرافها المكسورة
وهيئاتها المنتمية إلى زمان آخر، هيئات لا تعترف بها
وإن كنت تعرفها

إن الأمر كما لو كنت
في نهايات شبائك تحب
امرأة ظلت على جمالها، وأنت على الدوام خائف
وهي بين ذراعيك عارية في الظهيرة،
خائف من الذكرى التي تستيقظ في أحضانك،
خائف من أن تفشي القبلة أسرارك

ومخاوف النوم المكبوتة،
تحدثك عن أشياء وددت ألا يكون لها وجود
أو أن توجد بعد سنوات من وفاتك،
وذلك أمر . لأن...،

- «التمثيل في المتحف . طابت ليلتك» .

- «..... لأن التمثيل ما عادت

بقايا محطمة، بل نحن الحطام، تنحنى التمثيل بخفة
ورشاقة... طابت ليلتك،

افترقا هنا . أخذ هو

الطريق الصاعد نحو الشمال

ومضت هي متجهة إلى الشاطئ العامر بالأضواء
حيث تغرق الأمواج في ضجيج المذياع:

المذياع

- «أشرعة انتفخت بالرياح

هي كل ما بقى في الذاكرة .

عطر صمت وأشجار سرو
وسرعان ما سيطب القرموط والشورب وهزاز الذنب
الجرح الذى أحدثه برحيله البحار.
يا أيتها المرأة ذات اللمسة الخرساء
انصتى إلى جناز الريح.

نضب الدن الذهبى
واضحت الشمس خرقة بالية
حول عنق امرأة فى منتصف العمر -
تسعل وتسعل ولا ينقطع سعالها
وتمضى تتنهد متحسرة على الصيف الذى رحل،
والذهب على كتفها والردفين
يا أيتها المرأة التى فقدت البصر
انصتى إلى الأعمى يغنى.
هبط الظلام. أغلقى زجاج النوافذ،
واصنعى من بوص الأمس نايات
ولا تفتحى لأحد، مهما علت الدقات

أنهم يصيحون ولكن ليس لديهم ما يقال .

خذى أعشاباً، أوراقاً من أشجار الحور، ومن على الشط
سواسن،

ومن البحر شقائق النعمان .

يا أيتها المرأة فقدت الصواب،

انصتى، أطياف المياه تمر...

- «أثينا . استمعت الجماهير

إلى الأنباء بانزعاج . يخشى

من أزمة على الأبواب . أعلن الوزير:

«ما عاد هناك وقت...»

خذى أعشاباً... أوراقاً من أشجار الحور...

من على الشط سواسن ومن البحر شقائق النعمان...

يا امرأة...

- «...الحرب غلبة، وأننى لنا مفر،

أنا تاجر الأرواح.

حطام ا نزالفره

«هذه القطعة من الخشب التي رطبت جبيني
ساعات الظهيرة التي أججت النيران في شراييني
سوف تزهو بين أيدي آخرين . خذها . إنى أمنحك إياها .
وهى ، أنظر، من خشب الليمون...»
سمعت الصوت
مستغرقا أتأمل
سفينا أغرق منذ سنين
سفينا صغيرا، اسمه «الطائر المغرد، صواريه

راقدة على الجنبين محطمة، يتلاعب بها الموج فى
الأعماق شاردة

مثل قرون استشعار

أو تذكارات أحلام عن وحش بحرى مهيب، نفق تحت
الماء،

مبيناً بين عظام الفكين عن فوهة معتمة. بينما عمت
السكينة كل الانحاء.

ثم وفدت أصوات أخرى

رويداً رويداً، وتعالى همسات رخيمة

قادمة من وراء الشمس حيث الظلمة، عطشى

لقطرة من دماء ترشفها،

أصوات مألوفة، لم أكن بقادر على أى حال أن أميز بينها

ثم جاء إلى صوت العجوز، أ - به

ينسكب فى قلب النهار هادئاً

بل وكأنه لا يحرك ساكناً:

«ولو حكمتكم على أن أشرب السم، لأشكرنكم

مرتضياً الشرع الذى لأنفسكم ارتضيتموه. كيف أذهب

إلى بلاد أخرى متخبطا مثل حصاة دحرجت من مكانها.

أفضل الموت على أن أتصرف هكذا.
كان للخير سعيي، والله بالخير عليم.

بلاد الشمس أنتم، وليس بمقدوركم أن تواجهوا الشمس.
بلاد الإنسان أنتم، وليس بمقدوركم أن تواجهوا الإنسان.

الضياء

كلما مرت السنين

تزايد قضاتك، يوقعون عليك أحكامهم بالإدانة
كلما مرت السنين وتجاوزت مع عددٍ من الأصوات أقل
بدت لك الشمس على غير ما بدت لك من قبل
وعرفت أن الذين خلفتهم وراءك خدعوك
استبد بهم هذيان الجسد والرقصة البديعة
التي تقضى بهم إلى العرى.

الأمر مثلما بالليل تستدير عند منعطف طريق
فترى فجأة حدقتي حيوان تومضان نحوك

وتسارعان بالاختفاء من أمامك

فيشتد شعورك بعينيك

تحقق بهما في الشمس ثم تضيع أنت في الظلام.

إن الرداء الأغريقى الذى تماوج مثل الجبال عندما مسته
أناملك

تمثال رخامى فى الضياء وان غاب رأسه فى غياهب
الظلام.

وأولئك الذين تركوا الحلبة ليمتشقوا السلاح

أردوا برماحهم عداء المارثون العنيد

قرأى الدرب يلغ مبحرا فى الدماء،

الوجود يضحى مثل القمر خواء،

وحقائق النصر تذوى ويعلوها الوهن:

فى الشمس وخلف الشمس، تراهم.

أولئك الفتيان من مقدمات السفن يغطسون

يقلون فى الماء سابحين مثل انوال الغزالين

أجسادهم العارية تغوص فى ضياء داكنة

واضعين بين أسنانهم قطعاً من النقود، يمضون سابحين

بينما تطرز الشمس بأبرة ذهبية

أشعة وخشبا مبتلاً وألوان البحر،
لازال الفتيان حتى الآن يغوصون . بميل ينحدرون
نحو قاع البحر المغطى بالحصوات ممسكين
بأواني خزفية صغيرة بيضاء، أواني القرايين للأموات.

يا أيها النور الملائكى الأسود
يا ضحكات مخضبة بالدمع
ضحكات الأمواج فى مسارات البحر
يلمحك العجوز صاحب الضراعات
فى اجتيازه الحقول غير المرئية -
يا ضياء منعكسا فى دمائه كما فى مرآة،
الدماء التى منحت الميلاد لاتيوكليس وبولينيكيس.

يا أيها النهار الملائكى الأسود
المذاق الاجاج للمرأة التى تقتل بالسم الأسير
ينبثق من الموج غصنا رطبا تزيينه قطرات.
غنى يا صغيرتى انتيجون، غنى بالله غنى..
أتى لا أحدثك عن أمور ماضيات، بل عن الحب،
زىنى شعرك بأشواك الشمس،

يا أيتها الفتاة المجللة بالسواد،
قلب العقرب ساد الديار
والطاغية في كيان الإنسان ولى الأدبار،
وكل بنات البحر، الحوريات والعجائز
تهرع إلى بهاء الألهة التي تشرق على الوجود:
ومن لم يحب، في ضيائها سوف يلقي الحب:
وأنت ستجدين نفسك
في بيت رحيب ذي نوافذ كثيرة مفتوحة
تجرين من غرفة إلى غرفة لا تدرين من أين تبدأين
الاطلال على الخارج
لأن أشجار الصنوبر ستنمحي من أمامك، وكذلك الجبال
اللامعة
وشقشقة العصافير
وسينضب البحر، ويضحى شمالا وجنوبا حطام زجاج
وعيناك ستفرغان من ضياء النهار
والجنادب سوف تكف عن الصرير كلها معا، وعلى غير
انتظار.

بوروس «غالاني»، ٣١ أكتوبر ١٩٤٦

مذكرات على سطح سفين (٣)

إلى أهل قبرص
تذكارة وحبا

«قبرص التي صدر مرسوم من أبوللو
بأن أحياء فيها...» *

٧٢- آجيانابا (أ)

فلتبصر نور الشمس، هكذا ألف القدامى أن يقولوا.

وقد اعتقدت طوال هذه السنين

وأنا أسير بين جبال وبحور

وأصادف رجالا مسلحين

أننى أبصر. ومن الغريب أننى لم ألحظ

أننى لم أكن أتبينهم سوى عبر أصواتهم

وكان الدم وحده دافعهم إلى الكلام، كبش الفداء هذا

الذى أنحره، وأبسطه ذبيحة تحت أقدامهم

ولكن هذه السجادة الحمراء لم تكن هي الضياء
وأى كلام قالوه كان على أن أتأكد منه باللمس
مثلما وأنت مطارِد بالليل، يخبئونك في مِرْبَط للخيل
أو عندما تنال في النهاية جسد امرأة عميقة الأحضان
ويكون جو الغرفة ثقيلًا بالروائح الخانقة
أى كلام قالوه لى كان يعنى حريرا أو فراء.

الغريب في الأمر، أننى هنا أرى نور الشمس، الشبكة
الذهبية

التي ترتجف فيها الأشياء مثل السمك
في شباك صيادين
يسحبها إلى الشط ملاك كبير.

٧٣- حلم

أنام، ويظل قلبي يقظان،
يحدق في النجوم، والسماء، وعجلة القبطان،
ويعجب كيف يزهر الماء على دفة السفين.

٧٤- تفاصيل عن قبرص

إلى المصور دياماندى

كانت البومة الصغيرة على الدوام هناك
جاثمة على كوة الباب المفضى إلى الدير
عمياء مستسلمة لقرص الشمس العسلى
هى هكذا هنا وفى أى مكان، الآن وفى كل الأزمان:
يتراقص الخريف بهذا الإيقاع
وتفرض الملائكة غلالات السماء
ويحرق فى تراخ من السقف عند ركن من الأركان
وجه من حجر ذى حاجبين مقوسين

ثم ظهر الراهب بقلنسوة وجلباب وحزام جلدى،
مضى إلى العمل فى زخرفة قرعة الماء
بدأ بالعنق: سعف نخيل، حراشيف سمك، وحلقان
ثم وضع البطن المنبجج فى كفه العريض
وأضاف رسوما عن الفلاح الغشاش والتاجر الغشاش
والطحان الغشاش وذلك الذى يغتاب الناس
ثم كارهة الأطفال والراهبة المطرودة من الدير
وأسفل كل هؤلاء، وعلى نحو يكاد يكون خافيا رسم الدودة
التي لا تنام.

كان كل هذا أداء مرتجلا. وكان حسنا.
أما عجلة البئر الخشبية - «الألاكتين»
الراقدة فى ظل شجرة الجوز
نصفها فى الماء والنصف الآخر فى الطين
فلماذا سعيت لإيقاظها؟
سمعت من قبل كم أطلقت من أنين. وتلك الصرخة
التي ندت من عروق الخشب القديم
لماذا أسمعها صوت الوطن فهيّجت فيها الحنين؟

٧- باسم الآلهة أدعوك . . .

زيت على الأطراف

ربما زنخ الرائحة

مثلما على معصرة

في الكنيسة الصغيرة هنا

مثلما على المسام الخشنة

للحجر الذي لا يدور.

زيت على شعر

مثل الحبال مجدول

وربما عطور أخرى
غير معروفة لنا
غنية وفقيرة
وتماثيل صغيرة
تعرض علينا بين أناملها
نهودا صغيرة

زيت في الشمس
أوراق الشجر
عندما توقف الغريب
واضحى الصمت
بين الركبتين ثقيل
وتساقطت قطع النقود:
«باسم الألهة أدعوك..»

زيت على الاكتفاف
وعلى الوسط المنثنى
والساقين الرقطاوين في العشب

والشمس مع اقتراب المساء
جريحة
بينما أحداث في فناء الكنيسة
رجلا قعيد.

٧٦- هيلين

«تيفكروس:..... فى قبرص هذه
المحاصرة بالبحر، حيث صدر الأمر
من أبوللو بأن اتخذها مقاما،
معطيا المدينة اسم سالاميس فى
ذكرى الجزيرة وطنى.

.....

هيلين: لم أذهب إلى طراودة قط.
كان ذاك شبعا هناك.

.....

ماذا؟ هل تعنين أننا من أجل

سحابة فحسب عانينا كل ذلك
العناء؟

مسرحية «هيلين» ليوروبيديس

«لن تدعك البلابل تذوق طعم النوم فى بلاتريس،
يا أيها البلبل الخجول، يا من تطل من ثنايا الأوراق
يا من تغدق ألحانك اللذية على الغابة،
على الأجساد المحكوم عليها بالفراق، وعلى أرواح
من يعرفون أنهم لن يعودوا إلى لقاء.
يا أيها الصوت الضرير، يا من تتحسس ظلمات الذكرى
باحثًا عن خطوات وإيماءات - ولا أجرؤ أن أقول عن قبلات
-
وعن غضبة الأسيرة التى استحالت وحشا.

«لن تدعك البلابل تذوق طعم النوم فى بلاتريس،

بلا تريس، أين بلاتريس؟ وهذه الجزيرة، من يعرفها؟
عشت حياتى أسمع أسماء لم أسمع بها من قبل:

أسمع بالجديد من الأوطان، وحماقات البشر
والآلهة.

قدرى المتأرجح بين سيف لأجاس آخر وسلامينا أخرى -
قدرى هذا هو الذى أتى بى إلى هذا الشاطئ، هنا.

طلع القمر

مثلما طلعت من البحر أفروديت،

. . . كوكبة القوس والرامى،، واتجه إلى «قلب العقرب»
ليغير كل شيء.

الحقيقة، أين الحقيقة؟

كنت بدورى فى الحرب رامى سهام
وكان قدرى قدر رجل أخطأ الهدف.

أيها البلبل الصداح

فى ليلة مثل هذه، على شاطئ بروتيوس،

سمعتك الأسيرات من فتيات اسبرطه ويد أن النواح

ومن بينهن - ومنذا الذى كان يصدق ذلك؟ - هيلين!

تلك التى خرجنا فى أثرها، وعلى ضفاف سكامندرو،

بحثنا عنها، سنوات وسنوات

كانت هناك، على شفا الصحراء، وبأناملها لمستها
وتحدثت إلى.

بكت قائلة: «ليس صحيحا، ليس صحيحا ما يقال.
لم أصعد إلى سطح السفين ذى المقدمة الزرقاء.
لم أذهب إلى طروادة أرض الأبطال».

حزامها يعلو الوسط، والشمس فى شعرها ضياء، والقوام ذات
القوام،

والظلال والابتسامات من فيضها فى كل مكان
وعند الكتفين والردفين والركبتين،
تنبض البشرة بالحياة

والرموش الطويلة تظل العينين
كانت هناك، على ضفاف دلتا النيل.

ولماذا فى طراودة؟

لا شىء فى طراودة، مجرد وهم.
أراد الآلهة أن تجرى الأمور هكذا.
وباريس؟ رقد باريس مع شبح شبيه له كائنا من لحم وعظم.
ومضينا نحن نتناحر عشر سنوات من أجل هيلين.

عذابات كثيرة حلت باليونان.

ما أكثر الأجساد التي ألقى بها إلى فكاك البحر، وفكاك الأرض

ما أكثر الأرواح التي طحنت طحنا مثل حبات القمح.

وكم طفحت الأنهار طينا مخضبا بالدماء.

كل ذلك من أجل تموجات رداء، ندفة سحب،

رفرفة فراشة، أو زحف من بجعة منتفضة،

مجرد جلباب خاو. كل هذا من أجل هيلين.

وأخى؟

يا أيها البلبل، البلبل، البلبل،

ما الإله؟ ما الذى ليس إله؟ وماذا بين

هذا وذاك؟

«لن تدعك البلبل تذوق طعم النوم فى بلاتريس.»

يا أيها الطائر داعم العينين،

على قبرص التي تتلقى قبلات

البحر

التي اختصوني بها لتذكيري بوطني القديم
حططت الرحال بها وحدي وبصحبتي هذه الاختلاقة
وهي حقا اختلاقة
لو صحَّ أن البشر لن ينخدعوا
بمكائد الآلهة من جديد،
لو صح
في مستقبل الأيام أن رأى تيفكروس جديد أو
أجاكس أو برياموس آخر أو هيكوبى غير سميتها السابقة
أو حتى أى شخص لا اسم له وغير معروف - رأى أى من
هؤلاء
نهرًا مثل سكاماندرو طافحا بالجثث
وكان غير محتوم عليه
أن يصدق من يجيئون ليخبروه
كم من متاعب احتملت، وكم من حيوات
تردت في ظلمات الهاوية
من أجل هيلين، من أجل رداء خلا من مرتديه.

٧٧- أغيانا با (ب)

ربيع ١١٥٦

أبيات للموسيقى

تحت أشجار الجميز العجوز
كانت الريح تلعب بجنون
مع الطير والأغصان
دون أن تبادلنا الحديث.

يا أنفاس الروح مرحبا
لك فتحنا القلوب
بالله ادخلي، واشربي
الأشواق من مهجنا.

تحت أشجار الجميز العجوز

نهضت الريح ورحلت

صوب قلاع الشمال

دون أن تلمسنا منها نسمة.

يا نبت السعتر، ويا أكاليل الجبال،

ضمي الصدور ضما باحكام

وابحثي لك عن كهف، ابحثي عن عرين،

وخبئي ضياءك عن العيون.

ليست هذه هي الريح التي هبت يوم أحد السعف

ولا الريح التي سوف تهب يوم القيامة

بل هي ريح من نار، ريح من دخان

ريح حياة خالية من الفرح.

تحت أشجار الجميز العجوز

عادت الريح تهب وقد أصابها الجفاف

تنضح أينما عصفت بزخم القلورين

وتقايضنا بالذهب.

٧٨- ذكرى (١)

«ثم لم يعد هناك بحر»

وجدت نفسي وحيدا ممسكا بمزمار

كان الليل موحشا، والقمر منطفئ

والأرض معبقة بأريج المطر الأخير.

همست: الذكرى، أينما مسستها تسبب الألم

السماء تضاءلت، والبحر ما عاد هناك،

وما يقتلونه بالنهار يحملونه في عربات، ويلقون به

وراء التلال.

كانت أصابعى تتلاعب فى شرود على هذا المزمار
الذى أعطاه لى راع عجوز، لأننى أقرأته تحية المساء.
بينما رفض الآخرون كل تحية:

يستيقظ هؤلاء من النوم، يخلقون ذقونهم، ويبدأون عملهم
كل يوم فى المجازر
كما تقلم أنت الشجر أو تجرى جراحات للبشر، بمنهج محكم
وبلا حسرات.
الآلم بالنسبة لهم ميت مثل باتروكولوس، ولا يرتكب أحد
فيما يؤديه خطأ.

فكرت أن أعزف نغمة، ثم خجلت من العالم الآخر
ذلك الذى يرقبنى من وراء الليل، وعبر النور الذى فى،
المغزول من أجساد حية، وقلوب مجردة
ومن حب هو من شيم آلهات الغضب،
كما هو من شيم الإنسان والماء والعشب والحجر.
والحيوان الذى يحدق فى عين الموت
الذى يقترب منه.

لهذا مضيت قدماً في الدرب المظلم
عائداً إلى صديقتي حيث حفرت ودفنت زماري
وهمست من جديد: سوف يأتي البعث
فجر ذات يوم
ستتورد ضياؤه مثل توهج الأشجار في الربيع،
سيولد البحر من جديد، وستعود الأمواج تقذف
بأفروديت.
إلى خواء بيتي دلفت. نحن البذرة التي تموت.

٧٩- شيطان الشهوات

«ولما كان شيطان الشهوات يجتاح العالم
كله، فإنه خدع الملك، الطبيب، فتردى
فى الرذيلة...»

«مذكرات ماخيراس»

كان ما كتبه جوان فيسكونتى هو الحقيقة
كيف أن الكونت تيروخاس رشا الوسطاء
ووجد ضالعا فى الأمر مع الملكة
كيف بدأ الموضوع وكيف انتهى

أضحى فى شوارع وميادين نيقوسيا
أمراً على لسان كل الصبية
كان الخطاب الذى أرسله إلى الملك فى فرنسا صحيحاً
وكان المستشارون على علم كاف بمحتواه .
ولكنهم الآن
اجتمعوا ليشيروا
على ملك قبرص وأورشليم بما يجب أن يفعله
فصدر الأمر إليهم بمحاكمة
الملكة الينورا، المنحدرة عن
أسرة قطلانية كبيرة،
والقطلانيون أناس لا يرحمون،
فإذا اختار الملك أن يقتص لنفسه من الملكة
فلن . . على القطلانيين أن يشهروا السلاح
ويأتوا لإبادة الجميع واستئصالهم من الوجود .
كانت عليهم إذن مسئوليات، ومسئوليات جسام،
فمصائر المملكة كلها رهن بما يحكمون .
بالطبع كانوا يعلمون

أن فيسكونتى مخلص وشريف، ولكنه تعجل الأمور،
وبلا روية تصرف، وعلى نحو متهور مشين
وكان الملك نزقا - فكيف غاب على فيسكونتى
ذلك ؟ - كان الملك نزقا، وأمام رغبات الينورا متخاذلاً.
يحمل فى أسفاره على الدوام قميصها
يأخذه بين ذراعيه لينعم بالنوم قرير العين،
ثم يجيء فيسكونتى - دون أن يتقى الله فيما كتب -
ويخبره
أن نعجته ضبطت مع جديها -
كيف بإمكانك أن تكتب إلى حاكم شيئاً من ذلك ؟
كان فيسكونتى أحمق ولا شك . بالأقل كان يجب أن يذكر
أن الملك أيضا ارتكب الأخطاء،
فقد تظاهر بعفة النفس
بينما حومت ببابه الخلفى عشيقتان لا واحدة
وكم انقلبت الجزيرة رأسا على عقب عندما أمرت
الينورا بإحضار الحامل منهما للمثول أمامها
وأمرت بوضع مطحنة يدوية على بطنها

تطحن القمح دقيقا مكيالا مكيال .
ومما زاد الطين بلة - وهو الأمر الذى لا يسعه خيال -
أن الناس كلها تعرف أن الملك من مواليد برج الجدى
ومع ذلك يمسك ذلك التعس فيسكونتى بالقلم
فى ذات الليلة التى يدخل فيها القمر مدار الجدى
ليكتب ما كتب . يكتب عن النعاج والجديان !
أن الرجل الحكيم لا يستثير الأقدار .
كلا ، ليس محتما علينا أن نقول
ما العدل ، بل واجبنا
أن نتقصى أهون الأضرار .
الأفضل بالمرء منا أن يموت ، فالموت مقدر عليه
من أن نعرض أنفسنا ونعرض الوطن للأخطار .
ولهذا ، فقد انخرط المستشارون طوال اليوم فى الجدل
ثم ، وقد أوشكت الشمس على الغروب ،
مضوا إلى الملك
انحنوا أمامه وقالوا إن جوان فيسكونتى
كذاب أشر ، ضليل ومرذول .

مات جوان فيسكونتي جوعا في زنزانة سحيقة
ولكن بذرة العار في نفس الملك
راحت توقظ منه الحواس، مما جعله يشتهي
أن يعامل الآخرين تحت ذات الشعار.
لم تقلت امرأة من توقه إلى ارتكاب الفحشاء
وتلطيخ الجميع بالعار. وتلاقى في الناس الخوف بالبغضاء
وامتلأت الأرض من حوله بالرهبة والكراهية.
وعلى هذا المنوال، وعلى سياسة «أهون الأضرار، سارت
المصائر
إلى أن جاء فجر عيد «القديس أنطونيوس، وكان يوم
أربعاء
فأتى الفرسان وانتزعوا الملك
من أحضان عشيقته وذبحوه ذبح الشاة
وفي أعقاب كل الآخرين جاء قائد كتيبة الترك
ووجده راقدا في دمائه على ما يقوله كاتب المذكرات،
فأخرج سيفه من غمده وبتر
قضيبه وخصيتيه. ووجه إليه الخطاب قائلا:

من أجل هذه نشرت من حولك الموات!
وكانت هذه النهاية
التي دبرها للملك بيير شيطان الشهوات.

٨٠- في ضواحي كيرينيا

إنني أموت، قسضي أمري
وما الذي على الأرض يدخل البهجة؟
إلهي، أبق ضياء الشمس ذلك بعيدا عن
بصري.

جون يعجمان

إنه عالم هوميروس هذا، وليس عالما.
دابلو. ه. أودين

مشروع قصيدة

- أرسلت لها باقة زهر.

- ويسكي؟ جين؟

- اليوم، العيد الفضى لزواجها.

- احذر الكلب

- سوف يقفز على مئزرتك،

فيلطخه بالطين. انهم يتساهلون معه، فأضحى يآلف
الناس كثيرا

- جين، من فضلك. إنها تعيش فى كينت الآن. سوف
أذكرها

على الدوام وهى فى الكنيسة. عندما خرجنا كان المطر
ينهمر، وكانت تعزف الألحان على الرصيف المقابل
فرقة موسيقية، فرقة جيش الخلاص على ما أعتقد.

- كان ذلك فى مايو، من عام الإضراب العام.

- حتى الصحف لم تكن تصدر.

- انظر إلى الجبل، عندما تغرب الشمس فى نهاية اليوم،
سوف يسود المنظر لون واحد، وتعم السكينة.

إنه جبل القديس هيلاريون. أفضله فى ضوء القمر.

- تكتب عن شبح يهيم بمصباح منطفىء.

- القديس هيلاريون؟

- كلا بيتها فى كينت.

- المكان هنا أكثر مناسبة للأشباح - ولا أستطيع أن أفسر ذلك -

أحيانا تضحي الذاكرة أكثر قسوة في هذا الضوء، تضحي مثل عجيبة جففتها الشمس...

- أي نوع من العجين؟

أنا أيضا ينتابني الصداع .

- هل قابلت الشاعر،

أو أيا من كان، ذلك الذي أقام هنا الشهر الماضي؟

كان يسمى العاطفة إفصاحا عن شهوة كامنة:

شيء غير عادي ذاك، ولا أحد يعرف

ما الذي يقصده محب الأغريق ذاك الذي لا يؤمن
بصلاح البشر.

- انطوائي متعجرف.

- مسلٌ هو أحيانا. يرتاد

الحمامات، الآن

- في إيطاليا، على ما سمعت.

- أجل، بعض «ينابيع المياه المعدنية»

يقول أنها تنشط القوى الجنسية.

اعطيته خطاب توصية لهوراشيو، في روما
- شيء مثير للخل هذا . كيف سمحت لنفسك بذلك .

- كيف سمحت، حقاً؟

ربما بعض التجاوزات مسموح بها في السن الذي بلغناه
ربما بدافع الحاجة إلى الأفلات من ذواتنا المعادة
ربما كانت هذه الجزيرة التي تضجرتني مثل نيزك من
عالم آخر هي السبب.

- بدأ يغلبك الحزن، يا مارجريت، ولكن ما أجمل
الشمس، والبحر، والصيف الذي ليس له انقضاء هنا .
- أواه لهذا المشهد الذي يسأل ويسأل . هل لاحظت ولو
مرة كيف

تجعل المرأة وجوهنا في بعض الأحيان
مثل وجوه الأموات . أو كيف تسرق الشمس ذواتنا
وتخلع عنا قناع المساحيق كل صباح؟ أفضل
دفع الشمس دون شمس، وددت أن أبحث
عن بحر لا يعرى المرء، أزرق بلا صوت
وبغير ذلك الاستفهام السليط كل يوم .

وقد كانت ستنعشنى ملاطفات الضباب الصامته فى
اهداب الحلم .

هذا العالم ليس عالماً، انه عالم هوميروس -

هذا أفضل وصف سمعته لهذا المكان .

اهدأ، ياريكس!

- كلا، من فضلك، لا تغيرى

الأمر اهتماماً،

أعرف الطريق . أود أن يتاح لى بعض الوقت كى أشتري
بعض القماش:

ثلاثين ياردة من النسيج، لأجل بستانينا باناغى .

شئ لا يتصوره عقل! يقول إن ذلك يلزمه لتفصيل
سروال رحيب يرتديه...

أثناء حديثكما تذكرت بيل ذات يوم من أيام السبت .

فى قارب على نهر التيمس .. مضيت طوال ذلك المساء،
انظر إلى الدثار حول عنقه .

وكان يصفر، وهو يجدف، لحن أغنية «قله لها على أنغام
القيثار،

ترى، ما الذى انتهى به الحال؟

- قتل فى كريت .

- وسىما كان؁ بالغ الوسامة .. سأنظرك يوم الثلاثاء ..

كم كان اللىمس يمضى فى هدوء

أثناء النوم .. بين الظلال ..

- يؤسفنى أنك لا تستطيعين البقاء للعشاء ..

٨١- بائع جوال من سيدون

تعرفت عليه فى التو واللحظة: ابن
ا هيرميس وأفروديت مملنة النهدين هو.
وصف خريستودوروس

جاء البائع الجوال الشاب من سيدون
دون أن يخشى بوسيدون.

خصلات شعره داكنة السواد، ورداؤه بلون الأرجوان
مثبت عند الكتف بمشبك ذهبى،

يَضُوعُ جِسْمُهُ بِأَرْيَاجِ الْمَسَاحِيقِ وَالسَّعْتَرِ
دَخَلَ قَبْرِصٌ مِنْ بَوَابَةِ الْبَحْرِ عِنْدَ فُومَاغُوسْتَا

وَهَا هُوَ يَجُوسُ فِي ضِيَاءِ الشَّمْسِ أَزَقَةَ نَيْقُوسِيَا
وَعِنْدَ فَنَاءٍ وَقَفَتْ شَابَةٌ تَرْكِيَّةٌ:

تَشْذِبُ بِأَصَابِعِ مَنْ عَاجَ عَوَاسِجَ مَتَسَلِّقَةً
فَتَتَمَاطِلُ خَجَلِي تَحْتَ لَمَسَاتِهَا.

يَجْتَازُ الْبَائِعُ الْجَوَالَ نَهْرَ الشَّمْسِ
مِثْلَ إِلَهٍ يَسِيرُ عَلَى الْأَرْضِ،

يَتَرْنَمُ هَامَسًا مِثْلَمَا فِي حِلْمٍ بِأَغْنِيَةِ «الْوَرْدِ فِي مَنْدِيلٍ»

كَمَا لَوْ كَانَتْ شَفَتَاهُ الْقَرْمَزِيَّتَانِ

تَتَوَقَّانِ فِي مَسِيرَتِهِ لِتَقْبِيلِ مُوَاطِيٍّ أَقْدَامَ زِيُوسَ.

يَمْضِي فِي مَسِيرَتِهِ هَكَذَا، ثُمَّ يَجْلِسُ

إِلَى جَوَارِ عَمْدَانِ بَابِ قُوطِيٍّ

حَيْثُ صُورَ أَسَدُ مَرْقَسَ

يَصُوبُ النُّظْرَاتِ

إِلَى رَاعٍ اسْتَبَدَّ بِهِ النَّوْمُ

وقد فاحت منه

رائحة الجديان والعرق.

أسند البائع الجوال ظهره، ودس يده في عبه

أخرج تمثالا صغيرا من الطين المحروق

راح يتأمله:

على مضجع نسائي فتى عارى الجسد ،

بين هيرميس الأجوف وأفروديت الحدباء، يتقلب في

كسل.

٨٢- "أفراس

وامتطت الملكة الفرس الرائع مارجيريتا
الذى كان لزوجها الملك بيتر. وجلست
الملكة على ظهر الفرس الرائع كما تجلس
النساء. وأمرت تابعها بوتسوريللو أن
يحتفظ بمهازيها، وقالت له ،عندما
أومي، إليك، أدر قدمي كي أجلس جلسة
الرجال،

مذكرات ماخيراس

خطاب إلى ماسترو

في دمشق ليلة عصاني فيها النوم
ظهرت لي في الرؤيا سيدة مبدلة

من أسرة النبی .

سمعت وقع حوافر مثل دنانیر فضیة تتقاطر
ثم رأيتها تغذى السیر علی متن فرسها فی اتجاه لارناکا
وبدت کما لو كانت تجتاز تلالا من الملح
وبقيت هناك بین أغصان نضيرة
أقضم نبتاً من أیکة ریحان
شعرت وخزاً فی عینی، وتغشاهما شحوب
ربما كان ذلك من تأثير الملح أو ربما كان طیفها هو
السبب

ثم ند من الشجيرات صوت همس یقول:

«هنا زلقت دابتي . وهذا الحجر

قصم رقبتی السامقة

وأسلمت الروح مظفرة

وينعمة الرب ممثلة

ما كان باستطاعة فرس تحمل کل هذا العبء

لا تنس ذلك، ولا تلق علیه اللوم .

قالت ذلك ثم اختفت . ومع ذلك حتى اليوم
لازال فرسها فى مخيلتى يرعى الكأ،
مثل الفرس الآخر الذى توقف قلبه وأدركه الموت
عندما أنزل من على ظهره نعش الأخوين
الذين هناك فى القرية البعيدة،
أطاح الجلاد، ظلماً، برأسيهما .
ولكن ماذا بوسعى أن أقول عن أعظم الجميع شأنًا، فى
بلد
نُسى فيه أولئك الذين عاشوا فى حمى القلاع
مثلما يُنسى التراب ؟
ماذا بوسعى عن دابة الملكة الينورا ذائعة الصيت، أن
أقول .
إنها لاتزال تجوب الآفاق حرة على أجنحة الشهرة
المهمازان الذهبيان بمحاذاة بطنها
وعلى السرج شمع القوام
وعلى وقع الحوافر يرتج النهدان
الممثلان مثل الرمان
وعندما أحضر أهل نابولى ولومباردة وجينوه

قميص الملك المقتول غيلةً مخضبا بالدماء

صائحين متهمين أخاه اللعين جوان

لنا أن نتصوركم حمحم الفرس

وكأنه ليس مجرد دابة لا تعي الأحران

بل مثل كلب أمين.

هناك في الحظيرة

مزينة بأغلى ما تزين به الخيل من تجافيف

وحلّى كفلاها بالذهب

- كم حمحمت مارجريتا، الفرس الأسيان.

٨٣- بينشوس

أنام، ويظل هو يقظان،
ملأه النوم أحلاما عن فاكهة وأوراق شجر،
بينما حالت اليقظة بينه وبين التقاط حتى حبة توت.
افترسه الاثنان معا، اليقظة والنوم، ووزعا على الباخوسيات
أطرافه.

٨٤- نيوفيتوس الانجليستري يتحدث

في كتاباته عن قبرص

... ها هو الملك إسحاق يسجن في قلعة
اسمها ماركابو؛ أما النذل الذي أوقع به،
وكان بدوره ملكا، فلم يمسس صلاح
الدين بأذى، كل ما فعله أن باع البلد
للأتين لقاء ألف ومائتي جنيه من ذهب.
ولهذا كان البكاء - كما يقال - كثيرا
والدخان الواقع من الغرب لا يطاق...

نيوفيتوس الانجليستري

شامخة كانت عمائر هيلاريا، وفاماغوستا، وبوفافينتو.

وكنا قد اعتدنا أن نفهم على نحو آخر مقولة:

«النصر للمسيح،

إذ رأينا ذات يوم أسوار المملكة

وقد تشوهت بالعليق وخيام الفجر

والقلاع الضخام تهدمت، وبالأرض استوت

كند ألقى به عزيز قوم خسر المراهنة.

بالنسبة لنا كان الجهاد من أجل عقيدة المسيح

شيئا آخر.

وأیضا من أجل ابن الإنسان الجالس فى حجر قائدة المعارك،

التي احتوت عيناها، مثل قطعتين من الفسيفساء، ذلك البحر
الجب

من الأحزان،

أحزان اليونان، وقد هدأت من روعها نظرات الطيبة فى
العينين.

فليؤد الصليبيون اللوسينيانيون

الآن أدوار الميلودراما

وليختنقوا فى زخم الدخان الذى جلبوه من الغرب.

دعهم يتعاركون، وينخرطون فيما لا يقدم ولا يؤخر
من شجار، مثل مركب في الريح مطوى الشراع.
مرحبا بكم في قبرص، يا سادة
قرودا كنتم أوجديانا!

انجليسترا، ٢١ نوفمبر ٥٣

٨- سلامينا . قبرص

..وسلامينا

المدينة الأم، أ -

اليوم مبعثا لهمومنا

اسخيلوس - الفرس

تارة، شمس الظهيرة، وتارة حفنة من رذاذ المطر

والشاطئء ملآن بكسرٍ من قدور قديمة.

الأعمدة قليلة، والقديس أبيفانيوس وحده

يكاد ينبئ عن قوة الإمبراطورية الذهبية المطمورة في
التراب.

الأجساد الفتية الولهانة مرت من هنا،
المضايق نابضة، والأصداف وردية، والأسماك
تسبح بلا خوف فى الماء
والأحضان مفتوحة للعشق، مهياة للقاء
والرب ييسط على الموج المتدفق سيادته
ويبارك هذا العبور.
سمعت حينئذ على الحصى وقع خطوات.
لم أر وجوها. كانت عندما استدرت قد رحلت.
أما الصوت فكان مثل دبيب دودة الحرير ثقيلًا
باقيا هناك فى عروق السماء،
يتردد صده فى دحرجة الموج على الحصى، مرات تلو
مرات:

ليس للأرض روافع
تحمل منها على الأكتاف، ويمضى بها حاملوها
ولا بإمكانهم، مهما نال منهم العطش،

أن يزيلوا، بنصف درهم من الماء، ملوحة البحر مترامى
الأطراف.

وهذه الأجساد المخلوقة من طين غير معلوم معدنه
لها أرواح.

يجمعون عددًا لتغييرها

وإذ لن يتأتى ذلك، سيعاد فحسب التركيب

لو كان بمستطاع إعادة تركيبها.

لا يتأخر القمح عن النضوج

ولا يلزم وقت طويل لتختمر عجينة الأحزان،

ولاكى يرفع الشر رأسه

والعقل المريض الذى أصابه الخواء، لايحتاج إلى كثير وقت

كى يشحن بالجنون،

والجزيرة هناك...

يا أصدقاء الحرب الأخرى،

على هذا الشاطئ الذى تجلله الغيوم

والنهار فى مضيه للانقضاء، أذكركم -

أذكر الذين ماتوا فى المعركة،

وأولئك الذين سقطوا صرعى بعد المعركة،
وأولئك الذين رأوا الفجر من خلال ضباب الموت
أوفى العزلة الشرسة تحت النجوم،
وأحسوا من فوقهم بالعيون البنفسجية
الواسعة تسلط عليهم نظرات الدمار الشامل.
بل وأذكر أيضاً أولئك الذين
عندما كان الحديد المتقد يشق كيان السفن راحوا يصلون
قائلين:
«يارب ، اجعلنا نذكر
كيف حدثت هذه الجريمة
هذا الاغتصاب ، وهذه المكيدة
نذكر نضوب الحب هذا، وطغيان الأنانية.
ويارب، ساعدنا أن نقتلع جذور هذه الآثام جميعاً ...»
- الآن، ونحن واقفون على الشاطئ المفروش بالحصى، من
الأفضل
أن ننسى.
لا يجدى أن نتكلم.
من يستطيع أن يغير رأى الأقوياء؟

كلمة من سوف تكون المسموعة؟
كلّ يحلم على انفراد ولا يلتفت لكوابيس الآخرين.

- هذا صحيح، ولكن حامل الأنباء يجرى سريعاً
ومهما كان طريقه طويلاً، فسوف يجلب
لؤلئك الذين حاولوا أن يكلوا المضائق بالأغلال
سوف يجلب إليهم من سلامينا النبأ الرهيب.

صوت الرب يسود الموج
والجزيرة هناك.

سلامينا، قبرص، نوفمبر ٥٣

٨٦- ذكرى (ب)

افيسوس

تکلم جالسا على حجر من رخام
أشبه ببقايا عمود عفا عليه الزمان
عن يمينه، الحقول ممتدة خواء
وعن يساره، من الجبل تنزل ظلال المساء:
«يسرى القصيد في كل الأنحاء، وصوتك
بين الفينة والفينة يبحر إلى جواره
مثل دلفين يمضى برهة في صحبة مركب ذهبي
يمخر عباب الشمس ثم يختفى من جديد

ثم يختفى، كموكب ذهبى فى الشمس . القصيد فى كل مكان
مثل أجنحة الريح إذ تلمس

أجنحة النوارس وهلة فى مهب الرياح .
الأمر يشبه حياتنا وعنهما فى الوقت ذاته يختلف،
مثلاً يتغير

ومع ذلك يبقى على ما هو عليه وجه
المرأة إذ تتعرى من ثيابها . هذا يعرفه
من أحب؛ فى الضوء الذى يرى عليه الآخرون أشياء
يتختر العالم . ولكن تذكر أنت
أن هاديس وديونيسوس صنوان . ،
قال هذا، ومضى فى الطريق الطويل
الذهاب إلى الميناء القديم الذى اضحى
اليوم مطمورا تحت ركامات الطحالب . والغسق
تخاله عاريا مثل جسد حيوان فارق الحياة .
لا زلت أذكره:

كان جواباً يسافر على شطآن ايونية، يزور مسارح
كالمحارات الخاوية

حيث تزحف السحالي وحيدة على الحجارة الجرداء،
وسألته «هل ستمتلي من جديد يوما ما؟»
وأجاب «قد يحدث ذلك، ساعة الممات،
وجرى إلى الأوركسترا زاعقا:
«دعوني أسمع أخى!»
وكان الصمت من حولنا قاسيا
وليس له على بللور الزرقة بصمات.

٨٧- يوروبيدس ا ثيني

ادر كته الشيخوخة بين نيران طروادة
ومحاجر صقلية
أحب تصاوير البحر وكهوف الشيطان.
رأى عروق الإنسان
شباكا تنسجها الآلهة لاصطيادنا مثل ضواري الحيوان،
وحاول أن يمزقها.
كان رجلا حاد الطبع، قليل الصحاب
وعندما حانت ساعته مزقت لحمه وافترسته الكلاب.

٨٨- انجومي

كان السهل فسيحا منبسطا، ومن بعيد ترى،
السواعد صاعدة هابطة تحفر الأرض.
وفي السماء، ارتسمت السحب أقواساً أقواس، هنا وهناك
صوت بوق ذهبي وردى، إنه وقت الغروب.
في العشب القليل وفي الأشواك ، تنساب
بعد سكون المطر أرق النسمات. نزل المطر
فاستردت ألوانها هامات الجبال.

توجهت إلى الناس الذين كانوا يعملون،
رجال ونساء يحفرون بالمجاريف خنادق.
بدت تحت معاولهم مدينة قديمة، حوائطها ودروبها وبيوتها
متأبية مثل عضلات مرده متحجرة،
إبداعات بائدة، شُرُحتها فحوص
أثرى، أو جراح أو طبيب تخدير.
أطياف وصنائع، شفاه وبهارج، كلها فى التراب مدفونة
وستائر الألم أزيحت
عن عرى قبر ما عاد يكثرث.

رنوت إلى حيث انكب الحفارون على العمل،
الأكتاف مشدودة والاذرع تدق
صمت الموت فى ايقاع ثقيل متلاحق
كما لو كانت عبر الخرائب تمر عجلة القدر.

وقجأة وجدت نفسى سائرا، وماكنت أسير
نظرت إلى الطيور، ميتة كالحجر وما عادت تطير،

نظرت إلى اثير السماء، فكان حافلاً بالتساؤلات
نظرت إلى الأجسام المنكبة على العمل. كانت ساكنة
ومن بينها وجه يرقى الضياء.
تدفق الشعر الأسود على رقبة القميص، والحاجبان جناحا
عصفور،
وأرنبنا الأنف
قوسان فوق الشفتين،
والجسد انبثق من بين الأذرع المجاهدة عاريا
كاشفا عن نهدي ربة غير ممسوسين
في رقصة سكنت حركاتها.
وخفضت عيني لأستوعب كل ما حولى،
فتيات يخبرن ولا يلمسن عجيب
نساء يغزلن، ومغازلهن لا تدور
حملان تستقي، والسنتها تتدلى بلا حراك
على مياه خضراء تبدو ساجية
والفلاح وقف بمحراثه مسمرا.

عاودت النظر إلى الجسد الخارج من الأرض.
تجمع الناس من حوله مثل النمل
رشقوه بالحرايب فلم ينجرح
لمع البطن الآن وضاء مثل القمر
ويدت لى السماء كأنها الرحم
الذى خرجت منه إلى الحياة،والذى أيضاً استعادها إليه -
استعاد الأم وطفلها.
سكن القدمان سكون الرخام
وفى الوقت ذاته اختفيا عن العيان:
هذا مجرد ظن.

عادت الدنيا لتصبح كما كانت، دنيانا نحن،
دنيا التراب، دنيا الزمن
بدأت روائح النفط الخفيف
تهتاج على المنحدرات القديمة للذاكرة
نهود بين أوراق الشجر، شفاء مبيلة،
وكل شئ أدركه الجفاف فوراً على امتداد السهل المنبسط،

بين يأس الحجارة، وانسحاق السطوة المتردية،
في ذلك المكان الخواء ذى الأشواك والعشب الضئيل
حيث ينساب ثعبان لا يلوى على شئ،
وحيث يحتاج الموت إلى وقت طويل.

٨- قطط القديس نيقو

ومع ذلك،

فإن قلبي يغنى بداخلي
بلاقيثار يصاحب الفناء
أنا الهة العقاب لم يحدث لأحد أن
علمني البكاء ومع ذلك، وا أسفاه! ضاع
مني

ما للأمل الحلو من مضاء
أغاميئون-

قال لي القبطان «يبدو هناك كهف القطّة...»
مشيرا إلى شاطئ خفيض يلوح في الضباب

كنا يوم عيد الميلاد، وكان الشاطئ خاليا من كل نسمة
أردف قائلا:

«وباتجاه الغرب هناك المكان الذي في سالف الأزمان أنجب
الموج فيه
أفروديت».

يسمون المكان صخرة اليونان.

ثلاث درجات يسارا!،

كان للقطعة التي فقدتها العام الماضي عينا سالومي

وكانت لها في مواجهة الموت نظرة خاصة

تمضى هذه الالهة الصغيرة حارسه الديار

تحقق في وجهه تحت شمس شرقية دب البرد في أوصالها
أياما طوال.

امض في طريقك أيها المسافر.

وتمتم قائد الدفة فقال «ثلاث درجات الى اليسار»

... ربما كان صديقي

وقد نزل إلى اليايسة اعتزل الأسفار الآن

أغلق الباب على نفسه في بيت صغير حافل بالتصاوير

يبحث بين أرجائه عن نوافذ خلف الأطر.

دق جرس السفين

مثل رنين عملات لمدينة اندثرت

وعادت تنثر صدقات من زمن غابر لتحيا من جديد.

عاد القبطان يقول «غريب

أمر هذا الرنين - ولا زال الوقت نهارا -

يذكرني بذلك الآخر، من جرس الدير القديم.

والقصة رواها واحد من الرهبان،

شبه مجنون، كان يحيا غارقا في الأحلام.

في زمن الجفاف الأكبر

- أربعين عاما لم تمطر السماء -

أ - الجزيرة كلها خراب

كانت الناس تموت وتولد الحيات

ملايين الحيات على هذه اليابسة

سامة

وغليظة مثل سيقان البشر.

كان دير القديس نيقولا في ذلك الحين يتبع

رهبان القديس باسيلي
ولم يكن بإمكانهم أن ينزلوا للعمل بالحقول
ولا أن يخرجوا للرعى بقطعانهم،
فأنقذتهم القطط التي كانوا يربونها.
فجر كل يوم يدق جرس
فتتحرك شراذمها وتمضي إلى المعركة.
طوال النهار تهاجم وتلقض حتى
يؤذن لها بوجبة العشاء.
ثم يدق الجرس
فتخرج لحرب الليل من جديد.
يقال إن منظرها كان رائعا
بعضها يعرج، والبعض فاقد الأبصار
واحدة بلا خطم، والأخرى مصلومة الأذن، وفراؤها جميعا
في أسوأ الأحوال.
وهكذا بأربعة أجراس كل يوم
مضت شهور تلو شهور، وسنين تلو سنين، وولت الأزمان اثر
الأزمان.
عنيدة شرسة، وعلى الدوام مثخنة بالجراح

اندثرت الحيات، ولكن ما عاد للقطط أيضا في النهاية وجود
لم تحتل كل ما تجرعتة من ذاك السم الزعاف.
كل سفين غرق
لم يبق طافيا على السطح شيء
لا مواء ولا أجراس.
«إلى الأمام سر»
وماذا كان بوسعها تلك المسكينة
وهي تحارب وتجرع ليل نهار
دماء الثعابين
دهورا تلو دهور، سموما اثر سموم،
وجاء صوت قائد الدفة بغير أكرات يجيب:
نحن إلى الأمام نسير!

ث قصائد كتبت في الخفاء

٩٠- على شعاع شمس شتاء

(١)

من اناء صفيحي تبعثرت أوراق
في اللعقل المسكين الذي لمح على مشارف النهاية
شذرات وضيئة تنطفئ
أوراق تدور في دوامة مع نوارس
ملأها الشتاء ضرواة .

كلما تحرر صدر
أضحى الراقصون أشجارا

واضحت الأشجار الجرداء غابة كبيرة.

(ب)

تحترق الطحالب البيضاء

تيزغ من اللجة جنيات بلا أجفان

وكانت فيما مضى تتراقص

لهبا من رخام.

اكتسى وجه البسيطة بالثلوج الآن.

(.)

أورثنى صحابى الجنون

بمراسد، ومكبرات،

ومناظير تقرب أشياء

من الأفضل أن تبقى نائية البعاد.

لعمري أين ستقودنا هذه الدروب؟

ولكن ذلك اليوم الذى بدأ فيه كل هذا

ربما لم ينطفئ بعد

ربما لازال يتقد فى وهدة مثل وردة حمراء

وفى بحر أثيرى عند قدمى رب العباد.

(د)

قلت منذ سنين:

«حقيقة الأمر أنى بالأعماق ضياء،

وحتى الآن، وأنت تسند رأسك

على منكب النوم العريض

بل وأيضا عندما

من على صدر البحر النشوان، يُدْفَعُ

بك إلى الأغوار

تتلمس هناك أركاننا

تهراً فيها الظلام، وماعاد يحتمل البقاء

تنشد بكل جلاء الريح المقدر له أن يثقب قلبك

كى تتدفق منه الضياء.

(ن)

أى نهر طافح الكيل هذا الذى جرفنا؟

رسبنا فى القاع.

يجرى التيار فوق رؤوسنا

ويثنى فى جريانه العيدان اللينة.

الأصوات

تحت شجرة القسطل

أصحت حصوات

تتقاذفها الصبية.

(هـ)

أنفاس قصار تلو أنفاس، ثم هبة ريح

تنفض الكتاب عن كاهلك

تمزق من أوراق الأسلاف ما أضحي غير ذى فائدة

وتطل على ثيران ضخام تركض فى المراعى

أو على أمازونات غضة الإهاب تصيب العرق

من أخاديد أجسامها التى

لا تكثرث بغير التنافس على القفز والمصارعة.

نسمات ترد الروح إلى الجسد الموات فى فجر يوم

ظننت أن الشمس اشرقت فيه.

(و)

النار بالنار تشفى

وليس باللحظات تترى قطرة قطرة

بل بوهج مباغت مكتسح
مثل رغبة تواصلت بالرغبة الأخرى
وظلت بها ملتحمة
أو مثل

إيقاع موسيقى ظلت راسخة
هناك في المعزف مثل تمثال
باق في مكانه لا يتزحزح.

ليست هذه أنفاسا عابرات
بل أحكام هي أملتها الصواعق.

٩١- عن المسرح

(١)

أيتها الشمس، تلعبين معي

ومع ذلك، ليس هذا الذى تؤدين رقصا

كل هذا العراء

يكاد يكون دماء

غابة ضارية

ولكن مامن غابة هناك

وبعد -

(ب)

سمعت نواقيس
وأقبل الرسل
لم أكن أنتظر مجيأهم
بل وكنت قد نسيت حديثهم
يحملون الثمار في سلال
ثيابهم بادية الطلاوة، والأرتياح مرتسم على وجوههم
دهشت وتمتعت أقول:
«يعجبني المسرح!»
وسرعان ما امتلأت المقاعد
وعلى الخشبة خفت الأضواء
كما لو أن جريمة قتل يدبر لها في الخفاء.

(.)

وأنت عمّ تبحثن؟ بدا على محياك الأرتباك
كلت قد نهضت توا
تركت الأغطية تبرد

وغادرت حمامات الانتقام.
سالت قطرات على كتفك
وعلى بطنك
قدماك عاريتان تحوطهما جزازات من العشب
وفي التراب مغروستان
وأولئك الثلاثة
بوجوه هيكاتي الجسور
سعين لأخذك معهن.
عيناك محارتان فاجعتان
والحلمتان حصاتان قانيتا الحمرة -
لا أعرف عن الترتيبات المسرحية شيئاً.
تعالى من الآخرين الصراخ
وبقيت أنت مغروسة في التراب
تمزق الهواء بالإيماءات من حولك
جلب اليهم الخدم النصال
وبقيت أنت مثل شجرة سرو
مغروسة في التراب.
سحبوا النصال من الأغمد

وجرت لطعنك محاولات
عندئذ فحسب صحت قائلة:
«قليات من يريد أن يخمدني،
أست أنا البحر صاخب الأمواج؟»
(د)

كيف أضحي البحر هكذا، كيف؟
غبت بين الجبال سنين طوال

أعماني لمعان الآبار.
أنتظر عند هذا الشط الآن
أن يحط شخص هنا الرحال
أو يجنح حطام، أو تفد بقية مما كان.

ولكن ألا يجوز أن يكون البحر قد امتلأ بالجراح؟
شقه ذات مرة دلفين
وذات مرة أخرى طعنه نورس بحد الجناح.

ومع ذلك كان الموج حلوا
حين كنت ألقى بنفسى فى حضنه طفلا وأصبح
بل وأيضا فى شبابى
وبينما كنت بين الحصى عن أشكال
وعن إيقاعات أبحث
حدثنى شيخ البحر، قال:
«أنا بلدك».

ربما لا أكون شخصا ذا بال
ولكن بإمكانى أن أصبح من تريدنى أن أكون».

(س)

من ذا الذى سمع فى وضغ الظهيرة
صليل النصل على حجر المسن؟
أى فارس هذا الذى جاء
يحمل الشعلة والوقود؟
الكل يتنصل مما حدث
ويؤكد براءته.
بل منذ الذى مزق أحشاء
المرأة والرضيع و أشعل النار فى البيت؟

ما من وجود لجان ولا دخان هناك

منذا الذى رحل

تدق حوافر جواده البلاط؟

الغوا عيونهم، أضحوا عميان.

ما عاد ثمة شهود على شىء.

(ك)

متى ستعاود الكلام؟

كلماتنا أولاد بشر كثيرين

تبذر وتولد مثل الأطفال

ترسخ جذورها وتتغذى على الدماء

هى مثل أشجار السرو

تحافظ للهواء على شكله

رغم أن الهواء رحل وما عاد له وجود هناك

وبالمثل الكلمات

تحافظ للإنسان على شكله

رغم أن الإنسان رحل وما عاد له وجود هناك

ربما تسعى النجوم للكلام

تلك النجوم التي وطأ ضياؤها ذات ليلة عريك الشديد
البجعة والقوس والعقرب
ربما تسعى إليك بالكلام هذه النجوم
ولكن أين ستكون لحظة أن تأتي الضياء إلى هنا، إلى هذا
المسرح،
أين ستكون؟

()

ومع ذلك، هناك على الشاطئ الآخر
تحت ظلال الكهف السوداء
كنت أيتها الشمس على أكتاف الطير وبعيونه
تبصرين وتتألمين
الحب عناء آخر
الشرق حضور جديد
والمخاض قيامة
ومع ذلك كنت هناك
في جمال الزمن المتنامي تولدين من جديد
لحظة بلحظة، مثل الصمغ الذي يقطر من سيقان الشجر
مثل الهوابط والصواعد في الكهوف بشكل الجليد المتحجر.

٩٢. المنقلب الصيفي

(١)

أكبر الشمس في ناحية
وفي الناحية الأخرى القمر الجديد
مثل ذينك النهدين في الذكرى البعيدة .
يفرق بينهما ليل ساطع النجوم
والآن طوفان الحياة .
تركض الجياد
وقد تصيب منها العرق
على جثث مبعثرة في البيادر .

الكل يذهب إلى هناك
حتى تلك المرأة
التي رأيتهما يوما جميلة
تلحنى ثم على ركبتيها تنثني وما عادت تحتل عبء
السنين
حجر الطاحون يسحق كل شيء
ويصيره نجوم.

وغدا أطول الأيام.

(ب)

يرى الجميع رؤى
ولا يعترف أحد بذلك
يمضون معتقدين أنه لا أحد
رآها غيرهم.
كانت الوردة الكبيرة
على الدوام هنا
بجانبك وفي أعماق نومك
كانت دون أن تعرف لك.
ولكن الآن فحسب وشفثاك تلمسان

أوراقها النائية

شعرت بما لسقطة الراقص من ثقل جسيم
وهو يهوى إلى نهر الزمان -
وبجيشان الموج المخيف عند ارتطامه به .

لا تبدد إذن النفحة التي منحتها لك
وهلة الحياة الوجيزة هذه .

(.)

ومع ذلك، في هذا النوم

يتردى الحلم

في الكوابيس بيسر

مثل السمكة التي واد تحت الموجة

واندست في وحل الأعماق .

أشبه بالحرباء عندما يغير جلدها الألوان

يعلن القوادون والعاهرات عن أنفسهم

في المدينة التي استحال ماخورا

بالعطن من الإغراءات .

وترتدى الأبنة التي جلبتها الأمواج

جلد البقرة

كى يعتليها فحل الثيران .

والشاعر

تقذفه الصبية بالقاذورات

وهو يرى التماثيل تقطر دما .

يجب أن تصحو من هذا النوم

أن تخرج من هذا الجلد المضروب بالسياط .

(د)

فى الريح المجنونة تعلو وتهبط

دوامات الكناسة

تدور يمينا ويسارا .

تتصاعد أدخنة رفيعة قتالة

تسرى خدرا فى أطراف البشر

فتتعجل الأرواح

فراق الاجساد

عطشى لا تجد فى أى مكان قطرة ماء .

تتخبط وتلصق هنا وهناك

طيورا تردت فى صمغ الشراك

ترفرف بلا جدوى جناحيها
إلى حين لا تقوى على رفع الجناح.

يذوى البلد ويمضى إلى هزال
حتى يضحى جزءاً من طين عجاف.

(ن)

لم يعد لدى الناس الملتحفين بالأغطية المخدرة
من عطاء

سوى هذه النهاية.

فى الليلة الدافئة

كاهنة القمر

عاليا عند السطح

تبتهل عارية الصدر مكتئبة لقمر صناعي، بينما

راحت خادمتان صغيرتان تغالبان النعاس

وتقليبان فى قدر من نحاس

أكاسير فواحة عاطرة

كى ينال محبو العطور فى الغد كفايتهم.

فى زينتها وانفعالاتها الجموح
تشبه ممثلة المآسى القديمة
بل وبدأ الطلاء يتخثر على وجهها.
(س)

تحت أشجار الغار
وأشجار الدفلى البيضاء
تحت الصخرة الشائكة
والبحر الزجاجى صقيل عند أقدامنا
تذكر الرداء الذى كنت تراه
ينفك وينزلق على عرى الجسد
ويسقط حول أخمص الساقين
هامدا..

آه ، لو أن هذا النعاس سقط بدوره
وسط أشجار الغار حيث يرقد الموتى.

(ص)

أنفاس شجرة الحور فى البستان الصغير
تحصى ساعاتك
ليل نهار..

البستان الصغير ساعة مائية، تشغلها السماء.
وفي ضياء القمر الساطع
تجرجر أوراقه على السور الأبيض خطواتها السوداء.
عند الحدود أشجار سرو قليلة.
ومن بعدها رخاميات وزخارف أضواء
وأناس على ما خلق عليه الناس.
ولكن هناك أيضا الطائر الأسود ينقنق
قادمًا كي يشرب
وتسمعُ بعض الأحيان صوت اليمام.
في البستان الصغير، بستان العشر خطوات
بامكانك أن ترى ضوء الشمس
ساقطًا على زهرتي قرتفل حمراوين
وعلى زيتونة وقليل من الياسمين.
تقبل راضيا هذا الذي لديك.
والقصيدة
لا تدسها عند جذور سرو موغلة في الأرض
بل فقط تعهدا بما لديك من تراب وصخر
ولو احتجت إلى المزيد
أبحث عنه في المكان ذاته تجده.

(ك)

الورقة البيضاء مرآة متأبية
تعكس فحسب ما كنت عليه .

الورقة البيضاء تتحدث بصوتك
بصوتك أنت

وليس بالصوت الذى يحلوك .
أغنيتك هى تلك الحياة
التي بددتها

وقد يكون بإمكانك أن تكسبها من جديد لو أردت
وتشبثت بذلك الشيء ضئيل المبالاة به
الذى إلى الخلف يلقى بك
إلى حيث بدأت .

سافرت، شاهدت أقمارا وشموسا كثيرة
لامست أمواتاً وأحياء
أحسست بألم الفتیان
وأوجاع النسوة

ومرارة الطفل غض الالهـاب -
ما أحسست به ينهار فاقدا سنده
ما لم تستأمن هذا الخواء .
ولعلك واجدا هناك ما اعتقدت أنه ضائع لا وجود له؛
ذلك الذى يفسر لك حقاً نبت الشباب وغرق سنى العمر.

حياتك ما أعطيت
وهذا الخواء ما أعطيت
هذه الورقة البيضاء .

(ل)

كنت تتحدث عن أشياء لم يكونوا يرونها
وكانوا يضحكون .
لكنك كنت تجدف صاعدا ضد ظلمة التيار
تمضى فى طريق الصواب
مغمض العينين يملؤك الاصرار
تبحث عن كلمات راسخة القرار
مثل شجر الزيتون أثيث الجذور -
دعك منهم وإن كانوا يضحكون .

في العزلة الخانقة لهذه الأيام
في هذا الحاضر الذي يمضي إلى زوال -
دعك منهم .

النسمات البحرية ورطوبة الفجر
لا يتوقف وجودها على طلب من أحد أو أمر .
(م)

ساعة صيرورة الأحلام حقيقة
في ضياء الفجر الرهيف
رأيت الشفاة وردة تتفتح
أوراقها .

ومض في السماء منجل نحيف
فخشيت الحصاد .

البحر الذي يدعونه سكينة
مراكب وأشرعة بيضاء
نسمات تهب أنفاسا لاهثة
من أشجار السرو وجبال الجزيرة
أنزلت بشرتك في يسر

على بشرتها الدافئة مثل
إرهاصة خاطرة سرعان ما أدركها النسيان .

في المياه الضحلة
أخطبوط أصابه صياد . نفت حبرا
وغاص في الأعماق -
ولكن إسأل الذاكرة كم امتدت الجزر الجميلة على مدى
البصر .

كنت أنظر إليك بكل ما في من ظلمة وضياء .
(و)

الآن تتفصد الدماء
وقد ازدادت البوتقة اشتعالا
في أوردة السماء
تسعى للأفلات من الفناء
على رجاء أن تظفر بفرحة البقاء .
الضياء نبض

ييطيء ويزداد خفوتا
ويبدو كما لو كان على وشك الانطفاء.

()

بعد قليل ستطلع الشمس
سرت همهمات أطياف الفجر
إلى القواقع العطشى.
غرد الطائر ثلاث مرات، ثلاث مرات فحسب
وبقيت السحلية

ساكنة على الحجر الأبيض
معلقة الانظار بالعشب الجاف
حيث انسابت أفعى الشجر.
جناح أسود يرسم خطا عميقا
هناك عاليا في القبة الزرقاء -
انظر إليها - إنها ستنشق.

آلام المخاض والقيامة.

(ي)

الآن،

بقايا قلم العراف المتآكل

ولمعان البحر في وهج الصيف

وعرى الحياة كلها؛

السير والوقوف والرقاد والانتفاضة

الشفاء والجزء الملساء

كل هذا يسعى إلى الاحتراق.

مثل شجرة السرو في الظهيرة

يسيل من جذعها الصمغ على كل جانب

تتعجل أن تلد نارا

وما عادت تحتل العذاب.

ناد على الأولاد ليجمعوا الرماد

ويذروه.

ما حدث حدث، وبحق.

وحتى ذلك الذى لم يمض إلى الحريق بعد

يجب أن يحرق

هذه الظهيرة التى تسمرت فيها الشمس

فى قلب الوردة ذات الأوراق المائة.

القسم الثالث: سفیریس ونسیجه الشعری

چورچ سفیریس.

الفصل الأول: الحداثة

يختار سفيريس الطريق الشاق للتعبير عن رؤاه الشعرية. وفي بعض الأحيان يكون هذا الطريق مضنيا حقا، ليس بالنسبة للشاعر الذي يجتاز تجربة «التعبير الحديث» - التعبير غير المباشر الذي يتجاوز حتى آفاق الرموز وأطرها - بل وأيضا بالنسبة للقارئ الذي يكاد يستعصى عليه استيعاب مرامي الشاعر، وتبين مضامين رسالته.

واللوحات في قصائد سفيريس رحيبة، تمتد طولا وعرضا، من البحر إلى اليابسة، من الحياة إلى ما بعد الموت - إن كان للموت بالنسبة للشاعر وجود - من المشهد اليومي العادي إلى نجاوى قلوب دفنت في الثرى، وإن كانت لاتزال بالوجد نابضة، من السماوات الحافلة بأطياف النجوم وقدامى الآلهة إلى أعماق الأرض، حيث تجرى في صمت مهيب آبار من المياه لازالت نقية طاهرة، لم

تمسسها شفاة، ولا دنستها أنامل فانية، تحتضن أسراراً وأسراراً، وتتوق إلى التدفق لقرى بساتين، وتلصق من الثمار والأزهار ما لم تره من قبل عين، ولم تسمع به أذن. والحركة الدرامية السارية في هذه اللوحات تغلف فيها الحكمة الرصينة بشتى صنوف الحماسة، ويلتحم الشجن الإنساني بالتهكم المأساوي.

وفي كثير من الأحيان، لا تتسم صور سفيريس بالغموض فحسب، بل وأيضاً بالفجائية والعفوية، التي تجعل تقارب تلك الصور أمراً صعباً، إن لم يكن مستعصياً على فهم القارئ. ويكون محتماً عليه أن يجهد نفسه في أن يقيم منطقاً خاصاً - يواكب منطق الشاعر المغرق في الذاتية (وان استمسك بمفردات الطبيعة، والأماكن، والأزمان، والناس، والأساطير، والأقدار) - كي يتوصل القارئ إلى ترويض القصيدة، والاستحواذ على معانيها.

ليس من شك في أن صور سفيريس صور، موهلة في الغرابة، سريعة التبدل، ويقوم تجاوزها على محض الصدفة. على أن صور سفيريس مهما تغربت واتجهت إلى المعاصرة، احتذاء وتشبعا بالاتجاهات الحديثة في الشعر الأوروبي، إلا أن هذه الصور يمضي ينبض على الدوام بأعماقها التراب اليوناني. فإذا ما تحدث سفيريس في قصيدة مثل «الطائر الغرد، عن الطبيعة، فهي الطبيعة اليونانية: البحر - السفن الغارقة - الأشجار بشتى فصائلها التي تكسو سفوح الجبال حتى قممها - تماثيل الرخام. بل وحتى عندما يتحدث سفيريس في الطائر الغرد، وهو اسم سفينة غارقة، عن «شجرة ليمون تزهو» في أيدي أجنبية فهو يتحدث عن «الحضارة الإغريقية، التي احتفظت بها أوروبا، ومن بعدها العالم كله - أو لم يحافظ على «شجرة الليمون،

هذه العالم الإسلامي بدوره ؟ - وعندما يفد إلينا صوت العجوز في نهاية القصيدة يضيء بأعماقنا وجه سقراط شارب السم عن طيب خاطر، من أجل العدالة، والسكينة والتقدم.

وقصائد سفيريس حافلة أيضا بالاقتراسات والإحالات إلى شذرات من قصائد وأغان وكتابات آخرين، قديمة وحديثة ، شعبية وكلاسيكية، من شتى اللغات والآداب. وهذا إن دل على شيء فعلى أن سفيريس لا يريد أن يبدو عطاؤه صادرا من فراغ، بل هو يربط هذا العطاء بأواصر صداقة وقربى بأعمال لمبدعين آخرين.

وقد يبدو سفيريس أيضا من خلال ذلك واسع الاطلاع متنوع الثقافة، إلا أنه ما قصد ذلك لذاته في عطائه، والذي يجدر الالتفات إليه فيما يطعم به سفيريس قصائده من شذرات من أعمال الآخرين أو إحالات إليها أن كل هذا لا يطفئ على نضجه ولا يجور عليه . بل إنه على العكس يؤازره، ويعمق أبعاده، ويزيده انتماء وتأصيلا . فهاهى على سبيل المثال قصيدة «الغراب» تبين عن مدى حب سفيريس وارتباطه بالشاعر الأمريكي الكبير ايجار آلان بو صاحب القصيدة المشهورة بالعنوان ذاته، وقصيدة سفيريس مهداة إلى ذكرى ذلك الشاعر العظيم.

كما أن قصيدة سفيريس «الملائكة بيضاء» هي مثال آخر، ضمن العديد من الأمثلة، التي يعبر فيها الشاعر اليوناني عن ارتباطه بمبدعين آخرين، قدامى ومحدثين . وهذه القصيدة التي أدرج سفيريس عنوانها بالفرنسية، وكذلك ماورد تحت العنوان من سطور مأخوذة من رواية للكاتب الفرنسي الشهير بلزاك بعنوان «لوى لامبير» حيث يقول «وفجأة ، توقف لوى عن دحك ساقيه الواحدة بالأخرى،

وقال بصوت وئيد: الملائكة بيضاء، * . كما يهدى سفيريس قصيدته هذه إلى الروائي الأمريكي هنري ميلر صاحب روايتي «مدار السرطان» و «مدار الجدي»، وقد كانت مقالة هنري ميلر المنشورة في الأربعينات عن سفيريس تعريفا باكرا بهذا الشاعر ** .

كما أفصح سفيريس عن ارتباطه بفنون أخرى غير الشعر والأدب مثل الموسيقى (موريس رافيل) والباليه (نيجينسكي) والتصوير (الجريكو) بل وسمى بعضا من قصائده «رسوما» وعبر عن ذلك الارتباط أكثر من مرة في قصائده .

وربما كان نهج سفيريس في تطعيم قصائده بأنفاس إنسانية لمبدعين آخرين من جنسيات متنوعة فضلا عن دمج الطبيعة والأساطير بشذرات من التاريخ الحديث، *** هو الخطوة الأولى التي نقلت الشاعر اليوناني من المحلية إلى العالمية، ولفتت إليه أنظار نقاد وشعراء أجانب كبار مثل ت. س. إليوت، مما أوصله في النهاية إلى

(*) يتكرر عند سفيريس تعبير أبيض مثل نوم الليل وربما كان ذلك تأثرا بقول الفرنسيين «الليالي البيضاء» ويقصدون بها «ليالي السهاد والأرق»، كما يتكرر في شعر سفيريس وصف «عيون العميان» بالعيون البيضاء. ويبدو أن اللبج صلة بأسطورة تتعلق بقتل الصبايا أو بشئ من هذا القبيل ويعمد سفيريس في قصيدته «الملائكة بيضاء» إلى استدعاء تلك الأسطورة، وإذابتها في أبياته حتى لا تبدو مباشرة للعيان.

وعلى أي حال فإن قصيدة سفيريس «الملائكة بيضاء» تدعونا إلى تسجيل دراية الشاعر بالألوان وتدوقها، فإن سمرة كف صبية أعرايبة، تكاد تعادل اللون البنفسجي أولون البنفسج. وبدلا من أن يقول الشاعر «يد سمراء» وهو قول معاد يقول «يد بنفسجية» لأن الشمس إذ تلوحها تحيلها إلى درجة لونية أقرب إلى اللون البنفسجي. وسوف نرى هذا اللون في لوحات الفنانين على وجه الخصوص.

(**) وكلمة هنري ميلر هذه معروضة في مقالة الأستاذ نيقولا يوسف بعنوان «سفيريس: الشاعر اليوناني المعاصر المنشورة بمجلة «الآداب» البيروتية - عدد يونية ١٩٦٧ .

(***) وعلى سبيل المثال ترد إشارة في البيت العاشر من قصيدة «الملائكة بيضاء» إلى تقسيم بولنده بين الألمان والروس عام ١٩٣٩ .

الحصول على جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٦٣. وتتجلى تجريبية سفيريس وانفتاحه على الشعر في الشرق والغرب في التفاته إلى «الهايكاي»، وهو أسلوب من الكتابة الشعرية عرفه الأدب الياباني، وتبناه الأدب الأوروبي في الربع الأول من القرن العشرين. وفي ديوانه «كراسة التمارين»، ينسب سفيريس مقطوعاته الست عشرة القصار التي احتذت النمط الياباني إلى عام ١٩٢٩. وهو ما يدل على معرفة سفيريس بالأكرة بالاتجاهات العالمية في الكتابة الشعرية، وتحمسه لها، مما كان أحد الأسباب التي اعتبر من أجلها مجددا في الشعر اليوناني الحديث، بل وفي الشعر الأوروبي قاطبة.

وتلك الكلمات القليلة لماركوس أوريليوس التي تنصدر هذه القصائد القصار تذكرنا بقول شاعر الرومان الكبير الأكثر استفاضة في كتابه (التأملات - الكتاب الثالث: ١ - ١٠) «اطرح عنك إذن كل شيء، ولا تحتفظ إلا بهذا القليل. ولا تنسى أن كلا منا لا يحيا إلا هذه اللحظات القصار التي تسمى حاضرا».

كما أن عنوان المقطوعة التاسعة من هذه القصائد التي يمكن أن نسميها «اليابانية»، مستقى من عنوان قصيدة للشاعر الفرنسي بول فاليري كتبها عام ١٩١٧.

وكما أن الهايكاي هو أسلوب لكتابة القصائد القصار استجلبه الأوروبيون من الأدب الياباني، كذلك فإن «بانثوم»، الذي سمي سفيريس إحدى قصائده به هو أسلوب لكتابة القصائد استوحاه الشاعر الفرنسي الكبير فيكتور هوجو من الكتابات المايزية. وعلى ذلك، فإن سفيريس يقصد بهذا العنوان إنه يكتب قصيدته على نهج «قصائد البانثوم»، التي يكتبها شعراء مالايزيا، ومن بعدهم فيكتور هوجو.

على إنه لما هو جدير بالوقوف عنده أيضا ما عنون به سفيريس إحدى قصائده، وهي قصيدة «على طريقة ج. س»، فعندما يقال على طريقة فلان فذلك يعنى أن هناك احتذاء من جانب الكاتب لنهج كاتب آخر سبقه. ولكن عندما ما نتبين أن سفيريس عندما أشار في عنوان قصيدته إلى ج. س كان يعنى جورج سفيريس ومن ثم يكون عنوان القصيدة «على طريقة جورج سفيريس»، فإنه إنما يريد أن يقول بذلك إنه لا يحتذى بأحد فيما يكتب، وإن كانت أواصر الألفة بينه وبين شعراء كثيرين وطيدة*.

وعندما يقال فى هذه القصيدة «وإذا رأينا فى الطحالب موتى عالقين، فذلك لا يذكرنا فحسب باغاميمنون وهو يقول «إننا نرى البحر يزهر بالموتى»، بل وأيضا بمشاهد كثيرة فى مسرحيات الكاتب الأمريكى المعاصر يوجين أونيل (١٨٨٨ - ١٩٥٣) عن البحر، وعلى الأخص فى رائعته القصيرة «حيث وضعت علامة الصليب»**

(*) ما دمنا نتصدى فى هذا المقام لقصيدة جورج سفيريس على طريقة ج. س، فمن المفيد أن نشير إلى بعض ماورد فى نسيجها من أماكن فهناك إشارة إلى «بيليون» وهى سلسلة من الجبال فى ماغنيسيا الليسالية. ويقال إن الوحش الأسطورى المينوتور شيرون عاش على منحدرات تلك الجبال المكسوة بالأعشاب، كما أن ثمة إشارة إلى «سانتورينى»، ونحيل القارئ بشأنها إلى قصيدة «الأولاد العراة، أما «سبتيس» و «بوروس» و «ميكونوس» فهى جزر فى بحر ايحية يستحب السفر إليها وزيارتها.

أما «أومونيا» و «سينداغما» فهما اسمان لميدانين من أكبر ميادين أثينا. وفى اللغة اليونانية تعنى «أومونيا» الوئام والانسجام كما تعنى سينداغما الدستور.

وأخيرا فإن عمل اسخيلوس المشار إليه فى القصيدة هو مسرحية «اغاميمنون»

(**) راجع ترجمتنا الباكورة لهذه المسرحية تحت عنوان «سبع مسرحيات عن البحر» فى سلسلة المسرح العالمى التى - - كان يشرف على إصدارها فى القاهرة، الدكتور محمود اسماعيل المواقى قبل انتقاله إلى الكويت وإصداره السلسلة ذاتها من هناك.

واستكمالاً لما تقدم من مداخل لفن سفيريس الشعري، فإنه من المفيد أن نعود إلى استعراض دواوين هذا الشاعر في طبعاتها الأولى، وإن كنا قد فعلنا ذلك من قبل، ولكننا نضيف فيما يلي مزيداً من التفاصيل.

صدرت «نقطة التحول» باثينا في مايو ١٩٣١ من مائتي نسخة مرقمة. وصدرت «البحر» باثينا في أكتوبر ١٩٣٢ دون ذكر لاسم المؤلف ولكنها جاءت ممهورة بتوقيعه. وقد حملت خمسون نسخة منها أرقاماً مكتوبة بخط سفيريس. كما نشرت القصيدة فيما بعد بمجلة «نيا استيا» الأدبية ذاتعة الصيت في يناير ١٩٣٥ وصدرت «أسطورة التاريخ» باثينا في مارس ١٩٣٥ من مائة وخمسين نسخة مرقمة.

ونشرت «الأولاد العراة» بمجلة «الآداب الجديدة» في فبراير ١٩٣٦ ونشرت «كراسة التمارين» باثينا في مارس ١٩٤٠ من ٣٥٦ نسخة مرقمة وقد سبق لقصائد هذا الديوان أن نشرت في عدة مجلات من قبل. فقصيدة «بانتوم» نشرت بمجلة «نيا استيا» في ١٥ يناير ١٩٣٢ بعنوان «ليلة على الشاطئ» وأيضاً نشرت قصيدة «على لحن أجنبي» بذات المجلة في أول سبتمبر ١٩٣٢، كما نشرت «طريق سينجرو» ١٩٣٠، و«هامستيد» و«نيران القديس يوانيس» بمجلة الآداب الجديدة، السكندرية في مايو ١٩٣٥ تحت عنوان جامع هو «رسوم هامشية» كما أعطيت قصيدة «هامستيد» في ذلك النشر عنوان «مثل طائر....» ونشرت المجلة ذاتها بعدد أبريل ١٩٣٧ قصائد «عيد غطاس» ١٩٣٧، و«الغراب» و«العجوز» تحت عنوان جامع هو «رسوم ثلاثة» ثم نشرت بعدد أكتوبر ١٩٣٧ «السيد سترائيس ثالا سيتوس يصف إنساناً» أما «الثلاثاء» و«الأربعاء» من تعليقات على أيام الأسبوع

فقد نشرنا لأول مرة في ٢٩ فبراير ١٩٦٨ في فصلية ثقافية تصدر في ميلانو باللغتين اليونانية والإيطالية تحت عنوان «جورجيو سفيريس: تعليقات عن أيام الأسبوع، من ترجمة وتعليق فيليبو ماريا بونتاتي». وقد طبع من هذه النشرة ألف نسخة مرقمة. ثم أعيد نشر القصيدتين في أبريل ١٩٦٨ من مائة نسخة مرقمة أيضاً.

وفي تعليق لسفيريس على الطبعة الأولى من «كراسة التمارين، كتب يقول إنه إنما اختار لديوانه هذا العنوان ليكون ترجمة صادقة لما احتواه من قصائد لم تلق مكاناً في الدواوين التي سبق أن نشرها أو ربما أنجزها وأرجأ نشرها، ومن قصائد عابرة مهداة إلى نفر من الأصدقاء دون تفكير في النشر ساعة إهدائها، ومن بعض التدريبات الشعرية، قد يكون بعضها أكثر اكتمالاً في الشكل من غيرها. وتحت هذه الظروف، لا يكون لهذا الديوان - على حد قول سفيريس - من قيمة سوى ما لجهد متواصل متجه عبر سنوات إلى محاولة اتقان التعبير الشعري، وربما لن يسفر هذا العطاء في النهاية عن شيء سوى مادة تتيح للنقد أن يعمل فيه نقاشه.

وصدر ديوان «يوميات على سطح سفين (١)» بأثينا في أبريل ١٩٤٠ من ٣١٧ نسخة مرقمة. ولم تكن هذه الطبعة تتضمن قصيدة «اليوم الأخير، التي صدرت في نسخ معدودة موقعة من المؤلف دون أن تكون معدة للبيع. وكانت هذه القصيدة قد نشرت أول مرة بمجلة «الآداب الجديدة، بعدد يناير ١٩٤٤. كما كانت هذه المجلة قد نشرت بعدد أكتوبر - نوفمبر ١٩٣٨ قصائد «ماثيوس باسكاليس بين الورود، و «العودة من المنفى، و «صباح خريفى جميل، و «وشمسنا، و «بيازا سان نيقولو، و «فاصل من البهجة، و «ورقة من شجر الحور، وعادت «مجلة الآداب الجديدة، فنشرت «ربيع بعد الميلاد، و «صباح، و

«الملائكة بيضاء» و «قرار النسيان» بعدد يولييه - ديسمبر ١٩٣٩
أما قصيدة «ملك أسينه» فقد نشرت بمجلة «كتابات يونانية جديدة»
في ٢٧ يولييه ١٩٤٠.

وصدر ديوان «مذكرات على ظهر سفين» (٢)، بالاسكندرية
في صيف عام ١٩٤٤ من ٧٥ نسخة مرقمة ومصورة من
مخطوطات الشاعر وموقعه منه ومزينة برسوم بقلمه. ولم تتضمن
هذه الطبعة شديدة الخصوصية قصيدة «المحطة الأخيرة» بينما
تضمنت ترجمة سفيريس لعمل للورانس داريل بعنوان «ميثولوجيا
(ب)» وقد أعيد طبع هذا الديوان بعد استبعاد الترجمة المذكورة
واضافة قصيدة «المحطة الأخيرة» بأثينا ونشرته دار النشر إيكاروس
في ديسمبر ١٩٤٥ من ٣١٥ نسخة مرقمة. وقد تضمنت النسخ الثلاثة
والثلاثون الأولى صورة شخصية لسفيريس بريشة يانيس
تساروخيريس.

كما نشرت قصيدة «المحطة الأخيرة» من جديد في مجلة
«الكراسة» عدد مارس ١٩٤٧. أما «الطائر الغرد» فقد نشرتها دار
إيكاروس بأثينا في مارس ١٩٤٧ من ثلاثمائة نسخة موقعة.

ثم نشرت دار إيكاروس بأثينا في ديسمبر ١٩٥٥ ديوان
«مذكرات على ظهر سفين» (٣)، وذلك تحت عنوان «قبرص.. التي
اليها بعثت» وقد صدر هذا الديوان من ١٠٣٠ نسخة، وقد وقع المؤلف
النسخ الثلاثين الأولى منها، وتضمنت رسماً للرسام يورغيوس
صيقيليوتى، وقد سبق أن نشرت بعض قصائد هذا الديوان في
المجلات الأدبية، فقصيدة «سلامينا.. قبرص» نشرت بمجلة
«نياستيا» عدد ديسمبر ١٩٥٤، و«أغيانابا (أ)»، و«أغيانابا (ب)»،
و«ثلاثة أفراس» و«تفاصيل من قبرص» و«باسم الآلهة أدعوك»

نشرت بمجلة «الآداب القبرصية» بعدد سبتمبر - أكتوبر ١٩٥٤ ونشرت قصيدة «هيلين» بمجلة «نياستيا» في ١٥ أكتوبر ١٩٥٥، وفي عام ١٩٥٥ طبعت مطبعة بأثينا (هي مطبعة ميرتيزي) قصيدة «بائع جوال من سيدون» من خمسين نسخة دون ذكر أسم المؤلف على الطبعة وأن كانت القصيدة قد حملت توقيعه، وقد فعلت هذه المطبعة المثل بالنسبة لقصيدة «نيكيفورس الأنجلستري يتحدث» وطرحت الخمسين نسخة التي طبعتها منها للتداول دون ذكر اسم المؤلف اكتفاء بتوقيعه على قصيدته، كما نشرت «قطط القديس نيقولا» أول ما نشرت ضمن أعمال لكتاب آخرين بعنوان «ثمانية عشر موضوعاً» عن دار النشر كيزروس بأثينا في يولية ١٩٧٠ وأخيراً فقد نشرت «ثلاث قصائد كتبت في الخفاء» في ديسمبر ١٩٦٦ من ٢٠٥٠ نسخة موقعة.

وقد استقينا الإشارات التالية من مصادر عدة. كما أن بعض هذه الإشارات - التي نود أن نسميها بالمفاتيح - هي جهد خاص بنا وليس المقصود بها، على أى حال التفسير بل الإرشاد والتوجيه فحسب.

وبعض هذه الإشارات مستفادة مما كتبه سفيريس بنفسه عن قصائده، وبالأخص من هوامش على الطبعة السادسة من شعره (أثينا - نوفمبر ١٩٦٥)

كما أن بعض هذه الإشارات مستقى من إيضاحات الناقد اليونانى المعاصر جورج سافيديس، وبخاصة على قصائد ديوان سفيريس (مذكرات على ظهر سفين ٣)، وقد نشرت إيضاحات الأستاذ الجامعى الكبير سافيديس هذه فى طبعة مستقلة بعنوان «قراءة متأنية» (أثينا ١٩٦٢) وأيضاً ضمن مجموعة المقالات التى - لنقاد

عديدين بعنوان «من أجل سفيريس» (أثينا - ١٩٦١) وقد أشرف سافيديس نفسه على جمعها ونشرها.

ويقول سافيديس، الذى كان أيضا أستاذ الأدب اليونانى الحديث بجامعة أثينا، وجامعات أجنبية أخرى، إنه بالنسبة لتعليقاته وتفسيره لقصائد سفيريس التى ضمتها الطبعة السابعة عشرة للأعمال الشعرية الكاملة لسفيريس الصادرة عن دار النشر إيكاروس فى مايو ١٩٩٢ - بالنسبة لتلك التعليقات والتفسير اعتمد بالأخص على النسخة الشخصية للشاعر من الطبعة الخامسة لقصائده (يوليه ١٩٦٤) وما احتوته تلك الطبعة من تعليقات وهوامش لسفيريس نفسه على قصائده، كما اعتمد سافيديس أيضا فى تعليقاته وتفسيره تلك على انطباعاته وتكرياته التى استقاها من مناقشات وحوارات شفوية مع الشاعر الذى كانت تربطه به أواصر صداقة وطيدة مكنته من الاطلاع على كثير من مسودات قصائده وأصولها المودعة أدراج مكتبه ومن مقارنة هذه المسودات والأصول بعضها ببعض وعلى هدى من إيضاحات سيفيريس نفسه عن هذه الطبعة السابعة عشرة التى عهدت دار النشر إيكاروس إلى سافيديس بمراجعتها وتحقيقها، وعلى سبيل المثال، فقد أضاف إلى قصيدة سفيريس تعليقات على أسبوع ما كان ينقصها عن «يومى الثلاثاء والأربعاء» وبهذا اكتملت هذه القصيدة باكتمال تعليقات سفيريس عن أيام الأسبوع كلها.*

(*) ومن التعليقات على هذه القصيدة تشير إلى ما يأتى:

الاثنين:

ثمة إشارة إلى خطاب كسندرا قبيل دخولها القصر حيث سيتم اغتيالها (من مسرحية «أغاميمنون» لاسخيلوس) وثمة إشارة أخرى إلى خطاب كليتمينسترا الذى تبرر فيه اغتيال أغاميمنون لسيره على البساط الأرجوانى الذى يقود إلى القصر (من مسرحية أغاميمنون لاسخيلوس)

كما أدرج سافيديس في الطبعة السابعة عشرة المشار إليها
تصويبات لسيفريس نفسه على بعض قصائده مثل «البئر» و«خطاب
ماثيوبيا بسكالييس»، و«ستراتيس ثالاسينوس عند البحر الميت» وغيرها.

كما استعان سافيديس في تعليقاته وتحقيقاته لمحتويات الطبعة
المذكورة بملاحظات لمترجمي سيفريس، ومنهم والتريزر
وادموندكيلي وفيليبو ماريا بوتقاني وفيليب شيرارد وريكس وارنر.

- الثلاثاء

- السطور الأولى هي عنوان موال أمريكي شعبي.
- يرجع في البيت الثاني الى عبارة دومينيكوس ثيوتوكوبولوس (الجريكو) في مقدمة قصيدة البئر.
- في الحاكيات القديمة (الجراموفونات) كانت الإبرة تصنع من الصلب.
- في البيت السابع عشر وما بعده الشاعر المقصود هو ريليكه وقد قرأ سيفريس نص ريليكه مترجما الى الفرنسية بعنوان «شائعات العصور».
- البرورافانيلى مدرسة فى التصوير الانجليزى ترجع الى أواسط القرن التاسع عشر.
- ليفيارييميتى أسم خيالى لبطلات السينما الصامتة.

الأربعاء

- الليلالى البيضاء المشار اليها هي ليلالى يفترض أن يمر فيها المرء بحلم متصل وقد استغرقه نوم خفيف، ولعل سيفريس يقصد بها تلك الليلالى التى تهب فيها على اليونان الرياح الغربية (سافيديس) وثمة إحالة هنا الى «أسطورة التاريخ» (١٦) وثمة إحالة أخرى الى «أغاميمنون» لاسخيلوس.

الخميس

جلورياموندى اسم يطلق على من طبقت شهرته الآفاق

السبت

- ثمة إشارة الى نيسوس وهو الثور الذى سبب قميصه المسموم وفاة هيراكليس المروعة وقد أشير اليه أيضا فى قصائد أخرى مثل «ميكيليس» و«على طريقة ج. س».
- أما عبارة «ماعدنا نريد مزيدا من هذه الحياة» أواه! أواه، فهى من أغاميمنون لاسخيلوس، كما تذكرنا هذه العبارة أيضا بعبارة لصمويل بيكيت فى مسرحيته «باننطار جودو» حيث يقول البطل «كلا، كلا، هذه الحياة ماعدت أريدها».

ويضيف الناقد الكبير سافيديس أيضا أن سفيريس كان قد عهد إليه فيما مضى بمراجعة الطبقات الأولى لبعض أعماله وعلى الأخص الطبعة الثالثة لقصائده عام ١٩٦٢ .

كما رجعنا في شأن هذه الإشارات إلى بعض الدراسات التي نشرت عن سيفريس باليونانية والإنجليزية، بل وأيضا العربية.

ونخص بالإعزاز في هذا المقام مقالة باكرة للأستاذ الصديق نيقولا يوسف - رحمه الله - بعنوان «سفيريس، الشاعر اليوناني المعاصر التي نشرت بمجلة الآداب البيروتية بعدد الصادر في يونية ١٩٦٧ . ولعلها الدراسة الأولى التي صدرت بالعربية عن سفيريس الذي كان آنذاك بحاجة الى تعريف القارئ العربى به.

كما التقينا بالسيدة أماليا نيقولا ئيدس التي عملت في مطلع حياتها سكرتيرة للشاعر سيفريس عندما كان يعمل ملحقا صحفيا لليونان بالقاهرة إبان الحرب العالمية الثانية، وقد استمعنا إلى ذكرياتها عنه، وانطباعاتها عن كتاباته الباكرة، كما نعترف للسيدة أماليا نيقولا ئيدس بالفضل لمساعدتنا في فهم وترجمة بعض من قصائد سفيريس التي تضمنتها أعماله الشعرية الكاملة طبعة ١٩٩٢ .

وكان أيضا مما استندنا إليه في ترجمة الأعمال الشعرية لسفيريس الترجمة الإنجليزية التي قام بها آدموند كيلى وفيليب شيرارد والتي نشرتها عام ١٩٦٩ دار النشر اللدنية «جونثان كيب» . على أن هذه الترجمة لم تتضمن أعمال سفيريس الكاملة باعتراف المترجمين.

وجدير بالذكر أيضا ما يقوله شيرارد وكيلى عن القصائد الباكرة لسفيريس وهى قصائده فى الفترة من ١٩٢٤ إلى ١٩٥٣ ، من أن هذه القصائد المنغمة والمنظومة، قد لقيت الترجمة من جانبهما،

فيما عدا ثلاث قصائد امتنعا عن ترجمتها حيث لم يكن بإمكانهما -
على حد قولهما - أن يتوصلا الى ترجمة لها ترقى بها الى أن تدرج
في مجموعة القصائد المترجمة لسفيريس الى الإنجليزية، وهذه
القصائد الثلاث هي «تعقيب على الأحداث، وذكرى، وأغنية
شعبية» .

ولولا الحرص على الأمانة لأقدمنا بدورنا على المثل، وأقصينا
هذه القصائد عن ترجمتنا العربية «لأعمال سفيريس الكاملة، وإننا
على هذا الضوء نأمل أن يتلمس القارئ لنا العذر فيما بدت عليه هذه
القصائد بالعربية من ضعف، يكاد يصل بها إلى حد الانمحاء .

ويضيف المترجمان شيرارد وكيلى أنهما للاعتبارات المتقدمة
ذاتها أقصيا عن مجموعتهما قصيدة سفيريس اللاحقة «نيوفيتوس
الأنجلستري يتحدث» * أما نحن فقد استطعنا أن نقتنع بأن ترجمتنا
لهذه القصيدة قد تستطيع أن تقنع القارئ العربى بها، وتنقل اليه ما
قد يكون الشاعر اليونانى الكبير قد عنى أن يودعه قصيدته هذه .

* كان نيوفيتوس أحد الرهبان القبارصة عاش في القرن الثانى عشر الميلادى وقد
ترهب بدير فى بافوس بقبرص كان يسمى أنجلسترا وقد كتب هذا الراهب كثيرا وأرخ
لاحتلال ريتشارد قلب الأسد وصابيين آخرين لجزيرة قبرص عام ١١٩١ .

وفى العبارات الافتتاحية للقصيدة إشارة الى اسحاق دوكاس كومنينوس وكان
امبراطورا ضعيفا وغير شرعى على قبرص، كما أن ثمة إشارة أيضا الى صلاح الدين
الأيوبي سلطان مصر وسورية (١١٣٧ - ١١٩٣) الذى حطم الصليبيين فى معركة حطين .
ويسمى نيوفيتوس فى كتاباته ريتشارد قلب الأسد الوغد المحتال لأنه لم يقر على الصمود
فى وجه صلاح الدين، وكل ما فعله أن باع قبرص لصليبيين آخرين هم اللوزينيانين
(١١٩٢ - ١٤٨٩) .

وفى القصيدة إشارة الى القديس هيلاريون والى فاماغوستا الميناء القبرصى، وإلى
قلعتى بوفانيتر وكوتزو فيندى، وكل ذلك بأسمائها اللاتينية .

كما أن فى القصيدة استخداما طريفاً لببيت من مسرحية «عطيل» لشكسبير يقول فيه
«مرحبا بكم، يا سادة، قردة كنتم أوجديانا» .

وقد كان بإمكاننا من ذات المنطلق أن نقصى عن ترجمتنا هذه للأعمال الكاملة للشاعر سفيريس بعض القصائد الأخرى، منها على سبيل المثال قصيدة «سيارة»، و«صباح خريفى جميل»، وغيرهما. ولكننا التزاما بمعنى الترجمة الكاملة، وحفاظا على دلالة الأعمال الكاملة أبقينا فى ترجمتنا على قصائد سفيريس كلها أيا ما كان حكمنا عليها، وذلك ليدلى القارئ بدلوه فى تقييم هذه القصائد، فهذه ترجمة للأعمال الكاملة وليس لمختارات منها فحسب. وفى هذا المقام أذكر نصيحة لصديق كبير عندما أقدمت على نشر الأعمال الكاملة لكافافيس من قبل، وقد أقضيت له بأننى لا أرتاح إلى بعض قصائد هذا الشاعر، فأجابنى بهدوء لا يخلو من استنكار أننا إزاء شاعر كبير مثل كافافيس - ويصدق القول ذاته على سفيريس - ليس من حقنا أن نمتنع عن ترجمة هذه أو تلك من قصائده لمجرد أنها لا تروق لنا، ذلك أن الشعراء الذين دخلوا التاريخ، أ - قصائدهم كلها ملكا للتاريخ، وليس للمترجم إلا أن ينصاع لإملاءات التاريخ، وقد اقتنعت تماما منذ ذلك الحين بصدق نصيحة صديقى نواقة الشعر الكبير.

ربما أوضحنا فيما تقدم الخطوط العريضة فى فن سفيريس والدروب التى سلكها للتعبير الشعرى، موازنا فيه بين الأصالة والمعاصرة، بين التراث وتيارات الحداثة، بين النبض القومى ورياح العالمية العاتية.

الفصل الثاني : مفاتيح

ولم يبق أمامنا الآن إلا أن نلقى نظرة تحليلية عن كتب لعطاء
سفيريس الذى تضمنته «أعماله الشعرية، الكاملة وسوف نقوم بذلك
من خلال ثلاثة مفاتيح فى شعر سفيريس هى:

١ الأماكن، ب الأيام والأزمان، ج الأشخاص

أولا : الأماكن

إن المخيلة الإبداعية لسفيريس شديدة الارتباط بالمكان. وتلعب
بعض الأماكن التى تواجد بها عبر مسيرته الإنسانية والفنية دورا
ملحوظا فى تشكيل قصائده، فتراه يعنى فى كثير من الأحيان بإثبات

ليس فحسب تاريخ كتابة القصيدة بل أيضا المكان الذي كتبها فيها، كما أن بعض تلك الأماكن يرقى الى عنوان القصيدة فتستمد عنوانها من المكان المذكور.

وعلى سبيل المثال نجد إحدى قصائده الباكرة تحمل عنوان «شارع كيرت، أوست، بريتوريا، ترانسفال، وهذا هو المحل الذي اتخذته لنفسه مسكنا إبان عمله سكرتيرا للسفارة اليونانية في بريتوريا بجنوب أفريقيا عامي ١٩٤١ و ١٩٤٢ ومن هناك نقل الى القاهرة حيث عمل رئيسا للمكتب الصحفي لحكومة اليونان بالمنفى.

كما تحمل إحدى قصائده عنوان «ميدان سان نيكولو، وهو النطق الإيطالي لاسم الميدان المعروف ميدان سان نيقولا في روما وهذه القصيدة من القصائد الواردة في ديوانه «مذكرات من على سطح سفين»^(١)، وهذا العنوان بدوره يشير الى مكان كتابة قصائد هذا الديوان وهو سطح سفين.

في ديوانه الباكر «كراسة التمارين، (أثينا ١٩٤٠) قصيدة «طريق سينجرو - ١٩٣٠، وقد اكتشف صديق سفيريس الأديب اليوناني الكبير جورج ثيوتوكا (١٩٠٥ - ١٩٦٦) الذي كان أيضا واحدا من الذين تحمسوا مبكرا لموهبته الشعرية - اكتشف منذ أعماله الباكرة «عبقرية المكان، المسمى ميدان سينجرو أو طريق سينجرو؛ وعلى الأخص في كتابه «الروح الحر، عام ١٩٢٩، وقد اعتبر ثيوتوكا «هذا المكان، رمزا للحقبة الجديدة التي على جيله أن يأخذ على عاتقه

التعبير عنها. وهذا الطريق، الذى كان أرحب طرق أثينا آنذاك، ينزل من معبد زيوس الى البحر الذى يقول عنه سفيريس فى قصيدته «كلمة عن الصيف، إنه يطهر أرواحنا من خطاياها،* وقد كان جورج ثيوتوكا قد كتب فى مؤلفه «الروح الحر، المشار إليه يقول عن طريق سينجرو إنه ينساب ليل نهار منحدرًا الى شاطئ فاليريون، مثل قصيدة تبحث عن شعراء جمورين يتبنون إيقاعاتها الوليدة والتي لازالت مضمرة.

وحتى الحرب العالمية الثانية كان هناك كشك لأغراض الرسم على المركبات النازلة الى طريق سينجرو وهذا ما تشير إليه القصيدة فى بيت من أبياتها، كما تتضمن القصيدة اشارة الى أعمدة أدريانوس ودعائم هيكل آلهة الأوليمب. وهكذا جمعت قصيدة «طريق سينجرو ١٩٣٠، بين القديم والجديد، الماضى والحاضر فى صياغة متشابكة مغزولة بيد فنان ماهر آلى على نفسه أن يعبر عن الروح التى يومئ اليها طريق سينجرو، والذى دعا ثيوتوكا الذى كان طليعيا وقوميا شعراء جيله - وبالأخص سفيريس - الى تبنى إيقاعات تلك القصيدة التى تنساب عبر طريق سينجرو، من الأكروبول الى البحر، مما هو رمز للوصال الحميم بين الماضى التليد والحاضر الرايض المتريص.

* وقد كان المترجم شرف الالتقاء بأعمال ثيوتوكا مبكرا، وراسله، وترجم مسرحيته البديعة «جسر آرتا، إلى العربية. وقد نشرت ضمن سلسلة المسرح العالمى بإشراف الدكتور إسماعيل المرافى (رحمه الله) الذى أعطاها اسم «الامن للفادح، وقد تحمس لها المخرج الفنان سمير العصفورى وقدمها على «خشبة المسرح العالمى، بالقاهرة فى أكتوبر- نوفمبر ١٩٦٦ من تمثيل حمدى غيث ونادية رشاد وآخرين ولهذه المسرحية مقدمة صافية أوضح فيها المترجم بعض الجوانب من حياة وإبداعات ثيوتوكا.

وحتى فى القصائد التى لا تنتمى عناوينها لأماكن سواء أسطورية أو تاريخية أو واقعية، لا يخلو نسيجها من إشارات لأماكن سواء أسطورية مثل هادس أو الجحيم (رفاق فى الجحيم) أو تاريخية مثل أسينة (ملك أسينة) وكوتسوفيندى وبوفانتيو (ثلاثة أفراس) أو واقعية مثل سانتورينى ومكينيس (الأولاد العراة) وهاستيد (خمس قصائد لستراتيس ثالاسينوس) والبحر الميت (ستراتيس ثالاسينوس عند البحر الميت) و الشرق الأوسط (الشرق الأوسط - الممثلون) ولا رناكا (ثلاثة أفراس)، ومن هذه الأماكن الواقعية مالا يحدد اسمه أو عنوانه وإنما تحدده مواصفاته الطبيعية أو ماشابه ذلك، مثل «كهوف البحر» (رسوم سريعة لفصل الصيف) والبيت إلى جوار البحر (الطائر الغرد) وشاطئ النهر (عجوز على الشاطئ).

على أن من أكثر الأماكن ظهوراً فى قصائد سفيريس، بل وفى عناوينها أيضاً، مدناً وبلدانا تنتمى إلى قبرص مثل أجيانابا، وانجومي، وكيرينيا، وسلامينا، ودير القديس نيقولا ويشير الشاعر إلى هذه الأماكن لاعتبارات شتى، منها جمالها الطبيعي من جبل وشجر وبحر، أو إيماءاتها التاريخية مثل احتوائها لمواقع حربية أو بحرية جرت فيها قديماً، أو لمراكز لديانات وان دالت واندثرت إلا أنه لازال لها مقامها فى المسار الإنسانى.

أما أنجومي، التى كرس لها سفيريس قصيدة بهذا العنوان فى ديوانه «مذكرات على سطح سفين (٣)، الصادر فى ايتنا عام ١٩٥٥، فهى قرية فى الشمال الغربى من فاما جوستا بقبرص، وان كان سفيريس فى قصيدته يكسوها بغلاف من الإيماءات إلى أساطير تاريخ قديم مبهم المعالم، شديد الإيحاء ومحركاً للعواطف.

وكذلك فان «اغيانابا» بلد إلى جنوب قاماغوستا بقبرص. وقد كرس لها سفيريس قصيدتين هما «اغيانابا (١)»، و«اغيانابا (٢)»، بديواته «مذكرات على ظهر سفين (٣)»، سالف الإشارة إليه. وقد حفل هذا الديوان بقصائد من قبرص التي تحمس لها سفيريس منذ أن زارها أول مرة في أخريات خريف عام ١٩٥٣. ويقول إن قصائد هذا الديوان - فيما عدا قصيدتين هما «ذكرى (١)»، و«ذكرى (٢)»، استلهمها من رحلته إلى تلك الجزيرة. ولم تكن رحلته إلى قبرص هذه مجرد زيارة عادية مما يقوم بها أناس عاديون، بل كانت بالنسبة له - على حد قوله - «اكتشافا لعالم، ورؤيا جديدة، وقد عاد سفيريس إلى زيارة قبرص عام ١٩٥٤ ثم عام ١٩٥٥ ويقول «وأنا أكتب هذه القصائد في بيت من بيوت العز القديم بفاروسى لا يكاد ينفصل عن البحر الزمردى المترامى من حوله، أحسست بمشاعرى تصفو صفاء البالور، وأصبحت منذ ذلك الحين أكثر ألفة بالجزيرة، وأشد التصاقا بأهلها. ورحت أفكر أنه إذا كنت قد وجدت في الجزيرة كل هذه السعادة، فلأن هذه الجزيرة قد ملحتنى نفسها، وأعطتنى كل مألديها أن تعطينى، وما كان بالإمكان أن يتبخر هذا العطاء أو يذهب هباء في إطار الجزيرة الضيق، الذى يحتم عليك الحفاظ على ما أعطيت، على نحو لا يحدث في عواصم الدنيا الكبرى. وإنه لمن الغريب أن يكون بالإمكان أن أقول، في عصر مثل هذا الذى نعيش فيه، إن قبرص لازالت أرضا للمعجزات، وإن الإحساس بإمكان حدوثها لازال في أرجاء الجزيرة يسرى».

وفى قصيدة «تفاصيل عن قبرص»، يلفت سفيريس أنظارنا إلى ضرب من ضروب الفن الشعبى فى هذا المكان. ويقول الشاعر إن الذى أرشده إلى هذا الفن الذى كاد أن ينقرض ويطويه النسيان بعض من شيوخ الجزيرة الذين أوغلوا فى السن كثيرا وأدركوا ممارسات هذا الفن الشعبى فى سالف الأوان أيام شبابهم.

هذا الفن أو هذه الصناعة الشعبىة القبرصية القديمة التى يمارسها القرويون فى الجزيرة هى صناعة تزيين وزخرفة القرع العسلى، فقد ألغوا إفراغ ثمار القرع العسلى من محتواه، وتجفيفه، ثم استخدامه آنية يجرون عليها رسوما وزخارف وتلاوين، يبدعون من خلالها فنا شعبيا كاد أن ينقرض من الجزيرة، ويصورون على هذه الآنية شخصيات أسطورية وأحداث بطولية، تحمل طابعا قبرصيا متميز الأسلوب والأداء.

كما تصور قصيدة «تفاصيل من قبرص»، بعض مشاهد العذاب فى الجحيم، تجلت على تصاوير حائطية بيزنطية فى أديرة وكنائس قبرصية. ثم يستطرد الشاعر فى هذا المقام إلى الحديث عن الدودة التى لا تهمد ولا تنام، وهى رمز من رموز الجحيم فى تلك التصاوير الدينية.*

* ويشير سفيريس بالأخص فى القصيدة إلى «دير القديس ماما»، وهو دير لقديس حظى من أهل الجزيرة بالتبجيل والاحترام على أننا رأينا إغفال ذكر اسم الدير فى ترجمتنا للقصيدة، حيث إن هذا الاسم لا يضيف شيئا للقارئ العربى.

وإذا انتقلنا إلى مكان آخر من أماكن قبرص لقي انشغالا من
سفيريس واستقر اسمه في عنوان القصيدة ذاته، فهو «دير القديس
نيقولا، أو ربما أمكن تسميته «دير القطط، وقد لعب هذا الدير ورهباته
دورا حاسما في مصير الجزيرة. ولفهم ما نقول نقرأ ما كتبه الرحالة
الفرنسي إتين دي لوزينيان في مؤلفه «وصف شامل للجزيرة
القبرصية، الذي نشر في باريس عام ١٥٨٠ (وله نسخة مصورة عام
١٩٦٨ محفوظة في فاماغوستا) حيث يقول: أمر أول دوق ولى
جزيرة قبرص بإنشاء دير للرهبان باسم القديس نيقولا، ويتولى إدارته
رهبان القديس باسيليوس، وقد علفت الهبة التي منحت لذلك الدير
على شرط مؤداه أن يطعم الرهبان مائة قط على الأقل كل يوم،
وذلك بإعطائها قليلا من اللحم مرتين صباح ومساء . فكان الرهبان
يدقون في كل مرة جرسا صغيرا فتأتى القطط لتناول اللحم، وذلك
حتى لا يقتصر القطط على التهام الثعابين المنتشرة في أرجاء
الجزيرة، فيسرى سمها الزعاف في أوصالها يوما بعد يوما فتموت.
وقد تحقق بفضل هذه القطط ودير القديس نيقولا المذكور خلاص
الجزيرة من الأفاعى السامة التي كانت الحياة بسببها على الجزيرة
أمرا مستحيلا. وقد أورد سفيريس هذه الملاحظة التاريخية بقصيدته
منذ الطبعة الأولى لديوانه «مذكرات من على سطح سفين (٣)،
وحتى في سنيها هذه لا زال الدير يتولى إطعام أربعين قطا كل يوم،
ولهذا فإنه يطلق على الكهف الذى شيد الدير عنده «كهف القطط» .

على أن سفيريس يعمد في قصيدته إلى إضافة جديدة لإجراء
الحوار عن شئون هذه الجزيرة، وكيف تخلصت من كارثة الأفاعى

السامة، فيلمح في بعض أبيات قصيدته إلى القبطان الشاعر ديمتري أندونيو مصوراً أياه يقود سفينته باتجاه شاطئ خال من كل نسمة «باتجاه الغرب، المكان الذى فى سالف الأزمان أنجب الموج فيه أفروديت، ويعنى بذلك قبرص، التى تروى الأساطير ان أفروديت جاءت إلى الحياة فى مياهها، وخرجت هناك كما هو معروف من محارة كبيرة بيضاء تفتحت فى ضياء الشمس فجر يوم من أيام الزمن القديم.

ويحدث الريان الشاعر صديقه سفيريس قائلاً «غريب أمر هذا الرنين، ولا زال الوقت نهارا. يذكرنى بذلك الرنين الآخر، من جرس الدير القديم، ويشرع يحكى له قصة «دير القطط، والقصة رواها إلى سفيريس فى الواقع واحد من الرهبان، وصفه سفيريس بأنه كان شبه مجنون، يحيا غارقا فى الأحلام.

كما أن سفيريس قد اختار لافتتاحية قصيدته أبياتا لاغاميمنون، ترجمها الشاعر اليونانى الكبير يانيس غريبارس (١٨٧١ - ١٩٤٢) إلى اللغة اليونانية الحديثة وتجرى بالآتى «ومع ذلك - فإن قلبى يغنى بداخلى بلا قيثار يصاحب الغناء . أنا إلهة العقاب، لم يحدث لأحد أن علمنى البكاء. ومع ذلك - واسفاه! ضاع منى ما للأمل الحلو من مضاء».

وقصيدة «على مشارف كيرينيا» - الواردة فى مذكرات على سطح سفين (٣) - هى بدورها من القصائد القبرصية. وأما عن كيرينيا فقد كانت مشارفها أو ضواحيها منتجعا يؤمه على الأخص لفيف كبير من أرباب المعاشات الإنجليز. وقد نقل عن أحد المرشدين

السياحيين الإنجليز قوله إن كيرينيا القبرصية هي المكان الأمثل على شواطئ البحر الأبيض لأولئك الناس، وذلك رغم أن هذا العالم ليس عالمهم بل هو عالم هوميروس، ويردد ذلك سفيريس ذاته في بعض أبيات في قصيدته. كما كان عام ١٩٢٦ عام البطالة الكبرى في إنجلترا مما كانت معه كيرينيا هذه برخص أسعارها منتجعا نموذجيا لأرباب المعاشات الإنجليز ذوي الدخل المحدود.

وإذا ذكرت الأماكن، في شعر سفيريس، فإن سلامينا تحتل مقاما ذا دلالة بين هذه الأماكن، ذلك أن هذه المدينة الساحلية القديمة وقعت في مياهها معركة بحرية رهيبة، كانت في تاريخ الإغريق حاسمة. ففي سالف الأزمان استطاع الإغريق في معركة سلامينا البحرية أن يلحقوا بالفرس الغزاة هزيمة ساحقة، وأن يبيدوا سفن أساطيلهم عن بكرة أبيها. وفي الكلمات الافتتاحية لقصيدة سفيريس سلامينا.. قبرص، يستعير سفيريس عن أسخيلوس قوله في مسرحية الفرس، يصف النهاية التعسة والهزيمة المنكرة التي لقيها الفرس ألد أعداء الإغريق في معركة سلامينا البحرية سلامينا، أضحت اليوم (للفرس) مبعثا للأحزان.

وكعادته يعود سفيريس، ويمزج في قصيدته هذا القول القديم عن معركة سلامينا الضارية بما قرأه في صحيفة من صحف جنوب أفريقيا حيث كان يقيم (سبتمبر ١٩٤١) من كلمات، أشبه بترنيمة صلاة، أعدها نائب القبطان اللورد هيو بيرسفورد (الذي مات فيما بعد في معركة كريت إبان الحرب العالمية الثانية) لتدشين سفينته حيث يقول «أيها الرب، يا أبانا الحبيب، ساعدنا ألا ننسى الأسباب

الحقيقية للحروب، وهى عدم الشرف، والجشع، والأنانية، ونقصان الحب، وأن تقصى هذه الأسباب عن هذه السفينة، كي تصبح نموذجا للعالم الجديد الذى نحارب من أجله..

وفى العبارات المستقاة من الأبيات التى ينشدها الكورس فى مسرحية «الفرس»، مذكرا الفرس ذوى البأس والجبروت تحت إمرة ملكهم داريوس الذى لا يرحم ولا يلين، باكيا على الخراب الذى أوقعته بهم هزيمتهم فى معركة سلامينا - فى هذه العبارات يدس سفيريس بعض الآيات من إصحاح المزامير (مزامير داود) من «العهد القديم»، ليخلص إلى عجيبة شعرية خاصة به تماما، سوف يستخدمها على إثر زيارته فى خريف عام ١٩٥٣ لقبرص «قبرص التى صدر مرسوم من أبوللو بأن أحيا فيها...» * استخداما رمزيا ليومئ إلى احتمالات قيام حرب ضروس بسبب قبرص بين اليونان التى تنتمى إليها الجزيرة انتماء عميق الجذور وبين جارتها الشرقية، وعندئذ يحذر سفيريس فى قصيدته (شديدة الإغراق فى الرموز رغم وضوحها على أى حال) من أن تكون قبرص لأعداء اليونان سلامينا جديدة. وإذا كانت سلامينا القديمة قد جرت الويلات على الفرس الغزاة فى سالف الأزمان، فإن سلامينا الجديدة قد تجر على من يريدون أن يؤدوا اليوم دور الفرس القديم خرابا ما بعده خراب، وعندئذ سوف يبكى الكورس هؤلاء الغزاة الجدد كما بكى من قبل فى

* انظر الكلمات الافتتاحية لديوان «مذكرات على سطح سفينة (٣)»، الذى أهده الشاعر إلى «أهل قبرص تذكارا وحباً».

مسرحية أسخيلوس الهزيمة المنكرة التي لقيها الفرس في معركة
سلامينا ** .

بقى أن نلفت النظر في هذا الخصوص إلى ورود ذكر لسلامينا
من قبل في قصيدة سفيريس «هيلين، حيث ينقل سفيريس في الكلمات
الافتتاحية لهذه القصيدة قول تيكروس - في مسرحية ليوروبيديس
هيلين: .. في قبرص هذه المحاصرة بالبحر، حيث صدر الأمر من
أبوللو بأن اتخذها مقاما، معطيا المكان الذي سوف أقيم به اسم
سلامينا كتذكار للجزيرة وطني الأم.

ثانيا. الأيام والأزمان

في عطاء سفيريس الشعرى مجموعة من القصائد يمكن أن
يطلق عليها «الأيام، ومجموعة أخرى يمكن أن يطلق عليها
«الأزمان». و«الأيام، و«الأزمان، تصنع سفيريس أمام وضع الإنسان
ومسيرته على ذلك الدرب الطويل الممتد عبر ضباب يجعل التساؤل
عن دور «الذاكرة، وفعاليتها في الربط بين «القديم، والجديد وأردا،
وذلك لو كان هناك «قديم، و«جديد، حقا، وكان «الماضي و«الحاضر،
و«المستقبل، وجود فعلا.

** وأيا ما كان الموقف السياسى الذى يتبناه سيفيريس فى قصيدته «سلامينا.. قبرص،
فهذا الموقف لا يعطينا فى مقام هذه الدراسة، بل الذى يعطينا هو اللهج الذى استخدم
سفيريس فنه الشعرى كثيرا لربط التراث الاغريقى بقضايا وطنه المعاصرة دون
الانتقاص من قيمة الفن فى شعره، ودون اتخاذه مجرد مطية لما هو خارج عن جوهر
الشعر كفن.

وفى قصيدة «البئر» أو «المستودع» أو «سحارة المياه الجوفية» لو أردنا أن نتطرق إلى ترجمات لعنوان القصيدة أكثر تقريبا لمضمونها ودلالاتها إلى ذهن القارئ وحاسته الشعرية - فى قصيدة البئر يحاول سفيريس أن يعطينا مدلولاً للزمن لا أمس فيه ولا غد. ويشدد سفيريس فى قصيدته على أن «الأمل» هو ما يجعل الماء الساكن يدب فيه الموج. فيمضى قدما إلى ما يمكن أن يوصف بالمستقبل، ومن ثم تاركا وراءه «الحاضر» الذى أضحى بفعل الحركة «ماضيا» بدوره. فى «البئر» إذن صورة مذهلة للزمن الساكن، زمن أقصى عنه كل فرح أو ألم أو حزن. «هنا بئر فى التراب موغل الجذور. جب من الماء الخفى تجمع مثل كلوز.. والنجوم بمنأى عن الامتزاج بخفقات قلبه. كل نهار يطلع، ينفث نور، ثم ينغلق، ولا يتسنى له أن يلمسه. العالم من فوقه يرفرف بلا رجاء. تضىء وجوه. تلمع لحظة. ثم فى ظلمة الابنوس تموت، يقترب الغسق مثل عابر سبيل. ثم يهبط الليل، ومن بعده القبر يجىء..»

«تنقضى الأزمان - بل أنها بالفعل انقضت - والشموس والأقمار أيضا انقضت. بينما البئر تجمدت مثل مرآة..»

إذن ما هو زمن لا امتداد له، لا بداية له ولا نهاية. زمن ساكن رهيب، يترقب، ولا يفعل شيئا سوى أن يترقب. ماذا يترقب؟ بعيون مفتوحة يترقب غرق شيطان البحر الذى يمدد بزاده من المياه. هذا زمن البئر، ليل لا يأمل فى فجر. وهكذا البئر، مثل روح حر، يعلمنا الصمت فى المدينة الممتدة من فوقه - فى المدينة مشتتة الأوار، دون أن يدري أهلها - سوى الشعراء منهم - بوجوده..

«إلى التراب ينحني جسد الإنسان، كي يبقى الحب الظمآن،
نحتا من الرخام تحقق بلمس الأزمان، ويسقط التمثال عاريا في
الحضن المعطاء، ويرفق يهون عليه هذا الحضن يهون الأحران».

وهكذا نلمح فرقا جوهريا بين زمن التماثيل وزمن الإنسان.
ويمضى بنا سفيريس بعيدا عن «زمن الانسان»، مدركا أن هناك أيضا
زمننا آخر، ربما كان أكثر شاعرية، هو «زمن الطبيعة، أو زمن
الأكوان».

ونستطيع أن نلتقى بذلك «الزمن السرمدى» الذى ليس هو زمن
الانسان، وإن كان من سعادة الإنسان بل ومن تعاسته أيضا أن يدرك
ذلك العالم الذى ليس منه ولا له - نلتقى بذلك الزمن السرمدى من
جديد فى قصيدة «كلمة حب» التى يبدأها سفيريس بكلمة للشاعر
بيندار يقول فيها إن من الناس من يثبتون أنظارهم على أشياء بعيدة
المال، ومن هذه الأشياء بعيدة المال ذلك الزمن السرمدى، فيجدون
فى طلب ما فى مثل هذا الزمن السرمدى من آمال، قد تكون ضريبا
من المحال. ولنسمع سفيريس فى قصيدته هذه، قصيدة «كلمة حب»،
يقول «أسرار البحر على الشيطان تنسى. وعلى الزبد ظلمة القاع.
وفجأة يومض مرجان الذكرى ببريق الأرجوان... آه، أيتها الرعشة
المظلمة عند الجذور وفى الأوراق، لو كنت أنت التى ستعيدى الفجر
المنسى يوما. لو تزهى فى حقل الفراق زنابق من جديد. وتصبح
الروح نقية سطورها مثل أغنية مزمار.. يا أيتها الرعشة المظلمة عند
الجذور والأوراق، انفضى النعاس عن عينيك. شددى قامتك، وتقدمى
إلى حيث الصمت الكثيف.. يمر الزمان بالناس أملس رخوا، ويغمر

الألم جنبات الروح ويفيض بلا روية. يشق الفجر أديم السماء، ويظل
الحلم منيهما بلا هوية. أسمع كما فى محارة نواح العالم المضطرب.
مجرد لحظات ويختفى كل هذا...

ولنتأمل زمن ثعبانين جميلين متباعدين، للفراق هما قرنا
استشعار. يزحفان، يبحث كل منهم عن الآخر، فى ليل الأشجار، من
أجل حب سرى فى مكان خافية عن الأنظار. ساهران، يبحثان كل
منهما عن الآخر فى دأب، ولا يقربان لا ماء ولا طعام. يدوران
ويتلويان، يغزل عزمهما الذى لا يلين، خيوطا يكثرها، يلفها أسورة
يطوق بها الجسد الذى تحكمه فى صمت قوانين القبة العامرة
بالنجوم، ويتحرك فى الكيان خبالا حارقا لا رادع له. ولكن ما هو
الشاعر ينتهى إلى الشك الذى لا براء منه ولا فرار إزاء كل زمن لا
إنسانى فيقول مختتما قصيدته «كلمة حب، ربما ما كان ثعبانا الفراق
قد دارا إلا فى المخيلة. (الغابة تتلأأ بالطير، والغدران والزهور
المتفتحة) ربما لازال بحثهما المتماوج ماضيا، مثل دوران الأقلاك
المورث للشجن.

بأى زمن يحسب دوران الأقلاك؟ بأى زمن يحسب سلطان
«الفريزة، الأبدى على الكائنات مثل الحيات فى الغابة وأى زمن ذاك
الذى يورث الشجن؟

لقد كان «لدلالات الزمن، تأثيرها على المعالجات الفنية فى
مجالات الأدب المختلفة، وكما تعددت معالجات الزمن فى الرواية
الحديثة، تعددت معالجاته أيضا فى الشعر الحديث، فكل تعبير أدبى لا
يقتل من ضرورة التصدى لدلالة الزمن.

وقد كان سفيريس، باعتباره على الأخص قد فتح نافذته على مصراعيها لرياح الأدب الحديث من شعر حر، ورمزية ومونولوج داخلي - بحاجة إلى تأمل دلالة الزمن في أعماله الشعرية.

وبعد أن رأينا «الزمن السرمدى» في «البئر» وكلمة حب، نقف عند قصيدة سفيريس «أسطورة التاريخ» لنستخلص منها بعض الدلالات في هذا المقام، ونكشف لديه «زمن الأسطورة».

وكلمة «ميثيستوريماء» التي هي عنوان القصيدة باليونانية تعنى - كما سبق أن قلنا في هذه اللغة «رواية». على أنه لما كانت هذه الكلمة مكونة من مقطعين الأول «ميثى» ويعنى الأساطير أو الأسطورة و الثانى «ستوريماء» وتعنى «التاريخ»، فعنوان هذه القصيدة وإن كنا قد ترجمناه «أسطورة التاريخ» إلا أنه يمكن أن يترجم أيضا «برواية». وإذا توقفنا عند القصيدة بهذا العنوان فسوف نجد سفيريس يمارس فيها نوعا من «الرواية» كتبت على أى حال لتفى باحتياجات «التعبير الشعرى».

وسوف يلمس المتأمل لهذه «القصيدة - الرواية» نوعا من الأداء الروائى يسرى برهافة فى مقاطعها الأربعة والعشرين. لكنه على أى حال، أداء شديد الخصوصية رغم أنه قائم على نقاط ارتكاز ليست مجهولة لقارئ أوديسية هوميروس التى استقى منها سفيريس قصيدته.

ويتضمن المقطع الأول من «الرواية» ما يشبه المدخل أو الافتتاحية حيث تقول أبياتها الأولى «الملاك، انتظرناه ثلاث سنوات،

مترقبين شاخصين إلى النجوم... كنا نبحث عن البذرة الأولى كي تعود المأساة القديمة فتبدأ من جديد...، ويتضمن المقطع الرابع والعشرين كلمات هي خير ختام للرواية إذ تقول أبيات في هذا المقطع «هنا، تنتهى أعمال البحر، أعمال الحب. أولئك الذين سيحيون يوما هنا حيث انتهينا.. عليهم لا ينسوننا، نحن الأرواح الضعيفة الراقدة بين الحشائش... فنحن الذين لم نكن نملك شيئا سنعلمهم السكينة».

وبين «المقطع الافتتاحي»، و«المقطع الختامي»، تترى أحداث وشخص وأماكن يخبرنا بها سفيريس، صاحب الرواية، ليس بطريقة السرد العادي، بل بطريقة «انتقائية»، تتحكم في إفرازها وترتيبها قريحة مبدعة متوقدة، ربما توخت في ذلك أيضا متطلبات فنان اكتوى بمعاينة وضع اليونان في العصور الحديثة. وقال عن ذلك «إن قدر الإنسان اليوناني، بل والإنسان بصفة عامة، قدر جد مأساوي، يلفه الأسى، ولكنه ليس في الواقع التاريخي سوى حدث قاس في أوديسية أكثر ضراوة من الأوديسية القديمة».

ثالثا: الشخصيات

قصائد سفيريس مليئة بالشخصيات، وبعض هذه الشخصيات أسطورية، وهي على أي حال قلما تذكر لذاتها بل تستخدم للأنباء بتواصل الأزمان، وأن هذه الشخصيات مازال لها وجود حتى اليوم، وإن تجردت من غلافها الأسطوري، وصارت بشرا تسير إلى جوار العاديين منهم جنبا إلى جنب.

ولنذكر من هذه الشخصيات فى هذا المقام «ملك أسينه» الذى قد يكون له وجود تاريخى، ولكنه لتضائل ما بقى لدينا من خيوط توصل إلى الاستحواذ على وجوده التاريخى، فقد خيم عليه الغموض الذى يضفى على وجوده شاعرية تسمح أيضا بالاستغراق فى تأملها من منطلقات رمزية تقربها من حقائق معاصرة، مهما بعدت الشقة بينها وبين هذه الحقائق تاريخيا.

فملك أسينه هذا لم يرد له ذكر سوى فى بضع كلمات معدودة لهوميروس فى الأدونيسية وظل اسمه مغمورا يكاد يطويه النسيان إلى أن كشفت حفريات مايين عامى ١٩٢٢ و ١٩٢٦ عن قلعة مطمورة فى مياه البحر بالقرب من إبيذافروس حيث تقع أسينه.

ويملاً سفيريس عملية البحث عن بقايا ذلك الميناء القديم، أسينة، بالحنين إلى وجود له قيمة بدلا من حياة نحيائها الآن بلا وزن، منكسين مثل أغصان صفصافة مكومة فى ظل يأس مقيم. وهذا هو أمل شاعر اليونان فى أن تنفض بلاده عن كاهلها خمولها فى العصور الحديثة لتكتسب ما كان لها فى سالف أيامها من أمجاد ورفعة. ومن أغوار الكهف يندفع وطواط مذعور، ارتطم بالضياء مثلما يرتطم بالدرع رمح. ويعلو هتاف اليونانيين المحدثين جميعا مفعما بالرجاء «الأسينى، هل بالإمكان أن يكون هذا ملك أسينه الذى نبحت عنه بكل حرص فى هذا الأكروبول، وقد لمست أصابعنا بعض الأحيان على الأحجار لمستته؟»

وهكذا يستخدم سفيريس ملك أسينه استخداما يتجاوز موضعه التاريخى، ويجعل منه رمزا لرجاء قومى فى بعث الأمجاد الهلينية القديمة.

ومن شخصيات سفيريس أيضا «هيليني، أو «هيلين». وفي قصيدته التي تحمل اسمها يورد سفيريس في العبارة الافتتاحية أبياتا ليوروبيديس أجرى عليها تحويرا خفيفا. وهذه الأبيات تحكى عن تيفكروس أشهر رماة القوس في حرب طروادة. وعندما عاد تيفكروس إلى وطنه سلامينا حمله أبوه مسئولية انتحار أخيه إينياس، وطرده من سلامينا، فأرسله أبولون إلى قبرص ليشيد هناك سلامينا جديدة.

وفي طريقه إلى قبرص التقى تيفكروس - على حد قول يوروبيديس - في مصر بهيلين التي تخبره أن باريس إنما خطف شبحها، أما هي نفسها فقد قام هيرميس بنقلها إلى فناء قصر بروتئوس حيث أقامت طوال حرب طروادة.

وتفترض قصيدة «هيلين، ما افترضته من قبل تراجيديا يوروبيديس من أن من ذهب إلى طروادة مع باريس لم تكن هيليني ذاتها، بل مجرد شبحها أو طيفها، وربما بديل لها، أما «هيليني، ذاتها فقد حملها هيرميس إلى بلاط بروتئوس في مصر، حيث من المحتمل أن تكون قد ألتقت هناك بزوجها مينيلوس بعد أن وضعت حرب طروادة أوزارها.

ويعود سيفيريس في شعره إلى الأساطير الإغريقية ويعرضها من جديد. فما الذي يضيفه الشاعر إلى هذه الأساطير المعادة؟ إنه - . . . إليها أبعادا عصرية. يقرأها ليس بعقلىة القدامى، أو بعقلىة أولئك الذين يستعيدون هذه الاساطير بذاتها ولذاتها، بل إنه يقرأها قراءة مفكر مهموم بهموم هذا العصر. ولا يجد لاجترار همومه أو التنبيه إلى مآسى العصر ومخازيه أفضل من أبجدية الرموز التي

تتضمنها الأساطير الإغريقية، فخصياتها ما عادت تحارب وتحب
وتشقى من أجل ما كانت تسعد وتشقى وتحارب من أجله فى تلك
الأزمان الخوالى، وإنما هى تعود فى قصائد سيفيريس لتحيا هموم
وسعادات هذا العصر الذى نحيا فيه نحن، وكأنها تعطينا من خبراتها
عبرا ومؤشرات من أجل اجتياز عقبات ومشكلات العصر.

وفى قصيدة «هيلينى» على سبيل المثال يومىء الشاعر الى أن
مبلغ ما قد نقتل من أجله فى هذا العصر، قد لا يكون فى النهاية إلا
سرابا ووهما، وما كان يستأهل بالتالى ما أفنينا فيه من العمر
والجهد. (*)

أما ذلك «البائع الجوال من سيدون» فيذكرنا بأغنية شعبية
قبرصية تحكى عن بائع جوال، شاب حديث العهد جاء من المدينة
ويشير الشاعر الأثينى الكبير يانيس غريبا ريس (**) فى إحدى قصائده
الى بائع جوال مثل هذا الذى يشير إليه سفيريس. كما ذكرت سيدون
فى «تين لكافافيس الأولى قصيدة «شبان من سيدون» والثانية
«العام ٣١ قبل الميلاد فى الأسكندرية».

ويشير البائع الجوال من سيدون الى لينورا أو الينور دارجون
أرملة الملك بيير الأول دى لوزنبيان (راجع قصيدة شيطان الشهوات)
ويقول ماخيراس مؤرخ تلك العصور أن لينورا أمرت بأن يقتل أمامها
جان دى لوزنبيان شقيق زوجها والضالع فى اغتياله.

* ويقول سفيريس إنه كلما عاود قراءة بعض أبيات قصيدة «هيلينى» تذكر المصقات
الدعائية فى قبرص إبان الحرب العالمية الثانية، وكانت تلك المصقات تقول حاربوا
من أجل اليونان والحرية.

** انظر عن غريبارس مؤلفنا «الشعر اليونانى المعاصر» ١٩٩٥ - ص ١٣٢ وما بعدها.

والكلمة الافتتاحية لقصيدة بائع جوال من سيدون منسوبة الى شاعر من طيبة المصرية هو خريستونوروس الذى عاش فى عهد الإمبراطور البيزنطى أناستاسيوس الأول (٤٩١ - ٥١٨ ميلادية) وللشاعر المذكور ملحمة تصور ثمانين تمثالا فى ساحة معروفة بأسم ساحة زيفكسيبوس فى القسطنطينية، وربما كان هذا مادعا الى الاسترشاد بافتتاحية من شعر هذا الشاعر إذ يخرج بائع سيدون الجوال من جيبه فى آخر القصيدة تمثالا ويمضى يتأمله.

وتدعو هذه القصيدة الى تأمل مدى سير سيفريس فى ركاب القصائد التاريخية لكافافيس.

وفى قصيدة شيطان الشهوات، يبدو على سيفريس بعض من تلك النزعة. التهكمية التى عرف بها الشاعر السكندرى كافافيس. كما نلاحظ على قصيدة «ثلاثة أفراس» اقتراب سيفريس من كافافيس فى مدخله الى مادته التاريخية فى قصيدته «قيصرون» (*).

وقد أستقيت المادة التاريخية لقصيدتى سيفريس «شيطان الشهوات» و «ثلاثة أفراس» من مصدر واحد هو مدونة ماخيراس التاريخية بعنوان «تفاسير عن البلد الحبيب قبرص» (*).

ويتحدث سيفريس فى قصيدته «شيطان الشهوات» - نقلا عن تفاسير ماخيراس - عن بيير الأول دى لوزينيان ملك قبرص وأورشليم

(*) راجع ترجمتنا لهذه القصيدة فى الأعمال المنشورة الكاملة لأشعار كافافيس بعنوان «ديوان كافافيس» - شاعر الإسكندرية (١٨٦٣ - ١٩٣٣) طبعة ١٩٩١ - ص ٧٧ .

(*) ولهذا المؤلف ترجمة انجليزية بقلم إى. م. داونكينز. E.M.Dawkins

من عام ١٣٩٥ إلى ١٣٩٦ كما أن الشاعر استعان في قصيدته «ثلاثة أفراس» بماورد في المرجع المشار إليه، من أنه بعد أن توج الملك جيمس ملكا أرسل رجاله إلى حصن بوفانيثو بالقرب من قرية كوتزوفيندي وقطعوا رأسي بيرو وويليم دي مونتوليف، ووضعوهما في صندوق على ظهر أتان، وفي الطريق نفقت الدابة عند بلدة كافا في قبرص فدفن القتيلان هناك(**) ولم يكن قتل الأخوين بيرو وويليم دي مونتوليف إلا لأنهما كانا قد عارضا بشدة ارتقاء جيمس عرش قبرص وأورشليم(***) .

أما في «سفيريس بعنوان «بأسم الآلهة أدعوك» فإن تلك الآلهة هي «ميليتا» و«ميليتا» هذا اسم أفروديت لدى الآشوريين، وفي بعض أنحاء قبرص كانت توجد أعراف قديمة شديدة الشبه بتلك التي تحكيها القصيدة .

• ويحكى هيرودوت في رحلاته أنه إذا ما جلست امرأة في فناء هيكل أفروديت، التي هي الهة قبرصية قلبا وقالبا، لم يكن يتركونها

(**) انظر أيضا كتاب سافيديس بعنوان «من أجل سفيريس» عن سفيريس، ص ٨٤ .

(***) تشير قصيدة «شيطان الشهوات» إلى قائد كتيبة الترك وقد كانت هذه الكتيبة مؤلفة من خيالة محليين، وكانوا عادة من الترك، يستأجرهم الصليبيون ويستعينون بهم . على أن قائد هذه الكتيبة كان على الدوام من الفرنجة . وفي قصيدة «ثلاثة أفراس» يذكر الشاعر اسم تلك السيدة المبجلة التي يشير إليها . وقد رأينا أن عدم ذكره في الترجمة لا يفقد القارئ العربي شيئا عند تفقؤ القصيدة . كما أن القرية البعيدة التي يشير إليها النص العربي لهذه القصيدة يذكرها الشاعر باسمها وهي كوتسوفيندي . ولم نرداعيا إلى التزام الحرفية في ترجمة هذه الجزئية لعدم أهميتها بالنسبة للقارئ العربي . كما أن هناك قرية أخرى مشار إليها في النص هي بوفانيثو . وهذه تقع بأقليم كاسترو في اليونان .

تنصرف إلى بيتها إلا بعد أن يلقي غريب قطعة من النقود في حجرها، ويرقد معها داخل الهيكل ولم يكن على الغريب إلا أن يقول وهو يلقي بالنقود في حجرها «باسم الآلهة ميليتا أدعوك، وتذكرنا هذه الأحداث بما روى عن ابنة الملك خوفو وما كانت تقدم عليه من أفعال من هذا القبيل كي تجمع المال ليكمل أبوها بناء مدفنه الذي عرف باسم هرم الملك خوفو، وأضحى أعجوبة من أعاجيب الدنيا السبع بعد ذلك.

وبروتياس المشار إليه في قصيدة سفيريس بعنوان «وصف» هو العجوز الأسطوري الذي حدثنا عنه هوميروس، وقد كان دؤوبا على تغيير حياته حتى يتحاشى ايذاء من يسأله عن الغيب فيدلى إليه نبؤاته التي لا تخطئ ولا تخيب.

وسيفريس مبدع شخصيات حقا، ومن شخصياته العصرية بالأخص «ستراتيس ثالاسينوس» و«ماثيوس باسكاليس».

وماثيوس باسكاليس أصلا هو أسم بطل الروائي والمسرحي الإيطالي ذائع الصيت لويجي بيراندللو في روايته المعروفة «المرحوم ماتيوس باسكاليس» (١٩٠٤) وقد أستخدمها سفيريس في قصيدته «خطاب إلى ماثيوس سكاليس» كما تعود إلى الظهور أيضا في ديوان سفيريس «منكرات على ظهر سفين (١)» (١٩٤٠) ويمكن أن يقال عن ماثيوس باسكاليس هذا إنه اسم يستعيره الشاعر لنفسه ويوظفه لغير ما وظفه صاحبه الأصلي بيراندللو من أغراض، مثلما في قصيدة «ماثيو باسكاليس بين الورود».

وما نقول عن ماثيوباسكالييس فى هذا المقام يمكن أن يقال أيضا عن شخصية سفيريس الأخرى ستراتيس ثالاسينوس، ذلك أن ستراتيس ثالاسينوس شخصية ابتدعها سيفريس واستخدمها مثلما استخدم شخصية ماثيوباسكالييس ليتحدث من خلالها عن أحداث وتجارب وتكريرات خاصة به، وقد استخدمت هذه الشخصية فى تين من ديوانه «مذكرات على ظهر سفين» (٢) (*).

واسم ستراتيس ثالاسينوس أسم يتكرر كثيرا فى قصائد سفيريس ومن أبرز القصائد المنسوبة إليه «خمس قصائد لستراتيس ثالاسينوس» و «ستراتيس ثالاسينوس بين زهور الحب» (**) و «ستراتيس ثالاسينوس على مشارف البحر الميت» واللاجئون الذين يقصدهم سفيريس فى قصيدته هذه بلا شك ليسوا اليهود لأن القصيدة كتبت . التاريخ المعطى لها فى يوليه ٤٢، وربما كان هؤلاء اللاجئون هم اليونانيون الذين تركوا ديارهم فى أعقاب الغزو النازى لأوطانهم ونزحوا الى ديار المنفى بالشرق الأوسط، وربما كان من المفيد فى هذا المقام أن نقرأ الرواية الأولى بعنوان «آريان» من ثلاثية الرواى اليونانى المعاصر الكبير ستراتيس تسيركاس التى أعطاها عنوانا مقتبسا من قصيدة سفيريس هذه على وجه التحديد، وهذا العنوان المشار إليه هو «مدن بلا حكومات» أو «مدن غير محكومة» .

(*) كما استخدمها سفيريس أيضا فى رواية له غير منشورة بعنوان ست ليال فى ظلال الأكربول.

(**) هذه للزهور سواسن أفريقية تتصف بلونها الأزرق واسمها باليونانية «أغايانتى» وهذا اسم مركب من كلمتين الأولى معناها للحب والثانية معناها زهور. ولهذا جاءت ترجمتنا لها «زهور الحب» وهو أيضا فى هذه القصيدة اسم مجازى.

ويحين الأوان بذلك أن نتساءل عن هي شخصية ستراتيس
ثالاسينوس هذه التي كثيرا ما يتقمصها الشاعر ويتحدث من خلالها؟
وثالاسينوس، تعنى البحار أو البحر أو البحرى، ويمكننا أن نطلق
إذن على ستراتيس ثالاسينوس أسم ستراتيس البحرى أو ستراتيس
الملاح.

وقد نستبجح لأنفسنا أن نقول ستراتيس السكندرى، وفى هذه
الحالة يتجه تخميننا إلى «ستراتيس تسيركاس، السكندرى، وقد كانت
تربطه بسفيريس روابط حميمة، فقد تابع سفيريس كتابة تسيركاس
لثلاثيته الروائية التى أعطاها هذا الأخير عنوانا مقتبسا من قصيدة
سفيريس وقد كان تسيركاس السكندرى واحدا ممن ألفت بهم الظروف
السياسية فى الأربعينات الى فلسطين، وكتب عن مغامرته هناك،
كمناهض للفاشية والنازية فى حركة سرية لا يتسع المقام هنا لسرد
تفاصيلها ولا للأسلوب العصرى تماما الذى كتبت به والذى يدين
تسيركاس بالاقدام على ممارسته لدراساته المتعمقة لشاعر شاركه فى
الأعجاب به ودراسته سفيريس نفسه، ونعنى به شاعر الاسكندرية
الكبير كافافيس. فهل يقدر لأحد قراء هذه الكلمة أن يبحث عما إذا
كان الملاح ستراتيس شخصية سفيريس، هى حقاً السكندرى
تسيركاس (١٩١١ - ١٩٨٠) الذى هام على وجهه طويلا، وأهلك
نفسه من أجل الأدب فوجدها فى النهاية ودخل التاريخ بذلك كواحد
من أكبر الروائيين اليونانيين المعاصرين كما دخل سفيريس التاريخ
كواحد من أكبر الشعراء اليونانيين المعاصرين قاطبة؟

أما «البينور» فيحتل مكانة خاصة في شعر سفيريس، وقد كان البينور أصغر رفاق أوديسيوس في رحلته، وكان يفتقد رجاحة العقل وتتقصه الشجاعة ومن فرط النبيذ الذي شربه في قصر كيركيس أو سيرسيه غلبه النوم فزلت قدمه وقتل هناك. وهو لنقائصه هذه لم يلق إشفاقاً من هوميروس ولم يلق مقاماً لائقاً في ملحمة هوميروس. أما سفيريس فكان له موقف آخر من هذه الشخصية في زمن أصبح البينور هذا رمزاً للإنسان العادي الذي تهزمه عاداته ونقائصه كل يوم ولا يموت في معركة كبيرة أو من أجل هدف كبير، بل تزل قدمه ويموت ميتة لا تحيطها أمجاد ويمضي الى غياهب النسيان، ولكنه على أى حال رمز لكل منا، نحن أناس كل يوم العاديين. ولهذا فقد أولاه، سفيريس في شعره مالم يوله هوميروس من اشفاق ورثاء.

ويشير سفيريس الى البينور في أكثر من موضع من عطائه الشعري، وعلى سبيل المثال في قصيدة «ستراتيس ثالاسينوس بين زهور الحب» وفي قصيدته الطويلة «أسطورة التاريخ» (*) وخصص بعنوان البينور الحسى أو البينور المنساق للشهوات المقطع الثانى من قصيدته الطويلة «الطائر الغرد» أو «السفينة الفارقة» - خصص سفيريس قصيدته الثانية تلك لا لبينور الذى وصف في أوديسية هوميروس - كما قلنا - بالحمق وبضعف العزيمة أمام إغراء الشهوات حتى انتهى أمره بأن لقى حتفه من زلة قدم فى قصر سيرسيه، وهو مخمور غارق فى النعاس. وقد كتب سفيريس عن البينور يقول قد تتساءلون لماذا كتبت عنه - أعنى عن البينور وأمثاله - بهذا التعاطف؟ يرجع ذلك إلى أن الناس التى تنتمى الى هذه الطائفة من

الأبطال، ولا نعنى بالبطولة هنا ما عناه كارليل بها، هم أكثر الأبطال استدراراً للإشفاق. وحتى أوديسيوس، البطل الهوميروسي، أشفق على البيثور عند ما رآه أول مرة بين الأموات، وذرف عليه الدموع، ولا أقول إن هؤلاء يستحقون الإعجاب وإنما أقول فحسب إنهم ضلّيلو الشأن مغلوبون على أمرهم منساقون للعواطف والأهواء ومن ثم يستأهلون الرثاء. ويمضى سفيريس فيقول إن البيثور يرمز إلى أولئك «المهزومين» الذى نقول عنهم فى أحاديث كل يوم «الغلبة»، وعلى أى حال فلا ننسى أن هؤلاء المساكين لم يؤثروا مكراً ولا دهاء بل هم قليلو الحيلة ولا حول لهم، بصفة عامة، ولا يجدر أن نحاسبهم حساب من أوتوا رجاحة العقل والحكمة وملكوا بين أيديهم نواصي الأمور ومقاليد القوة. إنهم فحسب سريعو الانقياد لشورر ليست متأصلة فيهم، وإنما هى وافدة إليهم مفروضة عليهم.

مرة أخرى نجد سفيريس يدفع بشخصية من الأساطير والملاحم القديمة الى العصر الحديث، ليؤكد لنا كم هى مرتبطة بنا وكم نحن أيضاً مرتبطون بها، فهى منا ونحن صنو لها، فربما كان أغلبنا اليوم البيثور هذا المستعبد بالشهوات والنقائص، وذلك مهما تبدلت هذه الشهوات والنقائص وتنوعت.

وفى بعض الأحيان تلقى بعض الشخصيات ميتة لا تليق بمقامتها ولا بما قدمته من خدمات. ويلمح سفيريس فى قصيدته «يوروبيديس الأثينى»، إلى الميتة التى لقيها كاتب التراجيديا الأغريقية الكبير يوروبيديس، إذ يقال أنه قتل أثناء ممارسته صيد الكلاب البرية، وذلك إيان إقامته فى بلاط أرخيلوس ملك مقدونية.

ومن الميتات البشعة التي استوقفت سيفريس وأقام عليها قصيدة
من قصائده الميتة التي لقيها بنثيوس الملك الأسطوري لأهل طيبة،
الذي عرفناه من خلال «باخوسيات» يورويديس مستبدا ومناوئا شديد
الضراوة لديانة ديونيسيسوس الجديدة التي أخذت تجتاح مملكته فقد
مزقته إربا إربا الباخوسيات أو حاملات القرابين اللاتي كن يعبدن
ديونيسيسوس أو باخوس وعلى رأسهن أم بنثيوس نفسها.

كان بنثيوس - وفقا لما أورده قاموس لاروس للأساطير
الأغريقية والرومانية (طبعة ١٩٦٥) - أبنا لأخيون واجافيه ابنة ملك
كاموس وتولى من بعد والده عرش طيبة. وعندما عاد ديونيسيسوس
من الهند وتوغل في مملكته حاول بنثيوس مقاومة عبادة الديونيسية،
فأعترم ديونيسيسوس الاقتصاص منه ودعاه الى الاشتراك في حفل
من حفلاته الصاخبة على جبل كيثرون حيث مزقته الباخوسيات من
نساء طيبة وقد توهمنه وحشا كاسرا نازلا اليهن من كهوف الجبل،
وذلك في سورة من سورات طقوسهن التي يختل فيها العقل وينخرط
الجسد في أعنف الحركات الحسية تحت وطأة الدبذ والإفراط في
شرب الخمر.

وقد كانت على رأس «الباخوسيات» في ليلة قتل بنثيوس أمه
أجافيه التي اقتلعت في سورة من الهوس الديونيسي رأس ابنها من
جسده وإن كانت لم تدرك بشاعة فعلتها هذه إلا متأخرا، وقد أطبق
الجنون عليها بعد ذلك عقابا من الآلهة على ما اقترفته يداها.

وتنتاب قارئ قصيدة «بنثيوس» شتى الانفعالات المتضاربة،
ويمكن أن يكون أحد هذه الانفعالات الذي يرقى به الى التفكير في

المغزى المستهدف من القصيدة هو تأمل ما يمكن أن يفضى اليه
الهوس الدينى من تهور وتطرف لا تحمد عقباه، وقد كانت
الباخوسيات نساء يؤجج ديونيسيوس فى دمائهن نشوة جنونية
ويقودهن الى أفعال، ترقى الى حد «الهوس الحسى»، وقد كتب عنهن
يوروبيديس أبو التراجيديا الإغريقية مسرحيته بذات الاسم.

الفهرس

القسم الأول: مدخل إلى حياة سفيريس وشعره

- الفصل الأول : حياة سفيريس وأعماله..... ٩
- الفصل الثاني : تجربة سفيريس الشعرية ١٣
- المبحث الأول : البحث عن الجذور ١٣
- المبحث الثاني : الإنسان المعاصر والعالم القديم ١٤
- المبحث الثالث : البحث عن نبض العصر ١٧
- الفصل الثالث : نقطة التحول ٢١
- مسار الشعر اليوناني الحديث - الفهم والوضوح ٢٢
- في كواليس الفن - البئر أو مستودع المياه -
- الآداب الحديثة - قضية الشعر الحر .
- الفصل الرابع : أسطورة التاريخ ٢٩
- الفصل الخامس : السيفيرييه ٣٧

القسم الثاني: الأعمال الشعرية ا ملة لسفيريس

٤٤	١ - نقطة التحول
٤٦	٢ - بتؤدة كنت توجهين الكلام
٤٨	٣ - صبية حزينة
٥٠	٤ - أوتوموبيل
٥٢	٥ - نكران
٥٤	٦ - رفاق في الجحيم
٥٦	٧ - ضباب
٦٠	٨ - أحوال يوم
٦٣	٩ - تعقيب على أحداث
٦٥	١٠ - شهاب
٦٨	١١ - ايقاع
٧٠	١٢ - ذكرى
٧٢	١٣ - أغنية شعبية
٧٣	١٤ - كلمة حب
٨١	١٥ - البئر
٩٠	١٦ - اسطورة التاريخ
٩٠	أ - الملاك
٩١	ب - بلر آخر
٩٢	ت - استيقظت وبنى يدي هذا الرأس الرخامي
٩٣	ث - وإذا أرادت الروح
٩٦	ح - لن تعرفهم
٩٧	ح - البستان وناقوراته

١٩ - بانثوم	١٣١
٢٠ - طريق سنجرو، ١٩٣٠	١٣٤
٢١ - على لحن أجنبي	١٣٦
٢٢ - ست عشر مقطوعة قصيرة	١٤٠
أ - أسكب في البحيرة	١٤٠
ب - في الحقل، ولا حتى نواة	١٤٠
ج - في حديقة المتحف	١٤٠
ح - أكان ذلك هو الصوت	١٤١
خ - أصابعها	١٤١
د - شارد الفكر	١٤١
ذ - مرة أخرى ، ارتديت	١٤١
س - الريح ، في الليل	١٤٢
ش - قدر جديد	١٤٢
ص - أحمل الآن	١٤٢
ض - كيف يمكنك أن تتعلم	١٤٣
ط - خط ملاحي عقيم	١٤٣
ظ - إيرينية مريضة	١٤٣
ع - هذا العمود	١٤٣
غ - الوجود يغرق	١٤٣
ف - تكتب	١٤٤
٢٣ - هذا الجسد	١٤٥
٢٤ - هروب	١٤٦

٢٥ - وصف	١٤٨
٢٦ - سيروكو (٧) ليفانتي	١٥٠
٢٧ - على طريقة ج . س	١٥٢
٢٨ - العجوز	١٥٦
السيد ستراتيس ثالاسينوس	١٥٩
٢٩ - خمس قصائد للسيد س . ثالاسينوس	١٥٩
أ - هامستيد	١٥٩
ب - سيكولوجي	١٦١
ج - كل شيء إلى مضاء	١٦٢
د - نيران القديس يوحنا	١٦٢
هـ - نيجينسكي	١٦٥
٣٠ - السيد ستراتيس ثالاسينوس يصف إنسانا	١٦٨
أ -	١٦٨
ب - الطفل	١٦٩
ج - الصبي	١٧٠
د - الفتى اليافع	١٧٢
هـ - الرجل	١٧٥
٣١ - تعليقات على أسبوع	١٨٠
الاثنين	١٨٠
الثلاثاء	١٨٢
الأربعاء	١٨٥
الخميس	١٨٧
الجمعة	١٩٠

١٩٠ السبت
١٩٣ الأحد
١٩٥ رسوم سريعة للصيف
١٩٦ ٣٢ - كلمة عن الصيف
٢٠١ ٣٣ - عيد الغطاس، ١٩٣٧
٢٠٥ ٣٤ - الغراب
٢٠٩ ٣٥ - زهور الحجر
٢١٠ ٣٦ - الماء الدافئ
٢١١ ٣٧ - مرثية
٢١٢ ٣٨ - بين لحظتين مريرتين
٢١٣ ٣٩ - فى الكهوف البحرى
٢١٤ ٤٠ - كف بحثا
٢١٥ مذكرات على سطح سفين (١)
٢١٦ ٤١ - ما ثيوس باسكاليس بين الورود
٢١٩ ٤٢ - صباح خريفى جميل
٢٢٢ ٤٣ - بياتزا سان نيكولو
٢٢٦ ٤٤ - شمسنا
٢٢٩ ٤٥ - العودة من المنفى
٢٣٣ ٤٦ - احتواء ما لا احتواء له
٢٣٤ ٤٧ - فاصل من البهجة
٢٣٦ ٤٨ - ورقة من شجرة حور
٢٣٨ ٤٩ - تضامن
٢٤١ ٥٠ - اليوم الأخير

٢٤٤	٥١ - ربيع بعد الميلاد
٢٤٩	٥٢ - الياسمين
٢٥٠	٥٣ - حكاية
٢٥٣	٥٤ - صباح
٢٥٥	٥٥ - الملائكة بيضاء
٢٦٠	٥٦ - قرار السيان
٢٦٤	٥٧ - ملك أسينه
٢٦٩	مذكرات على سطح سفين (٢)
٢٧٠	٥٨ - أيام يونيه ٤١
٢٧٢	٥٩ - حاشية
٢٧٤	٦٠ - شبح الأقدار
٢٧٧	٦١ - شارع كيرت، أوست - بروثيوريا، ترنسفال
٢٧٩	٦٢ - ستراتيس ثلاثينوس بين زهور الحب
٢٨٣	٦٣ - جنادب
٢٨٥	٦٤ - رجل عجوز على شاطئ النهر
٢٨٩	٦٥ - ستراتيس ثلاثينوس عند البحر الميت
٢٩٦	٦٦ - خط جميل
٢٩٧	٦٧ - أيام أبريل ٤٣
٢٩٩	٦٨ - الشرق الأوسط - الممثلون
٣٠١	٦٩ - هنا بين العظام
٣٠٣	٧٠ - المحطة الأخيرة
٣١٠	٧١ - الطائر الغرد
٣١٠	أ - البيت بجوار البحر

٣١٤	ب - البينور المنساق للشهوات
٣١٨	المذيع
٣٢١	ج - حطام الطائر الغرد
٣٢٣	الضياء
٣٢٧	مذكرات على سطح سفين (٣)
٣٢٨	٧٢ - آغيانا (أ) ...
٣٣٠	٧٣ - حلم
٣٣١	٧٤ - تفاصيل من قبرص
٣٣٣	٧٥ - باسم الآلهة أدعوك
٣٣٦	٧٦ - هيلين
٣٤٢	٧٧ - آغيانا (ب)
٣٤٤	٧٨ - ذكرى (أ)
٣٤٧	٧٩ - شيطان الشهوات
٣٥٣	٨٠ - في ضواحي كيرينيا
٣٥٩	٨١ - بائع جوال من سيدون
٣٦٢	٨٢ - ثلاثة أفراس
٣٦٦	٨٣ - بيتيوس
٣٦٧	٨٤ - نيوفيتوس الإنجليسرى يتحدث
٣٧٠	٨٥ - سلامينا - قبرص
٣٧٥	٨٦ - ذكرى (٢)
٣٧٨	٨٧ - يوربيديس الأثيني
٣٧٩	٨٨ - انحومي
٣٨٤	٨٩ - قطط القديس نيقولا

ثلاث قصائد كتبت في الخفاء ٣٨٩

٩٠ - على شعاع شمس شتائية ٣٩٠

أ- أوراق من إناء صفيحي تبعثرت ٣٩٠

ب- تحترق الطحالب ٣٩١

ج- أورثني صحابي الجنون ٣٩١

ح- قلت منذ سنين ٣٩٢

خ- أي نهر طافح الكيل هذا الذي جرفنا؟ ٣٩٢

د- أنفاس قصار تلو أنفاس، ثم تهب الريح ٣٩٣

ذ- النار بالنار تشفى ٣٩٣

٩١ - عن المسرح ٣٩٥

أ- أيتها الشمس، تلعبين معي ٣٩٥

ب- سمعت نواقيس ٣٩٦

ج- وأنت عما تبحثين؟ بدا على محياك الارتباك ٣٩٦

ح- كيف أضحي البحر هكذا، كيف؟ ٣٩٨

خ- منذ الذي سمع في وضح الظهيرة ٣٩٩

د- متى ستعاود الكلام؟ ٤٠٠

ذ- ومع ذلك، هناك، على الشاطئ الآخر ٤٠١

٩٢ - المقلب الصيفي ٤٠٢

أ- أكبر الشموس في ناحية ٤٠٢

ب- يرى الجميع رؤى ٤٠٣

ج- ومع ذلك، في هذا النوم ٤٠٤

ح- في الريح المجنونة تعلو وتهبط ٤٠٥

خ- الناس الملتحفون بالأغطية المخدرة ٤٠٦

- د- تحت أشجار الغار ٤٠٧
- ذ- شجرة الحور في البستان الصغير ٤٠٧
- ر- الورقة البيضاء مرآة متأبية ٤٠٩
- ز- كنت تتحدث عن أشياء لم يكونوا يرونها ٤١٠
- س- ساعة صيرورة الأحلام حقيقة ٤١١
- ش- البحر الذي يدعونه سكينه ٤١١
- ص- الآن تتفصد الدماء ٤١٢
- ض- بعد قليل ستتوقف الشمس ٤١٣
- ط- الآن ٤١٤

- القسم الثالث: سفيريس ونسيجه الشعري ٤١٧
- الفصل الأول: الحداثة ٤١٩
- الفصل الثاني: مفاتيح ٤٣٥
- أولاً: الأماكن ٤٣٥
- ثانياً: الأيام والأزمان ٤٤٥
- ثالثاً: الشخصيات ٤٥٠

من مكتبة الأدب اليونانى الحديث

للدكتور نعيم عطية

* شخصيات من الأدب اليونانى المعاصر - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٣ .

* مختارات من الشعر اليونانى الحديث - مطبوعات المجلس الأعلى للثقافة - ١٩٨٣ (ثمانون شاعراً وثلاثمائة قصيدة) .

* اطلالة على الشعر اليونانى الحديث:

- يانيس ريستوس (١٩٠٩ - ١٩٩٠) - ١٩٩٢ .

- جورج سفيريس (١٩٠٠ - ١٩٧١) - ١٩٩٢ .

- ديونيسيوس سولوموس (١٧٩٨ - ١٨٥٢) - ١٩٩٣ .

* ديوان كافافيس - شاعر الإسكندرية (١٨٦٣ - ١٩٣٣) - ١٩٩١ .

*الأدب اليونانى الحديث فى مصر:

- نيقوس نيقولا ئيدس الأديب القبرصى - ١٩٩٤ .

*مختارات من الأدب اليونانى الحديث، فى القصة - الهيئة المصرية
للأليف والترجمة والنشر - ١٩٦٨ .

* حلم فتاة، قصص من اليونان الحديثة - روايات الهلال - أكتوبر ١٩٧٨
(١٩ قصة و ١٦ قصاصاً).

* أنطوانى ساماراكى - مطلوب أمل (مختارات من أعمال أكبر
قصاص يونانى معاصر ودراسة عنه) - روايات عالمية - الهيئة المصرية
العامة للكتاب - ١٩٩١ .

* إيفانجلوس أفىروف - نداء الأرض (رواية) - الهيئة المصرية العامة
للكتاب - ١٩٨٥ .

- مذكرات حمادة تطير كالسهم

- غابة الفرخ

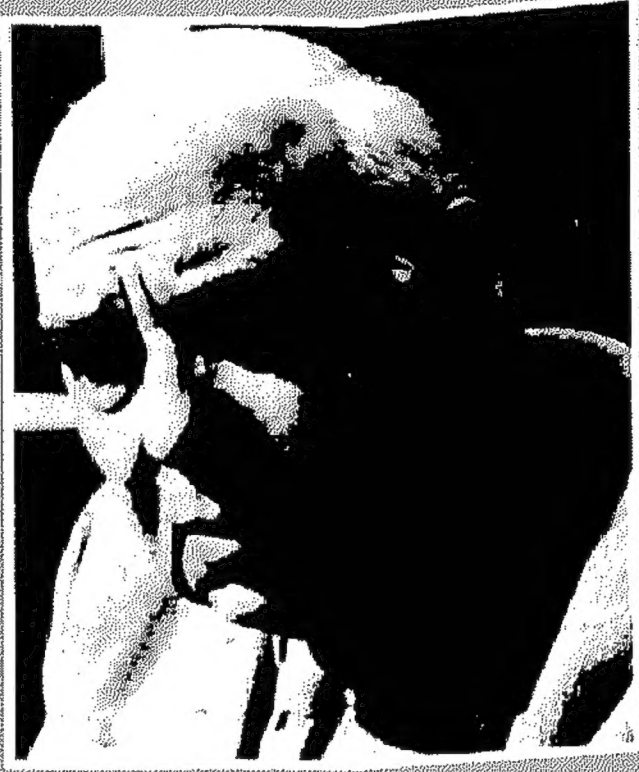
* نيقوس كازندزاكى - عطيل يعود - ترجمة ودراسة - سلسلة المسرح
العالمى - الكويت - العدد ١٣ .

* جورج ثيوتوكا - الثمن الفادح (جسر آرتا) - ترجمة ودراسة - سلسلة
مسرحيات عالمية - أكتوبر ١٩٦٥ - قدمت على خشبة المسرح العالمى
بالقاهرة فى نوفمبر ١٩٦٦ من إخراج الفنان سمير العصفورى

مطابق الهيئة المصرية العامة - ب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٥١٦٩ / ١٩٩٧

ISBN 977-01-5545-4



جورج سفيريس

درس الشاعر اليوناني جورجوس سفيريس القانون والأدب في باريس ما بين عامي ١٩١٨ و ١٩٢٤ واحتملته تيارات الحداثة في الشعر الأوروبي مكثراً وعندما ابدع كان شعره نقطة تحول في الشعر اليوناني الحديث

مضى سفيريس في تجرعه الشعرية وخلق عالماً جديداً خاصاً به. وإذا كان شعر سفيريس قد احتذى أسلوب الشعر الحديث بصفة عامة إلا أن الروي التي أفرغها في عطااته هي روي أصيلة نابعة عن ذاته المدعة التي توددت في حياتها أصداء حضارة قديمة غريقة، هي الحضارة الإغريقية. كما استطعت رواه بظيمة بلاده التي يعلب عليها البحر والهيل.

وقد عمل سفيريس عام ١٩٤١ ملحقاً صحفياً بالسفارة اليونانية في القاهرة، وأثرت إقامته بها في أدبه، وبال سفيريس جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٦٣ تقديراً لربطه بين حضارة بلاده والركب الإنساني العالمي

علاقہ : عمر چھان

CULTURE HIGH CONCEPT



97756852056

5000XN